الثقافة النفسية المتخصصة

العدد 86 . المجلد الثاني والعشرون . نيسان/ أبريل 2011

ملف العدد

الثورات العربية

جماعة من الباحثين

* قضية العدد: نحو تأسيس ثقافة نفسية للإنسان العربي
* مقابلة العدد: حوار مع الدكتور خليل فاضل: مصر والتوريث
* علم النفس السياسي: رؤوس السلطة والاضطرابات النفسية
* التحليل النفسي: فرويد، واليهوديّة والصّهيونيّة
* علم نفس الإبداع: الاضطرابات المزاجية والتلاعب بالمعايير
* شخصية العدد: البروفيسور قدري حفني
* مكتبة العدد: الفرويديون الجدد/ عولمة التعذيب/ ليليت والحركة النسوية المعاصرة

مركز الدراسات النفسية والنفسية ـ الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس ـ لبنان- شارع عزمي ـ بناية قاديشا ص.ب 3062 ـ التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail: ceps50@hotmail.com

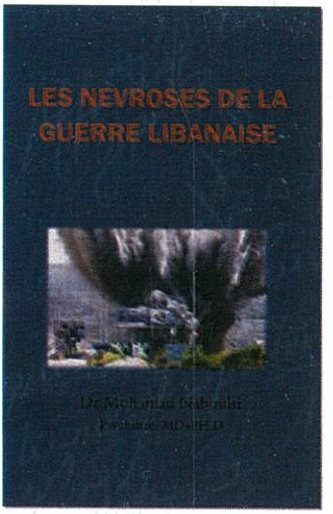

"Mais que vient-il donc faire dans cette galère ?"

Cette paraphase de Gérondе, dans les "Fourberies de Scapin" pourrait bien illustrer mes propos. Loin de me perdre dans des données historiques, politiques ou théoriques, je consacre cette étude à l'élucidation de la catastrophe libanaise, du point de vue psychiatrique.

Cette catastrophe, aux effets traumatisants, est devenue quotidienne dans la vie du Libanais. L'histoire de cette guerre est jalonnée de situations catastrophales quand elle n'est est pas elle même une.

Dans cette cours folle, le rôle du psychiatre qui cherche à faire une distinction entre le domaine quantitatif et le domaine qualitatif des troubles, semble bien difficile. Ne pouvant accomplir ce rôle, le psychiatre doit alors étudier les nuances des aspects psycho-socio-somatiques, car je suis parti de la définition suivante de la psychiatrie :

"La psychiatrie ne se limite pas au seul rôle curatif mais elle le dépasse pour jouer un rôle dans l'organisation de la défense et promovation de la santé mentale".

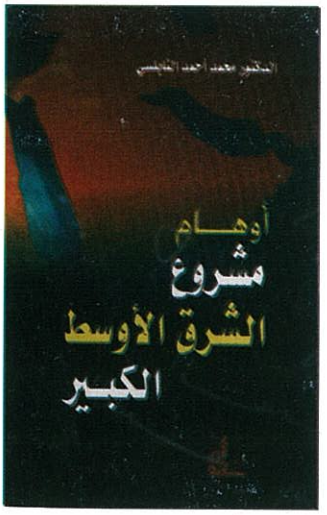

ما حدود الشرق الأوسط؟

أين يبدأ، وأين ينتهي؟

لماذا هذا السعي الغربي المستميت لنشر الإصلاح الاقتصادي والسياسي، والديمقراطية، والحكم الصالح، وحقوق الإنسان، وتمكين المرأة، ونشر حرية وسائل الإعلام، في هذه المنطقة؟

وهل حقاً مشروع الشرق الأوسط الكبير يحمل كل هذه القيم النبيلة ليقدمها للعالم العربي والشرق أوسطي هدية مجانية؟

هل استشيرت شعوب تلك المنطقة بهذه الخيارات ووافقت عليها؟

أم أنّ وراء الأكمة ما وراءها؛ فهناك أطماع سياسية وعسكرية واقتصادية مخبأة خلف هذا المشروع!

هذا الكتاب يوضح المخبوء خلف هذا المشروع من أهداف استراتيجية ومرحلية مباشرة.

والمؤلف مفكر استراتيجي معروف بدراساته السياسية والنفسية.

مركز الدراسات النفسية والنفسجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس، لبنان شارع عزمي، بناية قاديشا ص ب 3026، التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail; ceo50@hotmail.com

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتخصصة

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chief: Naboulsi.M (M.D.PH.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph D.)

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها، وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى أفضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقاً.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين أدناه.

طرابلس لبنان شارع عزمي بناية قاديشا
P.O .BOX: 3026 - Tal
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925

E-mail: ceps50@hotmail.com

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق عبد القادر الأسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين سلمى المصري دملج

سامر رضوان جليل شكور

الهيئة الاستشارية

أحمد عبد الخالق جامعة الكويت. كلية الآداب.
أحمد أبو العزايم رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية.
أنور الجرابة مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي.
بشير الرشيدي رئيس مجلس أمناء مكتب الإنماء الاجتماعي.
جمال التركي استشاري الطب النفسي / بريطانيا.
جيمي بيشاي مشفى المحاربين القدماء / الولايات المتحدة.
على وطفة كلية التربية. جامعة دمشق.
صفاء الأعسر مركز دراسات الطفولة / عين
طلعت منصور جامعة عين شمس / كلية التربية.
عادل الأشول جامعة الكويت / كلية التربية.
قتيبة شلبي الولايات المتحدة.
زايد الحارثي جامعة أم القرى / السعودية.
عبد الستار إبراهيم جامعة الملك فهد / الظهران.
عبد الفتاح دويدار جامعة الإسكندرية.
عبد العزيز الشخص جامعة عين شمس / كلية التربية.
عبد الرزاق الحمد جامعة الملك سعود / كلية الطب.
عبد المجيد الخليدي جامعة عدن / كلية الطب.
عدنان التكريتي رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي.
علي زيعور الجامعة اللبنانية / كلية الآداب.
فاروق السنديوني جامعة واغا واغا / استراليا.
فرج عبد القادر طه عضو المجمع العلمي المصري.
فيصل الزراد مستشفى الطب النفسي / أبو ظبي.
قدري حنفي قسم الدراسات الإنسانية / عين شمس.
محمد الطيب عميد كلية التربية / جامعة طنطا.

قيمة الاشتراك السنوي
الأفراد ٤٠ دولاراً أميركياً - للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي- ثمن النسخة عشرة دولارات أميركية، أو ما يعادلها - الاشتراك الشامل للمجلة وإصدارات المركز كافة ١٥٠ دولاراً أميركياً

شروط العضوية

منذ مطلع العام 1990، ومع صدور العدد الأول من الثقافة النفسية المتخصصة، والمركز يعمل على إرساء خطاب نفسي عربي جامع، يترجم أهداف خدمة الاختصاص في الدولة العربية. وعلى هذا الطريق عقد المركز ثلاثة مؤتمرات عربية جامعة مع انتظام صدور دوريته الثقافية النفسية المتخصصة، حتى توصل المركز إلى كسب ثقة زملاء من كافة أنحاء العالم العربي، فأصبح أعضاؤه موزعين على الدول العربية. هذا ويسعى المركز إلى توسيع دائرة التواصل بين الاختصاصيين عبر المجلة، والمشاريع التوثيقية التي يتبناها، ومنها مشروع الصفحة المعلوماتية العربية على شبكة الإنترنيت.

يتوجب على طالب العضوية استيفاء الشروط التالية:

1- أن يكون متخصصاً في أحد فروع العلوم النفسية. ويحدد نوع العضوية بناء على المؤهلات، إذ يعتبر عضواً متمرناً المنتسب الحائز على الليسانس. عضواً منتسباً الحائز على الماجستير، وعضواً مؤهلاً من كان حائزاً على الدكتوراه، أو على التخصص في الطب النفسي، أو الطبيب الباحث في ميدان السيكوسوماتيك. كما يعتبر عضواً عاملاً الاختصاصي المشارك في النشاطات الأساسية للمركز. وتمنح عضوية شرف المركز للمشتركين مدى الحياة في المجلة، كداعمين لاستمراريتها. وكذلك لأصحاب الإسهامات المميزة الداعمة للمركز.

2- أن يرسل سيرته العلمية المفصلة مع صور الوثائق، والسماح بإدراجها في الصفحة العربية للعلوم النفسية، وفي صفحة المركز التي ستضم أسماء أعضائه وسيرهم العلمية.

3- الالتزام بالدعوة لتكييف مبادئ الاختصاص، بما يلائم البيئة الثقافية العربية.

4- أن يشارك في نشاطات المركز ضمن إطارات اهتمامه.

5- أن يشترك في مجلة المركز الثقافية النفسية المتخصصة. حيث يعتبر هذا الاشتراك هو رسم الاشتراك في عضوية المركز. وتتوزع أنواع الاشتراك كمايلي:

- اشتراك عادي 40 دولار سنوياً (يحصل على أعداد المجلة).
- اشتراك شامل 100 دولار سنوياً (يحصل على كافة إصدارات المركز عن سنة الاشتراك من كتب ونشرات وغيرها).
- اشتراك مدى الحياة 500 دولار.

للاشتراك يرسل طلب الاشتراك مبيناً فيه بوضوح: الاسم والعنوان، والمستوى الأكاديمي، ومكان العمل، وفئة العضوية المطابقة. ويرسل الاشتراك بموجب حوالة باسم رئيس التحرير د. محمد أحمد النابلسي على الحساب التالي: المصرف: الشركة العامة اللبنانية، الأوروبية المصرفية ش.م.ل/ فرع طرابلس رقم الحساب:

(1- 01 -330384 360 -001- 010).

صاحب الحساب: محمد أحمد النابلسي

قسيمة الاشتراك

الاسم:

التخصص:

التخصص الدقيق:

مكان العمل:

نوعية الاشتراك وقيمته:

العنوان (بما فيه أرقام الهاتف والفاكس والبريد العادي والالكتروني)

قواعد نشر البحوث

في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم أفضل مستوى ممكن من الإحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين، خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال إطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية، وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث، وعبر بعض الترجمات المفيدة. أما بالنسبة للبحوث العربية، فإن المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب، وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1- الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
2- أن يكون البحث مطبوعاً ومراجعاً من قبل كاتبه.
3- أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو عرضه.
4- أن يقدم الباحث إقراراً بعدم إرساله إلى جهة أخرى.
5- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.
6- كتابة العناوين الرئيسية وسط السطر، والعناوين الفرعية على الجانب الأيمن.
7- إرسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.
8- السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتّاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1- كتابة عنوان البحث، واسم الباحث ولقبه العلمي، والجهة التي يعمل لديها على صفحة الغلاف.
2- يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:
3- تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين، ثم بعنوان المصدر، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر.
4- تخضع الأعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السري، وفقاً للنظام المعتمد في المجلة، ويبلغ الباحث في حال وجود اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.
5- توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير.
6- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كتابها ووجهات نظرهم.
7- تلتزم المجلة بإبلاغ الباحث عن قرار النشر، وهي لا تعيد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.
8- لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها.

المحتويات

عزيزي القارئ 7

قضية العدد: 9

نحو تأسيس ثقافة نفسية للإنسان العربي

علم النفس حول العالم: 13

إعداد: نشأت صبوح ورمزية نعمان وسناء شطح

مقابلة العدد: 19

حوار مع الدكتور خليل فاضل: مصر والتوريث

علم النفس السياسي: 25

رؤوس السلطة والاضطرابات النفسية/ ترجمة: د. سامر رضوان

التحليل النفسي: 57

فرويد، واليهوديّة والصّهيونيّة/ سعدي الأخضري

علم نفس الإبداع: 75

الاضطرابات المزاجية والتلاعب بالمعايير/ الدكتور محمد أحمد النابلسي

الندوات والمؤتمرات 79

شخصية العدد: 91

البروفسور قدري حفني/ السيرة الذاتية

مكتبة العدد 121

الفرويديون الجدد.. محاولة لاكتشاف الحقيقة

عولمة التعذيب.. خفايا سجون الديموقراطية الأميركية

ليليت والحركة النسوية المعاصرة

ملف العدد. 131

الثورات العربية

جماعة من الباحثين

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان ص. ب: 3062 التل
فاكس: 438925 - 6 - 00961
هاتف: 441805 - 6 - 00961

1- المعجم النفيس
مصطلحات طبية ونفسية وعصبية
ذياب والجراية وعمار (40 دولاراً أميركياً)

2- سيكولوجية السياسية الإسرائيلية – النفس المغلولة
إصدار 2001 (10 دولارات أميركية)

3- الصدمة النفسية – علم نفس الحروب والكوارث (6 دولارات أميركية)

4- سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات
إصدار 1999 (10 دولارات أميركية)

5- معجم مصطلحات الطب النفسي (10 دولارات أميركية)

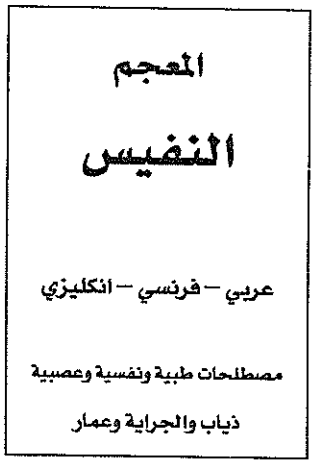

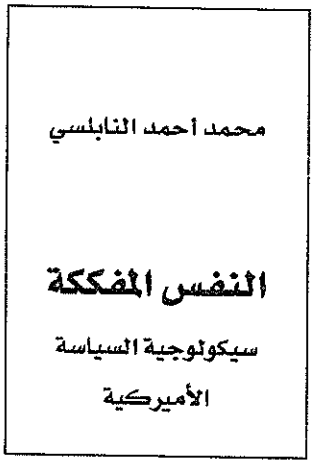

عزيزي القارئ

لقد تركتنا ثورة الياسمين التونسية وسط إرباك الانتقال من اللون إلى الرائحة العطرة، وهي أيقظت لدينا ملاحظات لم ندونها، لكنها تركت بصماتها في ذاكرتنا، من كرم وصبر وعلمية الزميل سليم العنابي، وصولاً إلى الإرادة الصلبة وقبول التحدي لدى الزميل جمال التركي، إلى انفتاح الزميل أنور الجراية.

يوم انتصار ثورة الياسمين أدركنا بشكل طاغ أن "للرائحة ذاكرة"، فقد استحضرت الذاكرة مع الخبر قائمة الأسماء التي عرفناها خلال مؤتمر اتحاد الأطباء النفسيين العرب في تونس، وهي كثيرة نلتمس العذر لعدم سردها كقائمة في سياق نقول فيه أن الصورة التي كوناها عن تونس كانت منذ ذلك الوقت صورة تونس بعد الثورة، إذ لم نكن نعرف الصورة الحقيقية للوضع في تونس.

لقد أخفى الكبرياء التونسي عنا حقيقة الوضع، فإن ننسى فإننا لن ننسى قط ذلك العالم الكبير، والرائد المؤسس، والمثال العلمي البروفيسور سليم عمار، الذي كنا نتمنى لو امتد به العمر ليشهد هذه الثورة، وهو كان قد بدأها قبل عقود، فقد التقيناه في أحد المؤتمرات العربية أواسط التسعينيات، وكان رحمه الله يصر على عرض صور الأطفال العراقيين المشوهين بسبب اليورانيوم المنضب.

هذه الانطباعات مجتمعة لم تترك لدينا أي شك بانتقال الثورات من مرحلة اللون المتأمركة إلى مرحلة العطر الوطني العابق. فإذا ما تريثنا في الحديث عن هذه الثورة، فذلك إشفاقاً منا على كبرياء من عرفناهم من الزملاء وسط تحديات أحاطت، ولا تزال تحيط، بثورتهم، وهي واقعاً تحويل تونس إلى بلد منسجم مع طاقات واندفاع وحماسة شعبه، وعلى الأخص مع كرامته.

ولعل الثورة المصرية عجلت قليلاً، لكنها كانت بدورها عرساً عربياً جديداً أعاد مصر الكبيرة بتضحياتها وريادتها إلى أصالة عروبتها، وإن كانت لا تلغي صدارة الشرارة التونسية التي أصبحت نبراس كل الثورات العربية العطرة، لتبقى مسؤولية التفريق بين الثورات العطرة وفق النموذج التونسي، وبين الثورات الملونة التي تبدو وكأنها تستغل عطر الثورات لتلوين دول

عربية أخرى، ونحن نرفض تلوين دولنا وفق النمط الأوكراني، أو غيره من أنماط الثورات المتأمركة.

تبقى الريادة للثورة التونسية، حاملةِ المشعل ومطلقة الشرارة، ونبقى في حالة إشفاق على الثورات العطرة، ومحاولات الخلط بينهما، وبين باقي الثورات، حيث نقاؤهما وشفافيتهما غير مقروئين بوضوح في باقي الثورات العربية، وهو ما دفعنا لتخصيص ملف هذا العدد للثورات العربية، مضمنين الملف محاولة تصنيفية للتشخيص التفريقي بين الثورات العربية بعنوان "حول قابلية الدول العربية لحضانة الثورات"، آملين أن ينفع هذا الانتقاء، مشفوعاً بالتنوع، في تقديم مساهمة اختصاصية مهما تضاءلت أمام عطر الثورات، آملين، أيضاً، استمرار الثورات المعطرة، ومعها عودة دولنا حاضنة أمينة لشعوبها، مع الدعاء والابتهال كي يبعد الله عن هذه الدول شبح الفوضى، وهي آخر أسلحة المتضررين من مثل هذه الثورات.....

والله الموفق

أسرة التحرير

قضية العدد

نحو تأسيس ثقافة نفسية للإنسان العربي
نتائج حقلية من الواقع العراقي

عبدالباري الحمداني
معهد علم النفس التجريبي . أوديسا
bari19_71@yahoo.com

يعتمد الغرب اعتماداً علمياً صادقاً على نتائج البحوث النفسية وآراء المتخصصين في علم النفس، وبشكل يثير الغرابه لأول وهلة أحياناً، ولكنك عندما تعمل معهم لفتره أطول تلمس أنهم سبقونا لسبب بسيط يمكن اختصاره في أنهم يبتعدون عن التفسيرات والآراء الشخصية، والارتجالات العاطفية، وجل همهم المعلومة الحقلية، والمقصود بها تلك المشتقة من خلال البحث، أو الملاحظة في حقل العمل، لأنهم يقولون إذا أردت أن تعالج الألم فلا تسأل إلا صاحبه، وبدلاً من أن تفلسف معنى الألم عليك أن تبحث عن عقار ليوقفه، وأريد هنا أن أستطرد في عرض نتائج البحوث الحقلية التي أجريتها، إما بتوجيه من متخصصين غربيين، أو العمل ضمن فريق من الباحثين، وكانت نتائج كل الفرق تناقش مجتمعه كمقارنات، مما أتاح لي بناء صوره ناضجة في ما بعد.

الظريف أن في أحد الدراسات التي أجريت بخصوص مفهوم الألم لدى عينه من "العراقيين"، وأخرى من "السويدين"، كما روت لي إحدى زميلات العمل(باحثة سويدية في جامعة أوبسالا)، حيث كنا ضمن فريق من الباحثين، وذلك في العام 2006، كان أغلب العينة العراقية يفهمون الألم بمعناه العاطفي، ويتناولوه كأنهم شعراء، على نقيض العينة السويدية التي وصفته وصفاً سريرياً، وقد يعزى ذلك ليس للتجارب الشخصية، وإنما لمنظومة التعلم والإطار الثقافي الذي نشأ فيه الفرد. وفي إحدى الدراسات التي أجريت لمعرفة (الاغتراب

النفسي لدى العائدين للسكن في الأهوار) عام 2005، وفي الناصرية تحديداً، كان مفهوم المريض لدى أفراد العينة، وبحسب لغتهم الخاصة (سنيح أوساد)، وبعد تحويل العبارة إلى العربية الفصحى تعني أن معيار الحكم على المريض هو فقدانه لقواه الجسدية، وعدم تناوله للطعام، في حين اعترض أفراد العينة (سكنة الأهوار) على نعت طفل مصاب بالأكزما بأنه مريض، وعللوا ذلك بأن هذه الحالة تأتيه في الشتاء فقط (فقط)، بالرغم من أنه كان ينزف الدم، كانت أمه تمسح على شعره معلقة (هذا حايفه النبي)، وكلمة حايفه تعني حرفياً يحيطه برعايته، وهذا الاعتماد الغيبي على القوى الغيبية والطاقات الروحية، على الرغم من أن له وظيفة إيجابية في تعزيز مواجهة المرض، أو التكييف معه، إلا أنه لا يعطي فرصة لنمو الوعي الصحي، وقد لا يجدي نفعاً عندما يتحول المرض لمراحل أخطر.

وفي دراسة أخرى كانت عينتها من الأطفال، وكان هدفها معرفة مفاهيم كالخطر والمخاطرة ومفهوم الحياة لدى الأطفال في عمر (6 ـ 12) عاماً، من مناطق الناصرية، والبتاويين في بغداد والبصرة، أظهرت الدراسة أن الأطفال كذلك يسقطون من خلال الرسوم (استخدمت الرسوم هنا كاختبارات إسقاطية لعدم امتلاك الطفل القدرة على التواصل اللفظي والتعبير)، وفيها يرسم الطفل أشكالاً وصوراً بصرية نقوم نحن كباحثين بالحوار معه حول تلك الرسوم، ويطلب من الطفل أن يعطي مسميات لكل رسم، ظهر أن الأطفال لا يعبرون عن منظورهم الخاص عن مفاهيم الحياة والخطر والمخاطرة، بمفاهيمهم الذاتية، إنما يعبرون عنها بمضامين فلسفية غير واقعية، بمعنى أنها لا تعكس تجاربهم الشخصية، بقدر ما تعكس مواقف الآخرين من الكبار المحيطين بالأطفال، وعلى النقيض من ذلك أظهر فريق آخر من الباحثين البريطانيين والألمان، ولغرض الدراسة المذكورة ذاته أن الأطفال البريطانيين والألمان استخدموا رموزاً وصوراً وعبارات تمس حياتهم كأفراد مستقلين، وأن الخيال الذي يمتاز به الطفل بطبيعته لم يؤثر في مستوى الحكم والتقييم لمفاهيم الحياة والخطر والمخاطره لديهم، كما أن أسرهم ساعدتهم ومن وقت مبكر في النمو باتجاه التفرد والاستقلال، وقد أجريت الدراسة في عام 2006، وظهر أن الأطفال العراقيين (من المناطق المذكورة) لا ينمون بشكل مستقل عن التدخل السافر للكبار، بقصد وبدون قصد، وأن الثقافة ووسائل الإعلام والأحداث بشكل عام في العراق جعلت من الطفل طرفاً معنياً في الصراع، من خلال الرسائل الإيحائية التي يستقبلها الطفل، ويكون من خلالها مفاهيمه وموقفه من الحياة.

وفي نهاية عام 2006، أُجريت دراسة على فئة المراهقين من محافظة "ذي قار" من الذين يسكنون المنازل الاضطرارية (وتحديداً بناية مستشفى المعوقين في الناصرية)، وكان الهدف

منها معرفة متجه تحقيق الهوية لدى المراهق، وعلاقته بغياب مفهوم المنزل المستقل (وكانت الأسر وقتها تسكن غرف محرقة الحيطان، معزولة عن بعضها بصفائح الدهن المملوءة بالحجاره لتثبيتها)، وكانت الأسر تستخدم هذه الغرف للنوم فقط، أما في أوقات النهار فكانت تعيش بشكل تجمعات يغيب فيها عن وعيهم الاستقلال الأسري، وكانوا قرابة 16 عائلة، وقد طلب من المراهقين تقديم عمل مسرحي مبسط (وقد ساعدنا وجود مسرح في البناية)، وكان موضوع المسرحية يتم اختياره بإرادة المراهقين، كما أن الاشتراك، أو عدمه، كان برغبتهم، وقد كانت مواد المسرحية (قضية خطف طفل وطلب فدية من أهله، وكان من بين الخاطفين منتسب للشرطة بحسب أخيلة المشاركين، وكان المبلغ دفتر من الدولارات)، (وفد من المنطقة يذهب للمحافظ ويطالبه بسكن لائق، وكان الوفد يضم الشيخ والمختار وسيداً معروفاً ومعلماً، وانتهت المسرحية بوعود من المحافظ)، (محاكمة المحافظ الذي تبين بعد مدة أنه بنى بيتاً ضخماً بالأموال التي خصصت لمساعدتهم في بناء المساكن). وهكذا تتدرج الحلول تحت نمط الاتكالية، وتعليق المشكلات على الحكومة، مع ملاحظة غياب الإرادات الذاتية كالبحث عن عمل، أو السعي الذاتي لتحسين الحال المعاشي، وهي مفاهيم ترتبط أساساً بالمفهوم غير المرن في أذهان المراهقين للسلطة، والناتج أساساً عن سوء السلطة، واستخدامها غير المشروع لحقوق الناس، إما بتبديدها بحروب غير مبررة، أو عدم استخدامها بشكل صحيح، أو ضياعها بمشاريع وهمية، وحضور هذه المفاهيم في أذهان المراهقين ولدت لديهم شخصيات متمرده ناقمة لا تؤمن بمفاهيم كالعمل والسعي، ويغيب عنها الأمل بوضع أفضل مادام كل شيء ستتم سرقته مسبقاً.

تعليق

باب قضية حيوية، كما هو معروف، مخصص لطرح قضايا الاختصاص في الوطن العربي للنقاش عبر المجلة، لكن هذا التعليق هو إطلاق لهذه النقاشات اعتماداً على ملاحظات أسرة المجلة. وفي القضية المعروضة أعلاه نلفت إلى أن الطفل العراقي، والأطفال العرب إجمالاً، يعبرون عن معايشات بمضامين فلسفية غير عملية، وليس غير واقعية كما يرى المؤلف. وهي إذ تعكس مواقف الآخرين من الكبار المحيطين بالأطفال بدلاً من أن تعكس تجارب الأطفال الشخصية، وذلك يعود إلى الأخطار الفعلية المعيشة من قبل هؤلاء الأطفال، وهي التي تمنعهم من معايشة طفولتهم.

إن القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب وأسرارها وصفقاتها الخفية.

محمد أحمد النابلسي

الحرب النفسية في العراق

متابعة للجوانب النفسية في الحرب الأميركية على العراق

علم النفس حول العالم

إعداد: نشأت صبوح، ورمزية نعمان، وسناء شطح.

إستخدام اليد اليسرى.. لغز ليس له حل واضح!

تشير صحيفة نيويورك تايمز إلى طبيعة تركيبة الجسم البشري، وبعض أجزائه الداخلية، بحيث يكون القلب إلى اليسار والكبد إلى اليمين، ويكون موقع الرئتين موقعاً متميزاً، وتتساءل بشأن استخدام بعض الناس أياديهم اليسرى على غير المألوف؟

وفي سالف الزمان، والقول لنيويورك تايمز، كان يوصف من يستخدمون أياديهم اليسرى بأنهم يميلون إلى الجريمة، وأنهم يتعاملون مع الشيطان، لكن هذه الوصمة اختفت في الوقت الحاضر.

ومن بين آخر سبعة رؤساء للولايات المتحدة، هنالك أربعة منهم يستخدمون أياديهم اليسرى، وهم جيرالد فورد، وجورج بوش الأب، وبيل كلينتون، وباراك أوباما، وأما رونالد ريغان فلوحظ أنه يستخدم يديه الاثنتين بالقدرة نفسها.

وأما اللغز الكامن وراء كون بعضهم لا يجيد سوى استخدام اليد اليسرى، على غير المألوف، فيبقى لغزاً دون حل، في ظل استخدام 90٪ من البشر لأياديهم اليمنى، ووسط عدم تقديم الطب لأي تفسير علمي بهذا الخصوص.

وأما العلم فلم يكتشف بعد العوامل الكامنة وراء استخدام الفرد يده اليسرى بدلاً من اليمنى، حيث قد يعود هذا لعوامل جينية.

وتشير الصحيفة إلى أن النصف الأيسر من الدماغ يتحكم بالعمليات المنطقية والتحليلية، كتعلم اللغة والرياضيات والمنطق، وأن النصف الأيمن من الدماغ يتحكم بالعمليات الوجدانية

والتعبيرية، مثل الآداب والفنون والموسيقى.

ومع أن مركز اللغة موجود في الجانب الأيسر من الدماغ، فإنه يشار إلى أن الإنسان الذي يستخدم يده اليسرى يستعين بنصف الدماغ الأيمن أيضاً لتطوير مهاراته اللغوية، وللتعبير عن أفكاره، وبرغم بقاء مستخدمي اليد اليسرى ضمن 10٪ فإن من بينهم نسبة كبيرة من السياسيين، وغيرهم من المشاهير.

التغييرات في حاسة التذوق ترتبط بالبدانة والتهاب الأذن المزمن

وجد باحثون أن الأطفال الذين يعانون من الالتهاب المزمن في الأذن الوسطى من الممكن أن يتعرضوا لتغييرات في حاسة التذوق الخاصة بهم، وأن تلك التغييرات ربما تكون مرتبطة بالبدانة في مرحلة الطفولة.

قال فريق من الباحثين في كوريا الجنوبية أن التهاب الأذن الوسطى المزمن هو ذلك المرض الذي تتزايد فرص حدوثه في مرحلة الطفولة، ومن الأسباب الشائعة لاضطرابات السمع لدى الأطفال. وقام إيل هو شين، الباحث في جامعة "كيونغ هي" بسول في كوريا الجنوبية، رفقة عدد من زملائه الباحثين، بإجراء دراسة لتقييم العلاقة بين بداية تكون حاسة التذوق لدى المرضى المصابين بالتهاب الأذن الوسطى والعلاقة مع مؤشر كتلة الجسم.

وافترض الباحثون أن التغييرات التي تطرأ على وظيفة التذوق ربما تحدث عند الأطفال المصابين بالتهاب الأذن الوسطى، وأن مثل هذه التغييرات ربما تكون مرتبطة بوزن الجسم. ووجد مؤلفو الدراسة أن الأطفال الذين يعانون من التهاب الأذن الوسطىٰ ترتفع لديهم بشكل كبير مؤشر كتلة الجسم عن غيرهم من الأطفال الأسوياء.

وأظهرت نتائج الاختبارات أن بدايات تكون حاسة التذوق على الجزء الأمامي من اللسان كانت أعلى لدى الأطفال الذين يعانون من التهاب الأذن الوسطى، مقارنةً بالأطفال الأسوياء. وأوضح الباحثون في سياق حديثهم عن هذا الكشف: "تشير تلك النتائج البحثية إلى أن ثمة علاقة بين التغييرات التي تطرأ على حاسة التذوق، وزيادة مؤشر كتلة الجسم لدى الأطفال المرضى الذين يعانون من التهاب الأذن الوسطى".

بكتيريا مسؤولة عن السمنة والمرض النفسي

أظهرت تجارب علمية أن العلاقة بين البكتريا الموجودة في معدة الإنسان ودماغه تقوم بدور أساسي في أحداث الإصابة بمرض نفسي، أو أمراض معوية، أو السمنة، من بين مشاكل أخرى.

وأظهرت التجارب التي أُجريت على فئران خالية من الجراثيم أن بكتريا المعدة تؤثر في برمجة الدماغ للقيام بوظائف معينة.

وتبين النتائج أن الجينات التي ترتبط بالتعلم والذاكرة تتحول في الفئران الخالية من الجراثيم، وأنها تتحول على الأخص في إحدى المناطق الأساسية من الدماغ المتعلقة بوظيفتي التعلم والذاكرة. وقالت فوستر أن علماء التحليل النفسي بصفة خاصة أبدوا اهتماماً بهذه التجارب، نظراً لمشاكل الآثار الجانبية في طرق العلاج بالأدوية المستخدمة حالياً.

وقالت البروفيسورة جين فوستر، المختصة بالتحليل النفسي وعلم الأعصاب السلوكي في جامعة ماكماستر الكندية، أن هذا التواصل بين الجسم والدماغ يؤثر على عملية التمثيل بما يؤدي إلى أمراض مثل السمنة والسكري. وأوضحت فوستر أن الفرضية التي تُبحث في المختبر تذهب إلى أن حالة جهاز المناعة والبكتريا الموجودة في المعدة، حيث تكون في تواصل مستمر، تؤثر في شخصية الفرد.

الرضاعة الطبيعية تزيد ذكاء الطفل

أثبتت أحدث دراسة بريطانية شاملة أن الرضاعة الطبيعية تستمر في تأثيرها على قدرة الطفل العقلية حتى مرحلة الدراسة الثانوية.

وقالت ديلي تلفراف أن الدراسة التي أُجريت على أكثر من عشرة آلاف طفل من منطقة بريستول وجدت أن الأطفال الذين أُرضعوا رضاعة طبيعية فقط لما لا يقل عن الأسبوع الأول من حياتهم تفوقوا بطريقة ملحوظة على أولئك الذين رضعوا رضاعة صناعية منذ الولادة.

وقد خرج الباحثون في جامعة أكسفورد، ومعهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية في إسكس، بنتائجهم بعد عمل ثنائيات من الأطفال الذين كانوا متطابقين في كل المجالات الرئيسية، مثل الظروف العائلية وذكاء الأم، والفارق الوحيد هو ما إذا كانوا رضعوا رضاعة

طبيعية أم لا، ثم قارنوا واحدا من هذه الثنائيات لقياس الاختلاف الذي أحدثته الرضاعة الطبيعية.

وقالت ماريا إياكوفو الباحثة المساعدة بمعهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية أن الأطفال الذين أُرضعوا رضاعة طبيعية كانت محصلة ذكائهم في المتوسط بين ثلاث وخمس نقاط أعلى من غيرهم، وأضافت أن البيانات تبين تأثراً عند الأطفال في سن الخامسة والسابعة والـ11 والـ14.

وأشارت إياكوفو إلى وجود مدرستين في التفكير بشأن مدى تأثير الرضاعة الطبيعية: تلك التي تقول أن الأحماض الدهنية الطويلة السلسلة في لبن الثدي ساعدت في تطور المخ، والثانية التي تقول أن عملية الرضاعة الطبيعية حسنت الرابطة بين الأم والطفل.

وقد بينت دراسات عديدة أن الرضاعة الطبيعية تحسن صحة الوليد، وعلى سبيل المثال يميل الأطفال الذين رضعوا رضاعة طبيعية إلى الإصابة بأمراض معدية أقل، لكن دراسات قليلة بحثت في تأثيرها على الذكاء،

وقالت إياكوفو أن هذا دليلاً إضافياً على أن الرضاعة الطبيعية مفيدة للطفل.

يُشار إلى أن بريطانيا فيها واحد من أقل معدلات الرضاعة الطبيعية بالعالم، وتقدر نسبة الأمهات اللاتي يرضعن أولادهن رضاعة طبيعية فقط الأسبوع الأول بنحو الثلث (35 ٪) بينما تنخفض النسبة إلى الخمس عند الأسبوع السادس، و7٪ فقط الشهر الرابع.

وتوصي وزارة الصحة برضاعة الأطفال رضاعة طبيعية حتى الشهر السادس، رغم أن كثيراً من أطباء الأطفال يقولون بوجوب فطامهم في وقت مبكر إذا أبدوا اهتماماً بالطعام الخارجي.

إساءة استخدام الطب النفسي

اللبنانيون فرّقتهم السياسة.. وجمعهم الاكتئاب

يعدّ لبنان بين أكثر بلدان العالم استهلاكا لمهدئات الأعصاب، حيث يعاني حوالي نصف سكانه حالة اكتئاب عصبي. فاللبنانيون الذين فرّقتهم السياسة جمعهم الاكتئاب، فأقبلوا على شراء الأدوية المهدّئة التي سجلت نسبة مبيعات مرتفعة بلغت 13 مليوناً و600 ألف علبة خلال عام واحد. وتأتي نسبة المبيعات متناغمة مع الإحصاءات التي تؤشر إلى أن لبنان من أكثر البلدان في العالم استهلاكاً لهذه الأدوية، وأن 47 ٪ من اللبنانيين يعاني حالة اكتئاب عصبي.

إن عُرف السبب، بطل العجب. يعزو النائب الدكتور عاطف مجدلاني، وهو اختصاصيّ في أمراض الأعصاب، ورئيس اللجنة الطبية في البرلمان اللبناني، أسباب انتشار حالات الاكتئاب إلى الأحداث الأمنيَّة، والحروب التي مرَّت على اللبنانيين، لافتاً إلى أنَّهم يحملون "مخزوناً" من الضغوط النفسيَّة. ويتطرق مجدلاني إلى آثار هذه الأدوية الجانبيَّة والرقابة التي تمارسها السلطات على بيعها، لافتاً إلى أنَّه تم ضبط كميَّات مهربة منها.

بدورها، تؤكد الصيدلانية منال زهار أن أدوية الأعصاب تشهد إقبالاً مرتفعاً، موضحة أن "ثمة شباب، ولكن الغالبية من كبار السن"، كما أن النساء يستهلكن العقاقير المهدئة أكثر من الرجال. وتؤكد ضرورة وجود وصفة طبيَّة لشراء هذه العقاقير التي تتراوح أسعارها بين الزهيد والباهظ الثمن، كما تشير إلى بعض الأدوية التي سحبت من الأسواق، من جرّاء أبحاث عدة أظهرت وجود أدوية أخرى لديها فاعلية أفضل.

العلاج النفسي للأسرى

وضحايا العدوان

تأليف

الدكتور محمد أحمد النابلسي

الأمين العام للاتحاد العربي لعلم النفس

يسجل للمؤلف سبق إصداره لأول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية والسيكوسوماتية. فقد أصدر النابلسي دراسته عن الحرب اللبنانية في العام 1985 وهي استخدمت مرجعاً في غالبية الدراسات التي تناولت هذه الحرب.

ويأتي هذا الكتاب ليتوج أعمال المؤلف في هذا المجال حيث يركز على موضوعين هامين هما رعاية الأسرى ومعاناة الضحايا من الوساوس المرضية ومخاوف الموت التي تنتشر بصورة وبائية في المجتمعات المتعرضة للحروب والكوارث. مما يجعل من هذا الكتاب ضرورة ملحة لكل معالج عامل في هذه المجتمعات.

حوار مع الدكتور خليل فاضل

مصر والتوريث

قراءة في رؤية التحليل النفسي والجنسي لأسطورة التوريث المنهارة في مصر

"جلس جمال مبارك بين عدد من العاملين في مقر إقامة والده في شرم الشيخ ليؤدي صلاة الجمعة، كان شارداً طوال الوقت وهو يسمع إلى الخطبة، التي حرص ملقيها أن يتحدث عن الصبر على البلاء، فلا يوجد ما هو أكبر ولا أعظم ولا أعمق من البلاء الذي وقع على رأس جمال مبارك وأبيه". كانت هذه الصورة التي حاول بعضهم أن يرسمها عن جمال مبارك، بعد أسابيع من تنحي والده الرئيس السابق، والذي قيل إنه وعائلته لا يزالون في شرم الشيخ، وقد أطلق جمال مبارك لحيته وأصبح شارداً طوال الوقت، لا يتحدث كثيراً، ويؤكد من شاهدوه عن قرب أنه بدأ يكلم نفسه، ويتحدث إلى آخرين يتخيل أنهم موجودون إلى جواره في حجرته، أو في المكان الذي يجلس فيه.

لقد اهتم خبراء التحليل النفسي برصد حالة جمال مبارك بعد أن تنحي والده، وسقط هو من على ظهر حصان التوريث. كان كل ما قيل كلاماً معاداً ومكرراً، فمن يقول أن جمال تسيطر عليه خيبة الأمل والندم، ومن يقول إنه صاحب شخصية جافة، ولن يندم أو يشعر بالخزي لإهانة أبيه بسبب طموحه الجارف، أو لم تكن له أي علامة لا في تاريخه ولا في جغرافيته.

ما كان يشغلني هو البحث عن لحظة خاصة جداً في حياة جمال مبارك، هذا الشاب الذي ألقوا به في البحر دون أن يعلموه العوم، لقد كان قاب قوسين أو أدنى من أن يصبح حاكماً لأكبر دولة في الشرق الأوسط، دولة لها ثقلها وقوتها، وفجأة يجد نفسه محروماً ممن تمنى، ويجد عائلته قبله مطاردين ومشردين ومهددين بالمحاكمة التي يمكن أن تقودهم إلى السجن.

إن جمال مبارك يعيش صدمة هائلة، لسبب بسيط، أنه كان يصدق نفسه بالفعل، ويصدق من كانوا يدفعون به إلى الأمام، رغم أنهم لم يقفوا خلفه إلا من أجل إرضاء أبيه، فلم يكن جمال بالسياسي العبقري، ولا الخبير الاقتصادي الذي يمكن أن ينقذ مصر من ورطتها، لكن من

أرادوا أن يستفيدوا من ورائه تعمدوا أن يعلنوا ذلك ويؤكدوا عليه، ولم يكن من الممكن إلا أن صدقهم، وسار وراءهم.

لقد وقعت عيني على مجموعة من الصور للرئيس مبارك وهو في سنوات حكمه الأولى، كانت صوراً تسجل زيارات له لبعض المصانع والشركات والمؤسسات، ثم وهو يؤدي الصلاة في مساجد مختلفة وفي مناسبات دينية عديدة، كان اللافت للانتباه أن جمال الذي كان فتى صغيراً، كان يقف وراء أبيه في كل الصور، تخيّلت أن مبارك نفسه كان يجهز جمال منذ صغره ليخلفه، فهو معه دائماً، لكنني عدت لأقدر أن وجود الشاب الصغير مع أبيه لم يكن ليعني أي شيء، خاصة أن الرئيس لم يكن قد تجاوز السنوات الخمس الأولى من تاريخ حكمه، الذي امتد ثلاثين عاماً، جرى فيها ما جرى.

جمال مبارك تخرج في الجامعة الأميركية، قسم إدارة الأعمال في عام 1984، وبعد عامين فقط حصل على ماجيستير في التخصص نفسه، كان يمكن له أن يتفرغ للعمل السياسي وقتها، لكنه لم يكن يميل إليه، ولذلك اختار طريق البيزنس، سافر إلى لندن، وهناك عمل في بنك أوف أميركا، ثم أسس شركة ميد إنفست، وظل هناك حتى عام 1994، أي أنه ظل خارج مصر ثماني سنوات كاملة.

بعد عودته، تعامل الجميع مع جمال مبارك على أنه رجل أعمال، لكن كان لابد من البحث له على عمل، وجاء الاقتراح من داخل البيت الرئاسي، فجمال متخصص في الاقتصاد، وله خبرة عملية حصل عليها في عمله في لندن، فليس غريباً أن يتم تعيينه مستشاراً اقتصادياً للرئيس، وهو العمل الذي لم يعلن عنه أبداً، لكن جمال تمكن من خلال هذا المنصب أن يدلي برأيه في كل المشروعات الاقتصادية التي كانت تعرض على الرئيس.

لم يطل بقاء جمال في منصب المستشار، كانت هنالك حركة خفية تعده لدور أكبر، وتم طرح جمال لأول مرة في اجتماعات الحزب الوطني في عام 2000 من خلال الدكتور حسين كامل بهاء الدين، الذي كان وقتها أحد قيادات الحزب الكبار.

حسين كامل قال وقتها إنه يعرف الشاب جمال مبارك جيداً، وأنه على ثقة بأن هذا الشاب يمكن أن يحدث نقلة كبيرة في الحزب لو أصبح فاعلاً فيه، لم يكن كلام حسين كامل بهاء الدين مجرد رأي عابر، ولكنه كان بوابة دخل منها جمال إلى دوره في الحزب، وهو الدور الذي انتهى بأحمد عز لأن يقول في مؤتمر الحزب الأخير في العام الماضي، بأن جمال هو مفجر ثورة التحديث في الحزب، وهو ما استقبله جمال بابتسامة عريضة تؤكد أنه يصدق بالفعل كل ما يقال عنه، ولم يحاول أن يفكر ولو للحظة واحدة في أن يلعب دوراً ليس دوره، وأن من حوله يحملونه على أكتافهم من أجل أن يحقق لهم أهدافهم، لا أكثر ولا أقل.

دخول مبارك إلى الحزب الوطني من خلال حسين كامل بهاء الدين تحديداً، يعني أن الأمر حصل بمباركة سوزان مبارك، فعلاقتها بكامل كانت جيدة جداً، بل كان الرجل أحد رجالها في الحكومة، كانت تقف وراءه وتدعمه وتدافع عنه، ووقفت أكثر من مرة أمام محاولات إخراجه من الحكومة.

هذا الواقع وضعه الصحافي محمد الباز أمام الدكتور خليل فاضل أحد الكبار في التحليل النفسي في مصر، سائلاً إياه عن تصوره عن حالة جمال مبارك، الذي ضاعت أحلامه كلها مرة واحدة من خلال 18 كلمة أعلن من خلالها السيد عمر سليمان أن "الرئيس مبارك تنحى عن منصبه في الرئاسة، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بتسيير أمور البلاد.

لكن خليل فاضل أخذني إلى مساحة مختلفة تماماً، وضعني في قلب التحليل النفسي لمخطط التوريث الذي رعته سوزان مبارك، وكان يقوم على تنفيذه أحمد عز، صديق جمال، الذي كان ينتظر فقط أن يقطف الثمار دون أن يفعل أي شيء، سلبي أو إيجابي.

يقول فاضل: يمكن أن أشخص حالة جمال مبارك النفسية على أنه مصاب بـ"اضطراب الشخصية النرجسية السرطاني"، وذلك تحديداً لعلاقته الملتبسة بأمه.

إن جمال في أدبيات التحليل النفسي يمكن توصيفه على أنه ابن أمه، وهو هنا الإبن الذي تعشقه أمه، إلى الدرجة التي تتزوجه نفسياً، وتكون بينهما رابطة وجدانية فيها جاه ومصلحة.

ثم أن السيدة في مجتمعاتنا الشرقية الذكورية، والكلام لا يزال لخليل فاضل، تشعر أنها أقل من الرجل، فهو يمتلك ما لا تمتلكه نفسياً وجسدياً، وذلك فليس بعيداً أن السيدة سوزان كانت تغار من زوجها خاصة بعد أن صعدا معاً إلى منطقة السلطة، ولذلك فقد اهتمت بولديها جداً، فالرجل الحاكم الذكر بالنسبة لها لم يعد أفضل منها، فلديها بدل الذكر الواحد ذكران.

وحتى تكمل سوزان سيطرتها، فقد أرادت أن يكون أحد ولديها رئيساً، يرى فاضل أن الأكبر خاب بالنسبة لها، حيث اهتم بالبيزنس، أما الأصغر وهو جمال فقد كان ضالتها، إذ عثرت فيه على الامتداد الذي يمكن أن تحقق من خلاله سلطانها الذي لا تستطيع أن تحققه كاملاً في وجود زوجها على رأس الدولة، إنها في الواقع زوجة رئيس جمهورية لها نفوذ وقوة، لكنها في النهاية مجرد زوجة لا تحكم بنفسها، ولذلك فقد قادها تكوينها النفسي إلى أن ترغب في الحكم بنفسها من خلال الإبن الذي ولدته من رحمها.

يضع خليل فاضل يده أكثر على النقطة الأعمق في نرجسية جمال مبارك، يقول: كان هناك حبل سري نرجسي بين الأم والإبن، لقد نقلت سوزان حبها للسلطة للإبن فتوحش وتضخم، لتتضخم معه الأنا العليا وتتوحش، ليصبح الإبن مزيجاً من شره الأم للسلطة، ورغبة الأب في البقاء على الكرسي للأبد، ومن هذا المزيج وجدنا أمامنا رجلاً يمكن أن يضحي بأي شيء من أجل

السلطة، التي صورتها لها أمه خلال أحاديث الصالونات الممتدة، وجلسات القصر التي كانت تحت حماية دائمة.

يرى خليل فاضل أن ثورة 25 يناير نجحت نجاحاً مدهشاً، وربما أن من شاركوا بالفعل لم يتوقعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه.

وهنا ينتقل فاضل إلى الضلع الثالث في عملية التوريث، وهو المهندس أحمد عز. يقول عنه: اعتمد جمال مبارك في تنفيذ مخططه للوصول إلى السلطة على صديقه المقرب إليه، وهو عز. والرجل يمكن التعامل معه على أنه قزم طبيعي (فهو قصير جداً كان يحتاج إلى أن يضعوا له ما يرفعه عن الأرض ليصل إلى المنصة التي يتحدث منها)، وقزم نفسي.

كان طبيعياً أن يعتمد جمال مبارك على شخص قزمي التكوين نفسياً وعضوياً، لأنه شخصياً لا يستطيع أن يعمل، أو يتحد، مع شخص قوي، فالشخص القوي مثل خطراً على الأنا النرجسية التي يمتلكها جمال مبارك، وحتى لو قاده قدره إلى أن يتحد مع شخص نرجسي، فلابد أن يكون شخصاً نرجسياً جباناً جداً، ومخادعاً أيضاً.

قلت للدكتور فاضل: وهل كان أحمد عز جباناً؟

قال: لم يظهر أحمد عز جباناً وهو في قوته وبين رجاله، فقد كان يحيط نفسه بالقوة المدفوعة، لكن شخصيته الجبانة بدت وبشكل كبير في لقائه مع راندا أبو العزم، مراسلة قناة العربية في القاهرة، فعندما ظهر معها ليدافع عن نفسه كان قد وصل إلى أعلى وأخطر وأعمق مراحل الجبن، وهذا الجبن عكسته نظرات عينيه، وكذلك حركات جسده التي عبر بها عن حالته النفسية، وكذلك جلسته على الكرسي الذي كاد أن يلتصق به وهو يتحدث.

يوصف خليل فاضل العلاقة بين جمال مبارك وأحمد عز بأنها علاقة بين "عملاق أعمى" هو هنا جمال مبارك، وهو أعمى لأنه بالفعل لا يعرف مصر ولا شعبها، ولا يستطيع أن يتصرف من تلقاء نفسه، ولذلك فلابد أن يبحث عمن يعرف، أو على الأقل من يدعي له أنه يعرف، وكان هذا الذي يدعي هنا هو أحمد عز الذي بدا "قزماً كسيحاً"، يحتاج إلى عملاق يحمله على كتفيه.

وهو ما حدث بالفعل، فقد حمل جمال مبارك أحمد عز على كتفيه، وسلمه قياده، وطلب منه أن يدله على الطريق، وسار خلفه طوال الوقت، لكن في النهاية كان الدليل مخطئاً، فالعلاقة بين القزم" و"العملاق" شوهت بالفعل الهدف الذي سعت الشخصية النرجسية إليه، فكان لابد من السقوط العام والكامل والشامل.

إننا أمام تفسير نفسي لما جرى يقدمه على خلفية علمية رصينة الدكتور خليل فاضل، وهو ما يتسق بالفعل مع كواليس ما جرى سياسياً خلال السنوات الأخيرة في مصر، ومع ما كان يتسرب من خلف أبواب قصور الرئاسة، لقد كان هناك إصراراً من سوزان مبارك على أن يصل جمال إلى

كرسي الحكم، كانت تعرف إنها وبمجرد أن يموت زوجها ستصبح سيدة أولى سابقة، ولأننا لم نكن نعرف كم الفساد الذي تسبح عليه العائلة، فإن إصرار سوزان على الاستمرار يصبح مبرراً ومفهوماً، فالإبن عندما يصل إلى كرسي الحكم لن يحافظ للعائلة على نفوذها فقط، ولكنه سيحمي الثروة التي اغتصبتها العائلة طوال ثلاثين عاماً قضاها مبارك في الحكم.

لقد مارست سوزان مبارك وحدها جهوداً هائلة لتحقق حلمها بأن يصبح جمال رئيساً، وهنالك من يرى أن مبارك كان رافضاً تماماً أن يكون جمال خلفاً له، ليس لأنه رئيس ديموقراطي ويقتنع بأن المصريين يجب أن يختاروا رئيسهم، ولكن لأنه كان يعرف أن طفله الصغير لن يكون قادراً أبداً على أن يحكم بلداً مثل مصر، لقد قال لأحد المقربين منه: لن ألقي بولدي إلى الجحيم، لكن السيدة الأولى كان لديها رأي آخر، ولابد أنها راهنت أنها تستطيع، لكنها حسبت للأمر حسبته كلها إلا جانباً واحداً من الأمر، وهو ثورة الشعب الذي كان يرى جمال مبارك شخصاً مجرداً من كل شيء، ولا يستطيع أن يحكم بيتاً، فما بالك ببلد مثل مصر، لكنه هو وأمه وحدهما ما كانا يريان أنه يستطيع.

لقد ظلمت سوزان مبارك إبنها، الذي كانت تعرف أنه فشل في كل مراحل حياته، خرج من الجامعة الأميركية دون أن يتواصل في علاقة طبيعية مع زميلة له، لم تكن في حياته قصة حب واحدة مكتملة، زاد عمله في لندن من عزلته، للدرجة التي أصبح فيها شخصية الرجل الهادئ فإنه كان عصبياً جداً، للدرجة التي لم يكن أي أحد يستطيع أن يتحمله، أو يعمل معه ثلاث سنوات فقط.

إن الفوارق كثيرة بين علاء مبارك وجمال مبارك، فالأول من مواليد 26 نوفمبر 1960، والثاني من مواليد 28 ديسمبر 1963. وهنالك فارق كبير بينهما في تاريخ زواجهما، فعلاء تزوج في أكتوبر 1991، بينما تزوج جمال في فبراير 2007، وقد لا يكون لذلك دلالة معينة، لكننا لا يمكن أن نغفل أن جمال فضل أن يتفرغ لحياته، لأسباب يعلمها وحده بالطبع، وهو ما أثر تأثيراً كبيراً في التكوين النفسي الطبيعي لجمال مبارك.

إن جمال مبارك لم يتزوج بعد قصة حب، بينما علاء فعلها، فقد خرج من الجامعة الأميركية بقصة حب مع زميلته هايدي راسخ، أما جمال فتزوج في الغالب لأنه كان يتعامل مع نفسه على أنه الرئيس القادم لمصر، ولابد أن يكون الرئيس متزوجاً. إن هذا يتفق مع عادات وتقاليد المجتمعات العربية، فليس معقولاً أن يكون رئيس دولة عربية وإسلامية أعزب، أو غير متزوج.

ليس لي الآن أن أناقش الأمر، ولكني فقط أعتقد أن جمال مبارك لم يتزوج لأنه كان يحتاج إلى الزواج، لكن لأن الزواج كان متمماً لمشروعه التوريثي الكبير، وهو ما يمكن أن يكون متفقاً جداً مع ما تردد أن جمال يمكن أن يكون قد انفصل بالفعل عن خديجة الجمال، وأن

حياتهما العائلية انتهت، فالسبب الذي تكونت من أجله هذه الحياة انتهى للأبد، فلماذا الإبقاء عليها إذن؟

لا يمكن أن أخفي تعاطفي الشديد مع جمال مبارك، ليس سياسياً بالطبع، ولكن إنسانياً فقط، إنني أمام شاب كان يمكن له أن يكون رجل أعمال ناجحاً، حتى لو لم يكن والده رئيس جمهورية، فإذا به يجد كل من حوله يدفع به إلى أن يكون رئيساً لبلد كبير وضخم ومعقد مثل مصر، نفخوا فيه، وخيلوا له أن الأمر سهل وبسيط، وسيحدث رغماً عن الجميع، وفجأة وجد ظهره عارياً تماماً لا يقف معه أو إلى جواره أحد، لقد خدعوه، أقنعوه أنه يستطيع رغم أنهم يعرفون أنه بلا أي مؤهلات، ولذلك فليس بعيداً أن يفقد جمال مبارك كل قواه العقلية، ويتحول إلى شخص مجنون، بل لن يكون غريباً إذا وصل إلى أبعد وأخطر درجات الجنون.

لكن هذا لا يعفي جمال مبارك من المسؤولية عن حلم لم يكن مناسباً له، لقد خدعه من حوله، لكنه استراح تماماً لهذا الخداع، واطمأن له، لقد سمعت منذ سنوات بعيدة لأحد أصدقاء جمال مبارك وهو يتحدث عن هذا الشاب الرائع الذي يعيش حياة بسيطة جداً، وكيف أنه لا يحب المظاهر الزائفة، ولا يميل إلى البهرجة في كل تفاصيل حياته، فهو على سبيل المثال لم يغير رقم تليفونه المحمول منذ حمله لأول مرة، ولم يغير عدة تليفونه المحمول إلا مرتين فقط خلال السنوات الطويلة التي استخدمه فيها.

كان صديق جمال مبارك معجباً جداً بصديقه، فما يفعله يدل على تواضعه الشديد، لكنني أخذته إلى مساحة بعيدة جداً عما كان يفكر فيه، قلت له إن احتفاظ جمال مبارك برقم تليفونه المحمول دون تغيير، وعدم تغيير عدة تليفونه إلا مرتين فقط يشير إلى أنه لا يمل بسهولة، بل يصبر جداً على ما يريده وما يخطط له، ليس مهماً أن يناله، لكنه في النهاية سيحصل عليه.

ضحك صديق جمال مبارك، وكأنه يقول لي هو كذلك بالفعل، وأنه سوف يحصل على ما يخطط له ويريده، وليس بعيداً أن يكون جمال مبارك ظل يعتقد هذا حتى جاءته أعاصير ثورة 25 يناير، فكسحته بعيداً هو وكل أحلامه وطموح أمه ورغبات صديقه القزم الذي يعيش الآن في زنزانة ضيقة في انتظار مصير مجهول.

التعليق

زميلنا الدكتور فاضل أجرى هذه المقابلة مع صحيفة الفجر المصرية اليومية (الأربعاء، 16 مارس 2011) وهو بطبيعة الحال راعى الشريحة التي تتشكل من قراء الصحيفة. كما أن الزميل فاضل أبدى آراء سياسية ربما يصفها البعض بالمندفعة. وبالطبع فإن المجلة غير مسؤولة عن الأفكار التي ترد في سياق ما تنشره منسوبة لأصحابها.

رؤوس السلطة والاضطرابات النفسية

Volker Faust

ترجمة: د. سامر جميل رضوان

على الرغم من ارتباط "السلطة" بمجموعة من التداعيات الأقرب للسلبية منها للإيجابية، من استغلال السلطة، أو إساءة استخدامها، أو التعسف والقمع، إلا أن غالبية من هم في السلطة يدركون واجباتهم ومسؤولياتهم، ويكونون على قدرها، ويشعرون أن كل هذا يكلفهم كثيراً من الطاقة الجسدية والنفسية والذهنية.

ولكنْ، ما الذي يمكن أن يحدث لو أن هذه الشروط لم تعد متوافرة، من خلال القصور الجسدي، أو الذهني، أو النفسي، على سبيل المثال، أي تراجع القوى واضطرابها ومرضها؟ ما الذي يحدث لو كان المعني بهذا ليس شخصاً في قمة مؤسسة، وإنما في قمة هيئة اتخاذ القرارات لدولة ما؟ هنا، لا بد وأن تكون العواقب وخيمة، وفي حالات منفردة قد تكون مدمرة مصيرياً. وكلما كان النظام أكثر استبدادية absolutist، أي كان أقل قدرة على اللجوء لإجراءات تصحيحية ضابطة، كانت النتائج أكثر جسامة.

ما الذي يعرفه التاريخ منذ العصور الغابرة حتى عصرنا الراهن من أمثلة؟ وما الذي كان من المفترض أن يتم فعله، وبشكل خاص تصحيحه في الوقت المناسب، أو دعمه، أو منعه؟ وبشكل خاص مَنْ وما هي المؤسسات، وفي أي نوع من التراجع الصحي، ومن هم المتخصصون؟ وكيف هو الأمر اليوم في الأنظمة الديموقراطية؟

سنقدم في ما يلي بعض الأفكار حول هذا الموضوع، مستعينين بأمثلة من التاريخ الحديث.

"لو تمكن المرء من إبعاد "القائد" المريض عقلياً آدولف هتلر من السلطة في الوقت المناسب، وليس بالضرورة في عملية اغتيال، لكان قد تم توفير كثير على ألمانيا والعالم". وعلى ما يبدو فإن هذه التهيدة التي نسمعها مراراً بمعاني مختلفة لا تثير أية معارضة، والأمر نفسه ينطبق على ج.

دبليو تجوغاشفيلي J.W. Dschugaschwili ، الذي من المؤكد أن أحداً لم يعد يعرفه تحت اسمه الحقيقي، ولكن المعروف في تحت اسم الديكتاتور الروسي ستالينStalin الذي أحدث خراباً هائلاً في بلده وبلدان كثيرة أخرى، ويعتقد اليوم أنه كان مريضاً نفسياً كذلك.

إلا أن ما نعرفه في هذا الموضوع قليل جداً عن سياسيين شرفاء ذوي مكانة عالمية، من نحو البريطاني تشرشل Churchill، والأميركي روزفلت، اللذين لم يقررا مع ستالين مصير ألمانيا المهزومة فحسب، وإنما مصير أمم أخرى، واللذين كذلك لا يمكن اعتبارهما سليمين (ولكن في عصرهما لم يعدّا كذلك بشكل رسمي، ذلك أن التراجعات في الصحة في ذلك الوقت كان يعد من أسرار الدولة، وعندما ظهرت لاحقاً إلى النور كانت فضيحة إلى حد ما).

لهذا، عبر الأطباء النفسيون، وعلماء النفس، المسؤولون في مثل هذه الأمراض، مراراً، حول كيفية التعرف إليها في وقت مبكر، والتمكن من تقبله و"تنظيمه" على الأقل بطريقة مقبولة لدى كل من الطرفين، فإذا كان شخص ما مريضاً نفسياً ولا يتحمل مسؤوليات كبيرة، فإن الأمر ليس مشكلة، أما رجل الدولة المزعزع نفسياً، أو حتى المضطرب، أو المريض، فهو بالمقابل مشكلة كبيرة.

ومن المطالعات المفضلة حول هذا الموضوع الكتاب القديم حول "الجنون والسلطة" للانغه - آيشينباومW. Lange-Eichenbaum ، الذي لم يضم في طياته السياسيين فقط، وإنما الممثلين الباكرين للتخصصات المختلفة (الأدب والفن التشكيلي والموسيقى والاقتصاد والجيش... إلخ). وفي هذه الأثناء انبثق من هذا الكتاب 11 جزءاً جمعت فيها حتى عصر محدد كل السير الذاتية المرضية Pathograpia، أي عرض تأثيرات المرض على نمو وإنجاز شخص ما، وأحياناً يتولد لدى المرء الانطباع، على الأقل للوهلة الأولى: هل هنالك عظماء في مجالهم يتوقع أن يكونوا أصحاء نفسياً بالفعل؟

قد يكون هذا موضوعاً شيقاً على درجة عالية من الأهمية، إلا أنه علينا هنا أولاً أن نعالج المشكلة على أساس مساهمة جديدة في مجلة "طب نفس المستشفى " Krankenhauspsychiatrie تحت عنوان "السلطة والروح: الأمراض النفسية لدى زعماء الدول"، على أساس تاريخي أكثر من المرضي، بما في ذلك الأمثلة المطابقة اليوم.

فهنالك تمت الإشارة في المقدمة إلى أنه: "على الرغم من أن التاريخ يعرف أمثلة كثيرة عن الصحة العقلية المتأذية في رؤوس الدول مع عواقب وخيمة إلى حد ما، إلا أن هذا الموضوع ليس موضوعاً للنقاش العلني نسبياً". لهذا سنقوم في ما يلي بتقديم عرض توليفي.

الحافة الضيقة بين المصلحة الفردية والعامة

غالباً ما يجد الأطباء أنفسهم، هكذا يذكر الباحثون، في دور أمين السر، والمطلع من جهة، والخبير الملزم بالموضوعية من جهة أخرى. وغالباً ما تكون الحافة بين مصالح الفرد والمصلحة العامة ضيقة. وهذا ينطبق على كل طبيب، وبشكل خاص على ما يسمى بالطبيب الخاص للشخصيات الكبيرة، وعلى الأخص الطبيب الخاص للسياسيين الكبار، إلا أن الأمر يصبح حساساً جداً إذا ما تم تشخيص مرض عصبي، كما كان يسمى في الماضي، لدى القادة السياسيين، أي وجود اضطراب نفسي يمتد من الزهايمر إلى الاضطرابات القهرية، بصورة أوسع مما يمكن للمرء أن يتصوره لدى الجمهور.

وليس بالضرورة أن يكون مرضاً جدياً، فهنالك عدد كبير من الاضطرابات الوظيفية الدماغية يمكن تفسيرها على أساس السن، إلا أن ما ينبثق عن ذلك عندئذ مشكلات معرفية بشكل خاص Cognition، أي ما يمكن أن نفهمه عموماً تحت مصطلح الكفاءة العقلية (التعرف، التمثل، الاستنتاج). وهنالك مشكلة أخرى تتمثل في ما يسمى بإدراك الواقع، أو باختصار: هل المعني مازال قادراً على التعرف على الواقع وتفسيره مثلما يقوم به شخص سليم بالمستوى نفسه من التأهيل؟

إنها تلك الخسارة التي على كل إنسان أن يتقبلها في يوم من الأيام عندما يصل إلى السن المناسب، إلا أن السؤال المطروح: هل المعني مازال يتولى مهمته المشحونة بالمسؤولية، وما الذي يعنيه إذا ما تراجعت قدراته العقلية، وبشكل خاص قدراته على الاستجابة الذهنية، وعندما يضمحل انفعالياً ويبدأ بسوء تقدير الواقع.

وعلى الرغم من أن الناس في الوظائف القيادية في العادة أكثر خبرة، وأكبر سناً، ومن ثم أقرب إلى ما يسمى دفع الضريبة البيولوجية للخسارة المعرفية في الكبر، إلا أن الأمر يصبح إشكالياً بصورة خاصة، ليس في تلك المجالات التي يكون فيها السن تقليدياً متقدماً بشكل فوق الوسط للوصول إلى قمة القيادة، سواء كان الأمر سياسياً أم اقتصادياً فحسب، وإنما أيضاً، وبشكل أوخم، ألا تكون هنالك ميزة وجوب، أو لزوم، الخروج على التقاعد في وقت محدد. فما الذي يعنيه هذا؟

يمكن صياغة الإجابة بصورة لطيفة، أي لماذا يفترض لأدمغة العسكريين والسياسيين ورجال الاقتصاد أن تكون مصممة بشكل مختلف عن الطيارين والمهن المقاربة، الذين يعفيهم المرء من مهامهم "في وقت مبكر" على سبيل الاحتياط؟ فرؤساء الدول معرضون للطيف نفسه من أسباب

الموت، وبشكل خاص ساعة الموت، مثلهم مثل ي مواطن عادي، بغض النظر عن خطر الاعتداء، كما نعرف من المراجع المطابقة.

أمثلة تدفع للتأمل

1 ـ واحد من أشهر الأمثلة التي يفترض أن تجعلنا نتأمل على الأقل هو ملك الدانمرك كريستيان السابع Christian VII، هذا الملك الذي جلس في القرن الثامن عشر لأكثر من أربعة عقود على عرش الدانمرك وأغرق محيطه بالخوف والرعب، يعتقد أنه كان يعاني، بتشخيص رجعي، من الذهان الزوري (البارانويا ـ اضطراب هذياني، هذا إذا لم يكن فصاماً) الذي لم يسبب كثيراً من المآسي، لأن طبيبه الخاص شتروينسي C.v.Streunsee لم يتعرف على هذه الظاهرة فحسبن وإنما استطاع أن يحيدها مراراً بطريقة علاجية سلوكية، حيث ترقى من خلال ذلك إلى موجه للدولة (وهو ما عجل في مصيره المأساوي).

2 ـ مثال ثان هو الرئيس الأمريكي توماس. و. ويلسونThomas Woodrow Wilson في بدايات القرن العشرين، الذي عاني لسنوات طويلة قبل استلامه الحكم من ارتفاع شديد في الضغط يصعب ضبطه، مع تأذ عابر في التروية الدموية للدماغ، بحيث كان يتوقع له أن يموت قبل أن يستلم سدة الحكم.

كان ويلسون الرجل الأساسي في مؤتمر السلام بباريس، حيث تم تقرير مصير ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وحتى في ذلك الوقت لفت النظر إليه من خلال النسيان، والتصرف غير المناسب، والحدة، كما عانى لاحقاً من سكتة متسعة، وشلل نصفي. وقد تم إخفاء ذلك لفترة طويلة، ولاسيما أن زوجته وطبيبه الخاص قد استمروا عملياً بإدارة المنصب، وحالا دون أن يتدخل الكونغرس ونائب الرئيس في الوقت المناسب.

وكل أولئك العارفين بشيء ما من التاريخ الحديث يعرفون أن هذا كان مجرى وخيم العواقب، بداية للولايات المتحدة الأميركية نفسها، ولأوربا بكاملها في ما بعد، وبشكل خاص ألمانيا والعالم الغربي كله. فقد قيل بأنه هنا قد تم غرس البذور الأولى للحرب العالمية الثانية، التي مهد لها من خلال المرض الشديد لسياسي بارز، عانى من نتائج ما يسمى بالخرف الوعائيVascular Dementia .

3 ـ جوزيف ستالين: الأمر الأشد كارثية هو مرض جوزيف فيساريونوفيتش تجوغاشفيلي Jossif Wissarionowitsch Dschugaschwili، الذي عرف بجوزيف ستالينJosef Stalin ، والذي لم يكن فقط ديكتاتور الإمبراطورية الروسية، أو الاتحاد السوفياتي فحسب، وإنما حدد أيضاً بشكل حاسم بوصفه شريك مباحثات صلب لزعماء الدول الغربيين (الذين لم

يكونوا كذلك سليمين نفسياً وجسدياً) مصير أوروبا الشرقية، وأجزاء من بقية العالم، ومصير السلم العالمي في العقود التالية، ومتأثراً على ما يبدو بمعاناته الخاصة بصورة مقصودة.

توفي جوزيف ستالين ("الرجل من الفولاذ") في أواسط القرن العشرين نتيجة نزيف دماغي، بعد نوبات عديدة تعطي كلها دليلاً يستحق التفكير على تطور خرف سابق، أي الضعف العقلي الناجم عن ضعف التروية الدماغية.

إلا أن ستالين كان قد أظهر منذ وقت مبكر كثيراً من سمات اضطرابات الشخصية الزورية (الهذيانية) (البارانوئية). ويمكننا تصور العواقب، فهي لم تمس الملايين من الضحايا الأبرياء فحسب، وإنما أحد أبنائه من زواجه الأول، وزوجته، وعشيقته، وعلى ما يبدو أطباء خاصين عديدين. وستالين لم يطغَ على أمته الكبيرة (المجموعة بالعنف من شعوب متعددة)، وإنما أرعب نصف العالم، وأدت سياسته بعد الحرب العالمية الثانية البشعة إلى سباق تسلح لا يعرف حدوداً.

وأكثر ما يرعب فيه كانت نزواته، وبطشه، وحساسيته المتطرفة تجاه النقد، وسلوكه اللئيم والقاسي تجاه الآخرين، وشكه وأناه المتضخمة، وتمركزه على ذاته، وغيرته المرضية بشكل خاص في زيجاته.

4 ـ فرانكلين ديلانو روزفلت: وبما أننا أشرنا في المدخل إلى أنه بالتعاون مع اثنين من رؤساء الدول الآخرين اللذان لم يكونا سليمين نفسياً وجسدياً على ما يبدو، قد قرروا مصير ألمانيا وشرق أوروبا (يالطة 1945)، فإن واحداً من أشهر الرؤساء الأميركيين فرانكلين ديلانو روزفلت Franklin Delano Roosevelt لم يكن معاقاً بشدة من خلال شلل الأطفال فحسب، وإنما كان يعاني منذ سنوات من علامات قصور في القلب، مع ضغط دم شديد، وهو ما لم يظل من دون عواقب على قدرته في الإنجاز، وبشكل خاص من الناحية العقلية والانفعالية. أما سميّه، وأحد سابقيه السياسيين قبل بضعة عقود، الرئيس الأميركي تيودور روزفلت Theodor Roosevelt فقد اعتبر هوسياً، أي كان يعاني من ارتفاع مرضي في المزاج. راجع التفاصيل في عروض الحالات في نهاية هذه المقالة.

5 ـ ونستون تشرشل: هو الحليف الثالث في ذلك الوقت. لقد كان ونستون تشرشل Winston S. Churchill رئيس الوزراء البريطاني المشهور على مستوى العالم لعبقريته في مجالات عدة، الذي لم يكن نصيبه قليلاً في نصر الحلفاء ضد الرايش الثالث، ونبغ من خلال سيرته السياسية الباكرة (والأدبية كذلك). وهو بدوره كان على ما يبدو هوسياً ـ اكتئابياً.

ففي أطواره الهوسية (ولحسن الحظ كانت تحدث في الأوقات التي كان المرء بحاجة إليها، أي في أوقات الأزمات الكبيرة لبريطانيا في أثناء الحرب العالمية الثانية) كان لا يجارى ذهنياً وجسدياً، ومن ثم سياسياً، إلا أنه في أطواره الاكتئابية كان "على الحافة" لأشهر عدة، بل حتى معرضاً لخطر الانتحار. بالإضافة إلى ذلك فقد عانى من عواقب نوبات متعددة، وذلك في آخر أيامه في منصبه. وهذا كله عرف بعد موته، وكان قبلاً أحد أسرار الدولة المحفوظة بشدة، وقاد بعد نشره (من قبل طبيبه الخاص بعد موت تشرشل) إلى فضيحة. أنظر التفاصيل في عروض الحالات.

6 ـ أدولف هتلر: أما عن الأمراضية النفسية لأدولف هتلر فهنالك كثير من التكهنات. ومما لاشك فيه أنه كان مريض باركنسون، المعروف أن له عواقباً نفسية أيضاً، وبشكل خاص الاكتئاب، مع تعكر المزاج، والانفعال، وسهولة التشتت مع التشاؤم، وحتى أفكار الانتحار. وهنالك حديث عن التهاب دماغي encephalitis شافٍ، وعن تسمم من خلال "انحيوب المضادة للغاز"، ويكمل ذلك تعلقه بالأدوية في نهاية حياته، لكن أحداً لا يعرف بالضبط تفاصيل هذه الأخيرة، ذلك أنه تم تدمير المذكرات كلها عند الهجوم على برلين، وما تبقى لا يعدو كونه إشاعات لا معنى لها حول "أنفلونزا دماغية" لهتلر، وهي التسمية الشعبية في ذلك الوقت لالتهابات محددة في الدماغ (epidemic Econom-Encephallitis) .

وكلاهما، التهاب الدماغ ومرض باركنسون يمكن أن يفسرا جزءاً من طبيعة هتلر، ولكن الجزء الأصغر فقط، إذ إنه قد يكمن خلف كل ذلك بنية شخصية محددة كانت تطلق عليها في الماضي تسمية السيكوباثيا، تسمى اليوم اضطرابات الشخصية، وهو ما يتيح إمكانات عدة في تفسير طبيعة هتلر بالذات، ومازال يناقش حتى اليوم بين الخبراء بصورة خلافية، فقد كان في كل الأحوال بالنسبة لألمانيا والعالم كله كارثة.

رؤساء الدول في الماضي القريب

لا يستثير التأمل رؤساء الدول في الماضي فحسب، والذين يمتلئ التاريخ بهم عملياً في كل العصور، حتى في العهد القديم، وإنما في العقود الماضية القريبة أيضاً.

لقد تم انتخاب الرئيس الفنلندي أورهو كيكونين Urho Kekkonen بعمر يناهز 78 عاماً رئيسياً لفنلندا للمرة الرابعة، ومن المؤكد ليس بدون سبب، فقد كان محبوباً وصالحاً سياسياً، إلا أنه اضطر بعد ثلاث سنوات للاستقالة بسبب الخرف Dementia الذي احتفظ به سراً، وكان قبل ذلك مثالاً للصحة التي لا تبلى، فقد تم تقديس شخصه، ولعقود طويلة جعل بلده سياسياً بعيداً

عن الصراع بين الغرب والشرق بسبب الحرب الباردة، ولعقود بعد ذلك، إلا أنه في النهاية كان مشتتاً وعاجزاً، بحيث أنه تم الاعتذار عن اللقاءات الرسمية المهمة بسبب "الأنفلونزا"، ناهيك عن المشاهد المخجلة (التي جالت العالم كصور بعد ذلك).

ولا يمكن اتهام الناخبين بأنهم في النهاية لم ينتخبوا كيكونين الحقيقي، وإنما انتخبوا تصورات رغباتهم عن الملك الذكي والمعافى للأبد. ويطلق علماء الاجتماع على مثل هذا الأمر "الحكم الكاريزمي" الذي يترقى فيه الحاكم بسبب صفات محددة، ولاحقاً لا يعود أحد يشكك فيه، وكلما طال أكثر، قل الانتقاد.

وقد قاد هذا لاحقاً إلى أنه على الرئيس الفنلندي أن يقدم تقريراً صحياً كل سنة.

كان رونالد ريغن واحداً من أكثر الرؤساء الأميركيين نجاحاً، على الأقل من الخارج. وكانت ظروف انطلاقه جيدة، لأن سابقه الرئيس جيمي كارتر ظل باهتاً خارجياً وداخلياً، مع العلم أنه حصل على جائزة نوبل للسلام بسبب تدخلاته النزيهة أخلاقياً وسياسياً. وقد قدم ريغن نفسه بوصفه كان في السابق ممثلاً محبوباً، ليس فقط في أدوار الكاوبوي، في تلك الصورة المثالية التي ربما لا يأخذها الأميركان على محمل الجد بشكل كبير، ولكن يحفظونها في قلوبهم في الواقع، ألا وهي صورة "الفشار" الناجح، سواء في الحياة اليومية، أم في السياسة.

وحتى بعد الاعتداء عليه في عام 1981، وعملية سرطان الأمعاء في عام 1985، مع ضرورة تناول الأدوية القوية المسكنة للألم والمهدئة، لم يسلم مهامه إلى نائبه، إلا في ما ندر، إلا أن الأطباء وعلماء النفس والصحفيين يتساءلون اليوم في ما إذا كانت قد تراجعت قدراته العقلية في ذلك الوقت. إذ إنه لاحقاً، أي بعد انتهاء مدة رئاسته، ظهر بنفسه في وسائل الإعلام، وأعلن أنه يعاني من خرف الزهايمر، هو خطوة مثيرة للإعجاب، لأنه بهذه الخطوة قد "نزع" عن هذه المعاناة الوصمة، ومن ثم نزع جزءاً من الخجل عن كثير من المعنيين وأقاربهم.

وقد تطول القائمة في عصرنا الراهن، بدءاً من الأمراض الجسدية، مع عواقب نفسية واجتماعية نفسية، وصولاً إلى الهذيان المثير، من نحو أنور خوجة Envar Hodscha الدكتاتور الألباني على سبيل المثال، وإن كان لا ينتهي الأمر في الدولة (الغربية الديموقراطية) الحديثة كما هو الحال لدى الملك لير، في الدراما المشهورة لويليام شكسبير، الذي انتهى فيه الانحلال النفسي-العقلي بزوال ملكه كلية، فإنه لا يمكن اليوم استبعاد أن يحاول المرء لأسباب استراتيجية - سياسية أن يحاول إخفاء ما يمكن إخفاءه، طالما الأمر قابل للستر.

ولكنْ، ما الذي يمكن للمرء فعله إذا كانت المؤسسات والسياسيون المعنيون عازمون على رفض ذلك، فمن يستطيع هنا أن يساعد بعلمه التخصصي؟

ما الذي يمكن عمله، وما الذي ينبغي عمله، وما العمل؟

المشكلة واضحة: فالفشل العقلي يحصل أيضاً في قمة الدول، سواء أردنا إدراك ذلك أم لم نرد. وإذا كان يمكن التنبؤ بالأمر عموماً، فهو في الحالات الفردية فقط. لهذا علينا أن نفكر في وقت مبكر بمثل تلك الإمكانات، إذ إن الكفاءة العقلية، أو عدمها، لرئيس دولة ما يعد "كعب أخيل"[1] الأمة. فحتى لو كان الشعب لا يطلب أن يقبع عبقري في قمة السلطة، إلا أنه يرغب بوجود قدرات (فوق المتوسطة)، في ما يتعلق بالتفكير المنطقي والتجريد والاستنتاجات الملموسة على سبيل المثال، وإذا كان بالإمكان أيضاً السلامة الأخلاقيةmoral integrity.

ولكن في ما إذا كانت هذه الرغبة قابلة للتحقيق، أو حتى مبررة، فهذه مسألة أخرى. فعلى الرغم من أننا نعيش في ديموقراطية تمثيلية (نيابية)، وللجميع تأثير على الانتخابات الشرعية، ولكن بهذا لا نكون قد امتلكنا الرؤية اللازمة بعد، وعلى ما يبدو بتناقص مستمر على الرغم من التأثير المتزايد للإعلام.

وهكذا يقف السياسيون عموماً، ورؤساء الدول بشكل خاص، من خلال الإعلام، تحت الأضواء، ويتضح باطراد بأن الضعف العقلي سرعان ما يصبح قضية عامة. وهذا ينطبق على الأمة ذاتها، وعلى الخارج أيضاً، وبشكل خاص في الزيارات الرسمية، أي في المواقف الحرجة التي يكون فيها الجميع في أعلى درجات التوتر. وهنا توجد مجموعة كبيرة من الأمثلة التي سنشير منها إلى الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسنBoris Jelzin ، والذي توهم ببلد مختلف كلية غير موجود على الإطلاق، وأراد توقيع اتفاق معه. فهل كان مجرد إنهاك، أم بدأ بسبب الأذى الناجم عما يسمى هنا التهاب دماغي كبديhepatitis encephopathia بعد إساءة استهلاك الكحول؟ هنالك كفاية من نقاط الشك، والقليل من النتائج الموضوعية والمنشورة بشكل خاص، ويظل المتخصصون معتمدين على التخمينات.

وهنا، فإن السياسيين الكبار هم بشر مثلهم مثل أي إنسان آخر، ولا يحتاجون في النهاية شيئاً غير التشخيص المبكر والصريح، والعلاج الهادف بعد ذلك، إلا أنه يتم تغطية السياسيين بشكل محكم hermetic لأسباب وجيهة، ليس فقط في الدول الديموقراطية التي غالباً ما لا تكون رؤيتها مختلفة عن الديكتاتوريات (أو ليس عليها ذلك؟)، والتكتم على الأمر هو الحل بأي منظور، وهذا الحل هو النصيب أو المصير الذي يمنع المريض المحتمل في مرتبة القيادة من الحصول على العلاج الهادف، وهذا ينطبق على المعاناة الجسدية ولكن على النفسية أكثر.

وهنا كذلك توجد مجموعة من الأمثلة، التي يعد توماس إيفلتون Thomas Eagelton واحداً من أهمها، الذي كبح في "أكبر دولة حرة في العالم"، الولايات المتحدة الأميركية بوصفه من

سياسيي القمة قبل أن يتسلم منصبه. أنظر عروض الحالات لاحقاً.

إلا أنه يمكن للمرء أن يتساءل أيضاً في ما إذا كانت تكتيكات التغطية تلك السبب الحقيقي الوحيد لعدم كون الاستقرار العقلي والنفسي لرؤساء الدول هي الكامنة خلف عدم تحول هذا إلى موضوع شائع للنقاش العام. ربما يكون السبب المفرح أن سياسيي القمة هؤلاء هم بالفعل أصحاء بشكل فوق المتوسط، إلا أن احتمال ذلك ضئيل. أو أنه قد لا ينظر المرء بدقة كافية عند طرح السؤال: إلى أي مدى قادتنا السياسيون قادرون؟ ويتجلى هذا على سبيل المثال في اللامبالاة، وفقدان الاهتمام، والتصديق الساذج، والتقشف السياسي ("ما الذي يهمني ما يحصل هناك في الأعلى")، أو ببساطة بسبب الانصياع للسلطة، والتمجيد الفارق بالأمل، في ما يتعلق بالأب السياسي، وبالرمز في قمة الدولة، وهو أمر منتشر بكثرة أكثر مما يمكننا تصوره.

أم هو نوع من الخجل الجماعي، مس مخجل يجعلنا نغمض عيوننا، إذا ما فقد شخص ما القدرة على المعاوضة النفسية. فمثل هذا الأمر لا يجده المرء لدى الأقارب فقط، وإنما لدى الأصدقاء والجيران وزملاء العمل. حتى إن الخرف، أي الضعف العقلي المرتبط بالشيخوخة، مع عواقبه السلوكية الشاذة الممكنة، أو حتى الدقة الشديدة هي أكثر إشكالية من مرض نفسي واضح. ويرجع هذا إلى إمكانية أنه يمكن في الواقع أن يصيب أي إنسان وصل إلى سن الشيخوخة، المرغوب بالأصل، ولكنه في الوقت نفسه سن معرض لخطر الإصابة بالخرف من جهة، ومن جهة أخرى يرجع إلى السن المتقادم والكيفية التي يتطور بها المرض، وأخيراً في استحالة التأثير على ذلك على المدى البعيد، على الأقل حتى اليوم، سواء بالعلاج الاجتماعي، أم بالنفسي، أم بالدوائي.

وإلى جانب الأنماط السلوكية الثورية، تضاف بالنسبة للأنظمة غير الديموقراطية أنماط سلوك مشؤومة. ("على المرء أن يترك الأمر للقدر أن يقرر"). هكذا يقول الاستنتاج اليائس الاستسلامي، الذي نجم عن دراسات التاريخيين والباثوغرفيين (دارسي السيرة المرضية (Pathographen)، ومن جهة أخرى فلو تصرفت مملكة بافاريا، أو حكومته اليائسة، في ذلك الوقت ضد لودفيج الثاني Ludwig II، بصورة مبكرة وحاسمة لما كانت هنالك حكايات عظيمة تستثمرها اليوم حكومة بافاريا الديموقراطية. وبالمناسبة، فإن الشعار القائل: "سوف يتغير الوضع"، أو "لن يحصل إلا الخير"، "لا يصح إلا الصحيح"، لا يحقق وظيفته المواسية إلا إذا كان الإنسان يعتقد بحاكمية الله (وهي ليست تصورات عفا عنها الزمن، والتوق المطاق لعدد متنام من المواطنين التعبين من الديموقراطية والبيروقراطية يتحدث عن نفسه).

إمكانية أخرى هي تكتيك الطبيب الدنمركي الخاص شتروينسي Streuensee المذكورة

الذي حاول الحفاظ على الملك، أو الرئيس اليوم، كمظهر، أو كشكل، وأدار الأعمال الرئاسية من وراء الكواليس إن صح التعبير (وهو ما حصل أيضاً في أميركا الحديثة من خلال زوجة الرئيس المريض بشدة، ويلسون Wilson، وكذلك في ألمانيا مع الرئيس الاتحادي لوبكه H. Luebke، ويعتقد أن الأمر قد سار بسلام.

وأخيراً، يمكن الحفاظ على وهم القائد العظيم عند الشعب عبر القوة البيروقراطية والعسكرية، وبشكل خاص من خلال وسائل الإعلام الموجهة من الدولة. وعلى الرغم من أن هذا خدعة: illusion (مشتقة من الكلمة اللاتينية illudere، وتعني السخرية، الهزأ، التهكم) بالمعنى الحرفي للكلمة (أمثلة: المكتب السياسي للصين الحمراء، وفي الاتحاد السوفياتي السابق، واليوم في شمال كوريا)، إلا أن لهذه الطريقة حدودها وإمكاناتها في الدول الديموقراطية.

ويصبح الأمر أصعب لدى الرؤساء في الدول الديومقراطية، حيث تكون السلطة في يد الشعب نظرياً، والقرار يرجع إلى النواب والقضاة. فما هو الوضع القانوني الراهن، في ألمانيا على سبيل المثال؟ في ما يلي بعض الأفكار حول الكيفية التي يناقش فيها هاوشتاينر، ويفاو C. Hausteiner & B. Pfau في المقال المذكور سابقاً:

في حال مرض المستشار الاتحادي هنالك إمكانية طرح تصويت الثقة البناء، والذي يمكن طرحه أيضاً عند الشك بوجود عدم كفاءة في المنصب. كما يمكن للبرلمان الألماني (البوندستاغ Bundestag) أن يقرر أن ينوب عن المستشار نائبه لبقية الدورة الانتخابية. وكممثل للرئيس الاتحادي، يعمل في البداية رئيس المجلس الاتحادي. أما "الدعوة الرئاسية" التي يمكن لمجلس النواب أن يرفعها أمام محكمة حماية الدستور، إذا ما كان هنالك شك بمخالفة الدستور بصورة متعمدة من قبل الرئيس الاتحادي، فإنها في هذه الحالة لا يمكن أن تنجح، إذ إن إمكانية الانتخاب مرتبطة في ألمانيا بالقدرة على ممارسة العمل. لهذا يتم إلغاء منصب المستشار والرئيس بشكل إلى إذا ما كانت هنالك ضرورة تحويل المستشار، أو الرئيس إلى مستشفى الطب النفسي بمعنى قانون الرعاية، وهذا ما تقرره في النهاية المحكمة الابتدائية في برلين.

وبشكل عام، ينتقد الخبراء هذا الوضع القانوني بأنه غير محدد في ما يتعلق بهذا الأمر في الدستور، إلا أن هذا "الوضع الجدي" لم يحصل حتى الآن في تاريخ ألمانيا الاتحادية.

وتوحيد سن التقاعد سيكون من المؤكد من أكثر الاقتراحات الخالية من الخيال لتنظيم عدم كفاءة التصرف السياسي المرتبطة بالمرض، فعدد السياسيين النشطين سياسياً في سنوات العمر المتقدمة والمتقدمة كثيراً تثير الدهشة أحياناً (ولا يعد مستشار مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية في ألمانيا كونراد آديناورKonrad Adenauer مثالاً وحيداً على ذلك. ناهيك عن أن كل واحد منا

يعرف أمثلة من الإنجازات الإبداعية في ما يسمى بسن التغيرات الارتدادية، أو سن التراجع، أو السن المتقادم.

وهنالك إمكانية أخرى تتمثل في الفحص العصبي - النفسي لكل الأشخاص في المواقع ذات المسؤولية الكبيرة، ففي الولايات المتحدة الأميركية هنالك كثير من الأصوات التي تطالب بلجنة متخصصة تقوم بنصح الكونغرس في حال الضرورة على سبيل المثال بأن يتم نقل المسؤوليات إلى نائب الرئيس. وعلى الرغم من أنه منذ عام 1972 على المرشحين الرئاسيين أن ينشروا تقريراً حول صحتهم (وهذه كانت فضيحة إيغيلتون Eagelton- أنظر لاحقاً)، إلا أنه حتى الآن لم يطبق هذا الأمر سوى قليل من مرشحي الرئاسة.

أما الاقتراح بإجبار الفاحصين الطبيين المرشح على نشر تقرير حول صحته لمصلحة الدولة إذا ما امتنع المرشح عن ذلك، فسوف يقود بالطبع إلى مشكلات قانونية وأخلاقية كبيرة، وبالدرجة الأولى واجب الكتمان للطبيب، إلا أنه يجوز أن يتم خرق واجب الكتمان حسب قانون التنظيم المهني عندما تكون حماية مبدأ قانوني عالي القيمة (أي، كمثال متطرف هنا، عندما يعرف الطبيب بأن مريضه يخطط لجريمة).

لهذا فإن أولئك الذين يحذرون بوجوب التحفظ يبررون الأمر على النحو التالي: إن الجمهور يستفيد من السياسي الذي يراجع الطبيب عندما يحتاج إليه أكثر من ذلك الذي يخشى من التعامل مع الأطباء، لأنه عليه أن يخشى من تدمير سيرته السياسية (أو أي أمر آخر).

بالإضافة إلى ذلك، يطرح السؤال نفسه في ما إذا كان ينبغي منح الأطباء والنفسانيين السلطة بالفعل لتقرير كفاءة المنصب للسياسيين، حتى أنه يوجد خلاف بين الأطباء في هذا الأمر، وهو لا يتعلق في النهاية فقط بنوع المعاناة، أو الفرع الطبي المعني، والمتخصصين فيه، ففي المسائل العصبية فإن مجال تفسير التشخيص ضيق نسبياً (سرطان دماغ، التهاب دماغ.. إلخ)، أما في الأمراض والاضطرابات النفسية فإن الأمر يختلف. ففي مجال بنية الشخصية بالتحديد، ومن ثم اضطرابات الشخصية، فإن الحدود بين "السواء" و"الاضطراب"، حتى "المرضي"، واسعة جداً، وغالباً ما تكون مطاطة. وهذا ما يعرفه السياسيون أنفسهم، الذين يقوم على خدمتهم في بعض البلدان (من نحو الاتحاد السوفياتي السابق) أطباء مطيعون، يلصقون سمة المرض النفسي بمنتقدي النظام ومعارضيه، من أجل نزع صفة المصداقية عنهم. ومن ناحية أخرى، هنالك أمثلة مرعبة واسعة من هذه المجموعة، من نحو الديكتاتور الكمبودي بول بوت Pol Pot، هذا الدكتاتور الذي كان في يوم من الأيام طالباً موهوباً في فرنسا، قرأ كل الفلاسفة والماركسيين الكبار، ولكن وعندما أصبح في السلطة في بلده الصغير في الشرق الأقصى، ذبح

ثلث شعبه، لأسباب سياسية معقولة بالنسبة له، كما يقال.

إن أي تشخيص نعطيه للمتطرفين الأصوليين، أي من السياسيين، هل هم "منطقيون consequent"، وأيهم متطرف، أيهم نرجسي (مغتر بنفسه متعجرف وسريع الغضب وأعمى البصيرة)، أو أليس النرجسيون في الحياة اليومية هم سياسيون أفضل؟ إلى أي مدى تتقارب العبقرية والجنون من بعضهما، وهو ما لا يسري فقط على الفن، وإنما أيضاً على السياسة والجيش.

وعليه، يرجح معظم الخبراء، كلهم وبشكل خاص الأطباء الذين يعنيهم هذا الأمر بشكل خاص الآراء التالية:

ينبغي عدم التقليل من أهمية الاستغلال الممكن لتنظيم يجعل كفاءة الحكم متعلقة بالحالة العصبية والنفسية. فالسلطة ينبغي أن تظل بيد الدولة، أو ممثليها غير الطبيين. ولا يستطيع الأطباء النفسيون وأطباء العصبية والمتخصصون النفسانيون التعبير عن آرائهم إلا إذا رأوا أن الأمر مناسب، أو ملح، وجهزوا الأرضية للإحساس اللازم بالتوعية والإجراءات الوقائية، وبعدئذ يتدخلوا إذا كان الوضع الجسدي والنفسي والاجتماعي النفسي يتطلب ذلك بالفعل.

وتقدير درجة التضرر impairmentهو من واجب الأطباء، أما الحكم على أهلية إدارة المنصب disability فهو من مهام الهيئات السياسية والقضائية.

ويخضع الأطباء النفسيون يومياً لمواجهات مهماتهم وبشكل خاص لحدودها. وقد يقبع ذلك في عدة طبقات تحت ما نناقشه هنا، إلا أنه يشمل أطر المشكلات نفسها، وهذا يبدأ مع السؤال التافه ظاهرياً: من يمتلك حق الخروج في أثناء العلاج المركزي، وكم هي المدة؟ هل هذا القرار مهم؟ في غالبية الحالات ليس كذلك، ولكن يمكن عند سوء تقدير الواقع أن يقود إلى اليأس والضياع، أو التشتت، وأحياناً إلى إلحاق الأذى بالنفس، ومن ثم إلى خطر الانتحار. وفي التقويم الطبي الشرعي للمرضى نفسياً، أي المرضى النفسيين المحكومين، يصبح الأمر أكثر إثارة، فمن شأن هروبهم، أو حتى عدم العودة في الوقت المناسب، بعد الإذن لهم بالخروج، أن يسبب كثيراً من الإثارة لدى الجمهور. وأخيراً، كمثال على المسائل التفريقية، نطرح الفكرة التي مفادها: هل يسمح لطيار مكتئب بالطيران؟ أم هل هو بسبب خسارته الاستعرافية (الذهنية) المرتبطة بالمرض غير قادر لفترة عابرة؟ ناهيك عن إمكانية التصرفات الانتحارية (إمكانية انتحار موسع مع الركاب، توجد على الأقل أمثلة تخمينية).

وبهذا، فإن الأطباء النفسانيين يشهدون كل يوم مدى صعوبة التمييز بين المصلحة الفردية (المريض) والمصلحة العامة. ومع ذلك ينبغي في كل يوم أن يتم إيجاد إجابة مستجدة. إنه توليف،

ناجم عن السعي نحو الحقيقة والعدالة، بغض النظر على أي مستوى من "الرجل العادي في الشارع" إلى رئيس الدولة. (عن C. Hausteiner & B. Pfau).

مختارات من أمثلة مشهورة من التاريخ الحديث

رؤساء وحكام بوظائف عسكرية

1 ـ أبراهام لينكولن: كان Abraham Lincoln (1809 ـ 1865) الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأميركية لأربع سنوات، إلى أن تم اغتياله في إحدى زياراته للمسرح من متعصب من الولايات الجنوبية في 1865/5/15. وقد تم انتخابه عقب انقسام في الحزب الديموقراطي الذي سبب حرب الانفصال الدموية بين ولايات الشمال والجنوب الأميركية، التي قادها لينكولن بشكل أساسي لتوحيد الأمة. وكان تحرير العبيد بالنسبة له مسألة سياسية جانبية، حتى وإن كانت نتائجها الإيجابية قد قادت لعواقب واسعة المدى. وبعد انتصار الولايات الشمالية نادى بسياسة تصالحية، مما قاد إلى الاصطدام بانتقادات كثير من المواطنين المتطرفين، ولم تحمه هذه السياسة من الاغتيال على يد أحد الجنوبيين (ولكن من ناحية أخرى شجع على تلك الأسطورة التي جعلته مجسداً لكل الفضائل السياسية للشعب الأميركي).

وقد عاني لينكولن، سواء عندما كان محامياً، أم عندما أصبح رئيساً للولايات المتحدة من أطوار اكتئابية متكررة (مثبتة من خلال الرسائل والجرائد في ذلك الوقت والمذكرات واتفاق الأصدقاء المقربين). والميلانخوليا كانت طبيعة سائدة، من دون سبب معقول، وبصورة إرجاعية يتم الآن تفسير "حالات اليأس والإنهاك" لديه، والتي كانت تتبادل مع أطوار من القدرة المرتفعة على الإنجاز، على أنها شكل خفيف من المرض الهوسي الاكتئابي (الذهان الوجداني ثنائي القطب)، إلا أنه هذا الأمر لم يكن وفي زمنه موضوعاً للنقاش العلمي، فعلمياً لم يتم إلا لاحقاً اعتباره كنتيجة لسقوط ترافق مع كسر في الجمجمة، وإصابة في الدماغ، وفي ذلك الوقت كانت المعارف حول الأساس البيوكيميائي لمثل هذه الأمراض ضئيلة بعد، إلا أن المهم من المنظور الوراثي كانت الإشارة إلى أن والد لينكولن أيضاً وصف بأنه كان في شبابه غير راض ومتقلب، ثم يتحول فجأة إلى الحيرة والاندفاعية، مثل ابنه في العمر نفسه (حالات اكتئابية طفيفة وفي النهاية شبه هوسي؟).

وقد تجلى هذا في وقت مبكر في مراسلاته، ففي عمر 29، وبعد موت حبه الأول غرق في اكتئاب شديد، وشرد غائباً في الحقول، وحول الأنهار، واضطر أصدقاؤه إلى مراقبته، واستبعاد كل ما يمكن أن يستخدم بالانتحار. وعلى الرغم من أنه يمكن أن نسمي ذلك بالاكتئاب

الارتكاسي (مثير معروف، موت حبيبته)، إلا أنه من الممكن أن يكون هنالك إرهاق وراثي، واستعداد بيولوجي لاكتئاب داخلي المنشأendogen Depression في "حالة انتظار"، كما هو الحال غالباً. على أية حال، فقد ظل لينكولن لفترة طويلة بعد فترة الحداد معكر المزاج ومنخفض الإنجاز.

وأخيراً، تزوج (طبيعة زوجته كانت معاكسة كلية لطبيعته)، إلا أنه انزلق في يوم العرس باكتئاب شديد وصل إلى حد خطر الانتحار. وقد تكررت هذه الحالة مراراً، وإن ظل المرء يبحث دائماً عن أسباب جديدة (إنهاك، أنفلونزا... إلخ). وكذلك لاحقاً عندما أصبح رئيساً دفع مستشاريه للارتباك بسبب نقص الحيوية، إلا أنه كانت هنالك مراحل أيضاً كان فيها ودوداً، واجتماعياً، وسميراً، ويروي الطرائف والنكات ويضحك ويُضحك الآخرين، إلا أنه أحياناً كانت هذه الحالة تنقلب فجأة إلى تجهم وصمت وانغلاق. وفي النهاية، يقال إنه أحاطته نسمة من الميلانخوليا باستمرار، على الرغم من أنه قد تمت محاولة الحفاظ على ذلك بشكل سري.

وقد شخص الأطباء النفسانيون الأميركيون، مع كل التحفظ، عندما يتعلق الأمر باستنتاجات رجعية عن الماضي بوجود نقص في التوثيق والتكتم السياسي الرسمي، وجود اكتئاب دوري شديد مع خطر الانتحار، وهوس خفيف على الأقل. وربما تكون الأحداث السلبية قد أثارت هذا الأخير أحداثاً سلبية، حصلت لينكولن (خسر المعركة للفوز بمقعد سيناتور مهم، لكنه لم يكن يائساً بعد هذا، وإنما انقلب فجأة إلى شخص أكثر نشاطاً وأكثر إصراراً من السابق).

ويذهب الأطباء النفسانيون الأميركيون، بناء على الظروف الراهنة، وبشكل خاص في ما يتعلق بالتاريخ السياسي والسيكوباثي للسيناتور توماس إيغيلتون (أنظر هناك) من أن أبراهام لينكولن اليوم لم يكن ليتمكن من الوصول إلى مرشح للرئاسة. ولكن بما أنه يعد من كبار الرؤساء الأميركيين فإنه يعد من بين تلك الأمثلة التي يفترض لها أن تدفعنا للتأمل، في ما إذا كان ينبغي "استبعاد" أي واحد بتاريخ "مرضي" سابق من تولي منصب مسؤول، مهما كان هذا المنصب.

2 ـ تيودور روزفلت: تمتلك الولايات المتحدة الأميركية Theodor Roosevelt رئيسين مهمين من الناحية الطبية (قبل جورج بوش الابن.. المترجم) يحملان الكنية نفسها، واللذان، وعلى عكس غالبية زملائهم في منصب الرئاسة، دخلا التاريخ. الأول هو فرانكلين ديلانو روزفلت (Franklin Delano Roosevelt) (1882 ـ 1945)، والآخر تيودور روزفلتTheodor Roosevelt (1857ـ 1919)، وهذا الأخير مهم جداً من الناحية النفسية.

أطلقت عليه في السيرة الذاتية السياسية أكثر رؤساء أميركا شعبية، ويرجع حبه الكبير في عصره كقائد لفوج من المتطوعين في الحرب الإسبانية الأميركية 1898. فبعد قتل سابقه تولى

الجمهوري المحافظ منصب الرئاسة، وكافح في السياسة الداخلية بشكل خاص ضد فساد التكتلات، وحقوق امتيازات شق قناة بنما. وفي آسيا مارس سياسة "الباب المفتوح" الإمبريالية، وأرسل الأسطول الأميركي إلى كافة بقاع الأرض من أجل استعراض القوة الأميركية، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى بدأ (في بعض الأحيان كشخص غير رسمي!) بتشكيل مجموعات متطوعين من جديد للقتال ضد ألمانيا، إلى أن امتنع الرئيس الأميركي ويلسون عن إعطائه الموافقة. وعلى العكس، تم منح روزفلت لوساطته في اتفاق السلم الروسي الياباني عام 1905 جائزة نوبل للسلام. هذه باختصار سيرته الذاتية المحترمة، ولكن ما هي ملاحظات الأطباء النفسيين؟

بالفعل، فقد اعتبر رئيساً موهوباً بشكل غير عادي، وعلى عكس لينكولن كان مزاج روزفلت منشرحاً، وكانت الحياة تعني له كفاحاً دائماً. كان نشيطاً بشكل لا يعرف الكلل والملل. كانت شخصيته الجارفة (بالمعنى الحرفي للكلمة) تختلف عن كل الرؤساء السابقين في البيت الأبيض، إذ لم يحظ أحد بإعجاب كبير مثله (وهو ما تمكن منه لاحقاً جون كينيدي).

فقد كان في عيون معاصرية تيدي روزفلتTeddy Roosevelt كأهم رجل في عصره، وانعكس حبه الواضح للحياة في مزاجه التفاؤلي المرتفع في النهاية على كل الأمة. وقدرته غير العادية على الإنجاز، واستعداده الدائم للانشغال والتفكير بمشاريع جديدة اكتسحت معها الملايين. فمن خلال مجرد وجوده كان ينشر حسب أقوال محيطه شعوراً عارماً لحب الحياة والطاقة ويشيع جواً من السعادة الكبيرة (وهي سمة مميزة للمزاج الهوسي)؟

وكان نشيطاً منذ أن كان يافعاً، وعلى الرغم من صحته الضعيفة كان نضجه مبكراً. وفي سن الطفولة لفت النظر إلى أطوار من المزاج المرتفع من خلال القدرة المرتفعة على الحديث، وهو ما ستمر طوال حياته حتى أنها كان تشتد في بعض الأحيان، وعلى الرغم من صحته الضعيفة (أو ربما بسبب صحته الضعيفة) تدرب بكثرة إلى أن وصل في شبابه للكسب في القفز العالي، والوثب بالزانة، وأصبح ملاكماً جيداً. وقد سارت دراسته بصورة غير ملفتة للنظر، إلا أنه لم يستطع التلاؤم بشكل جيد مع "الأسلوب الهارفاردي الراقي" لجامعته، فقد كان يتكلم هناك كثيراً، واعتبر عصبياً ومتقلباً، ولهذا أصبح غير محبوب باطراد، وكان نوعاً من المسخ للجميع. وبهذا فلم يكن له كثير من الأصدقاء، ويقال أنه كان في بعض الأحيان يكتئب من هذا. وعلى الرغم من أنه اعتبر صالحاً على أساس من أدائه في الامتحانات، إلا أنه بالكاد يمكن أن يكون شخصية قيادية.

تزوج روزفلت من فتاة هادئة، عندما غادر هارفارد. وكان تأثيرها عليه معتدلاً، وماتت بعد أربعة سنوات بعد ولادة إحدى بناته. وبعد سنتين تزوج للمرة الثانية، وأنجب خمسة أولاد.

ومنذ وقت مبكر، انزلق في سمعة السياسي الشاب المتوتر وغير الصبور، وقد عرض هذا سيرته للخطر، إلا أنه على الرغم من ذلك صعد شيئاً فشيئاً، وأخيراً أصبح حاكماً governor. وقد عمل كثيراً، بل أكثر من الكثير، وتحدث كذلك بالدرجة نفسها. وفي أثناء هذه السنوات مر أحياناً بأطوار اكتئابية بسيطة، وأطوار من المزاج المرتفع بشكل طفيف، ولكن هذا لم يعقه عن ترقيه. وإلى جانب ذلك كانت له اهتمامات كثيرة ومتعددة جرى وراءها بنهم لا ينتهي للمعرفة والخبرة. ونادراً ما كان غير نشيط عقلياً، أو جسدياً. وفي الهيئات المطابقة، خصص قدرته غير العادية على الإنجاز لمكافحة الفساد، ونجح في ذلك، وأخيراً انتخب رئيساً لشرطة مدينة نيويورك، وهو ما قاد إلى أعمال شغب كبيرة، إلا أن هذا جعله أكثر شهرة (وبشكل خاص من خلال جولاته الليلية للحفاظ على الأمن والنظام). فهو لم يكن بحاجة كبيرة للنوم، إذ كان يعود لحيويته الكاملة بعد استلقاء بسيط على الأريكة (وهو أمر مميز لظاهرة الهوس).

ولكنه ظل من دون أصدقاء تقريباً كما في السابق، وهو ما كان يضايقه، وقد نصح بالتقليل من الكلام، وبشكل خاص أمام الملأ، إلا أنه لم يتمكن من هذا. وفي الحرب الإسبانية الأميركية شارك برتبة عقيد (كولونيل) في سلاح الفرسان، وكان يكاد لا يستطيع الانتظار للدخول في الحرب، واشتهر في النهاية من خلال نصره العارم، وأصبح مهيب الجانب، ومحترماً ومكرماً. وقد تمكن بشكل خاص من تحريض "رجاله" على القيام بأفعال لا يمكن تصورها (وهو ما قاد في كل الأحوال إلى كثرة عدد الخسائر في مجموعته، ولكن هذا لم يزعجه).

في عام 1899، أصبح حاكماً لمدينة نيويورك، وازداد معه ضغط العمل أكثر من ذي قبل. ومن أجل التخلص منه، عرض عليه منصب نائب الرئيس (على أمل أنه لن ينجح، ومن ثم "سيموت سياسياً")، وهو ما لم يأخذ منه حماسه، بل على العكس.

وعندما تم اغتيال الرئيس الأميركي حل محله، وأصبح بعمر 43 سنة أصغر رئيس في هذا المنصب.

وهنا بدأ الأمر بشكل صحيح: فقد أطلق عليه معارضوه تسمية "المجنون"، وكتب أحد أشهر نقاده: "ليس هنالك أخطر من السلطة التي تمارس من طاقة غير طبيعية". وبالفعل فقد خشي حتى مؤيدوه وأصدقاؤه السياسيين بأن طاقته الصراعية قد ارتفعت إلى المستوى غير الطبيعي. فقد أغرق صعوده إلى مركز الرئاسة عدداً ليس بالقليل بالقلق، حيث كان يخشى من أن تتأثر قراراته بمزاجه.

إلا أن طبيعته كانت ساحرة بالنسبة للغالبية، بحيث أنهم أصبحوا أكثر اهتماماً بشخصه أكثر من خطبه وأفعاله. وبشكل خاص كان على استعداد دائم بلا توقف، إلى درجة أنه كان

ينتظر الجميع انهياره، والذي لم يحدث رسمياً أبداً. فقد كان اندفاعياً وغير سياسي، وغالباً ما أسفر مزاجه العالي عن نوبات غضب، حيث لم يعد حينها قادراً على التفكير السليم، وتورط في تناقضات، ولم يقدم مظهراً جيداً في مثل هذه النوبات من الغضب (من نحو عمليات قذف وتجريح حاول من خلالها دب الخوف في محرري الصحف والقضاء، وهو ما لم يحقق النجاح بفضل الديموقراطية الأميركية الراسخة).

وهكذا، تحول البيت الأبيض أحياناً إلى "مرجل شعوذة حقيقي"، حيث كان يفضل الاعتماد "على الرجل البسيط من الشارع" أكثر من الوزير، أو السيناتور، أو أعضاء الكونغرس والخبراء. وإلى جانب ذلك ظل لديه الوقت لقضاء وقت الفراغ والرياضة (وخصوصاً الخيل والمصارعة!) والأدب ومآدب العمل الطويلة، التي سيطر عليها كلية من نقطة أو فاصلة. وكان يعترف له بأنه حتى المتخصصين في ميدانهم كانوا يندهشون من سعة اطلاعه. وقد امتد هذا إلى درجة أنه قد تم وصفه بأنه إلى جانب شلالات نياغارا يمثل ثاني أعظم عجائب الطبيعة في الولايات المتحدة الأميركية.

وما كان يميز نشاطه الضخم أيضاً هو عدد الرسائل التي يقال أنه كتبها: فقد بلغ عددها حوالي 150000 (مئة وخمسون ألف) رسالة (تبقى منها ثلثا هذا العدد). أما مخطوطاته المكونة من إصدارات ومقالات وخطب وبحوث فقد بلغت 20 جزءاً.

وبعد أن سلم منصب الرئاسة بالتداول النظامي بأسف شديد ("أحب منصبي")، حاول توجيه طاقته الهائلة إلى أقنية أخرى، من نحو إنجازات جسدية غير عادية، ورحلات خطيرة على سبيل المثال (وقد كان في ذلك الوقت زائد الوزن، وفاقداً للبصر في إحدى عينيه). وعلى الرغم من إنه قد جعل نفسه في ذلك الوقت لا يطاق في بعض الأحيان ("لقد أعطيت البابا والقيصر الألماني دروساً إضافية مساعدة في الأخلاق، أو الإيتكيت")، إلا أنه ظل يعد في الولايات المتحدة الأميركية المواطن الأول. وحاول الوصول ثانية للبيت الأبيض، ولكن بلا طائل. وتوفي بعمر 62 سنة.

وقد حاول الأطباء النفسيون والمتخصصون النفسيون ذوي التوجه التحليلي النفسي في دراساتهم للسيرة المرضية وضع تفسيرات سيكودينامية متنوعة، إلا أن الأطباء النفسانيين يشيرون إلى أن تيودور روزفلت يعد بالنسبة لهم واحداً من المرضى الهوسيين الاكتئابيين التقليديين، مع العلم أنه على ما يبدو حظي بنعمة أطوار قصيرة، أو خفيفة، من الاكتئاب، في ما عدا ذلك نوبات طويلة من الهوس، أو على أطوار خفيفة من الهوس. يضاف إلى ذلك بنية شخصية مفرطة المزاج على ما يبدو، وهو ما حافظ "بشكل مخفف" على نوع من الاستمرارية الهوسية الخفيفة.

ولم تتعرض الولايات المتحدة الأميركية خلال فترة ولايته إلى أضرار جدية، بل إن الجمهور

العريض كان متحمساً. أما التحفظات فقد أتت من أولئك الذين كانوا مستبصرين، سواء سياسياً أم طبياً ـ نفسياً، لما كان يحدث هنا. ومحاولة روزفلت لوضع قدمه في مكان ما بعد نهاية رئاسته أخفقت كذلك (من نحو كرئيس لجامعة هارفارد على سبيل المثال)؛ فلم يريد المرء المخاطرة (ثانية)، وكان يخشى من مغامرات escapadeلا يمكن تصحيحها.

ومع ذلك، يظل روزفلت من الناحية المرضية الممثل الأهم والأكثر إثارة للمرض الهوسي الاكتئابي في أعلى منصب حكومي لبلد في العصر الحديث، أما اليوم فيرى الأطباء أن مثل هذه السيرة السياسية لم تعد ممكنة "لتيدي" روزفلت Teddy Roosevelt ، كما برهنته قصة السيناتور الأميركي توماس إيغيلتون كمرشح لمنصب نائب الرئيس بعد نصف قرن لاحق.

3 ـ ونستون تشرشل Winston S. Churchill: حول السير ونستون تشرشل (1874 ـ 1966) لا يوجد كثير حتى بعد وفاته بخمسة عقود تقريباً، إذ أن هذه الشخصية الساحرة مازالت بالنسبة لبريطانيا والعالم رمزاً، وذلك على مستويات عدة، فسيرته السياسية الخارقة لتشرشل القادم من أسرة دوق مالبورغ بدأها في سنوات الشباب المبكر كوزير للبحرية (تحديث الأسطول)، وكانت كذلك قد انتهت بهذا، ظاهرياً، وهو ما تكرر لاحقاً مرتين، إلا أنه أخيراً أصبح وزيراً للحربية بعد أن بدل الحزب قبل ذلك، وبعد انطفاء سياسي جديد تحول إلى أحد أهم الأدباء في بلده (وبشكل خاص منشورات تاريخية وسياسية)، وبعد انفجار الحرب العالمية الثانية عاد ليصبح وزيراً للبحرية، ثم للدفاع، وأخيراً رئيساً للوزراء.

وفي أثناء هذا الوقت العصيب، كان من ألد أعداء هتلر ("دم، وتعب ودموع وعرق")، وبشكل خاص رمز إرادة الصمود (علامة النصر). وعلى الرغم من أنه قد تعرف بعد نهاية الحرب على الأطماع التوسعية للاتحاد السوفياتي، إلا أنه لم يتمكن من إثبات نفسه في المؤتمرات المطابقة في يالطة وبوتسدام مقابل جوزيف ستالين وفرانكلين ديلانو روزفلت Franklin Delano Roosevelt، حيث كان في هذا الوقت قد خسر الانتخابات في بلده، ولم يعد رئيساً للوزراء، إلا أنه عاد للمرة الثالثة وأصبح في عام 1951 رئيساً للوزراء مرة أخرى، ليسطر سيرة لا مثيل لها.

وقد يفاجئنا أن نسمع أن هذا الإنسان الديناميكي والناجح لم يكن معافى نفسياً (كما نعرف بشكل خاص من ابنه الوحيد راندولف تشرشل، الذي كان فاشلاً تعيساً ومدمناً على الكحول، وربما يكون بناء على الأرضية النفسية نفسها، أي المرض الهوسي الاكتئابي).

كان أجداد تشرشل من ناحية الأم والأب شخصيات قوية ذوي سيرة مثيرة للاهتمام (عسكرياً وسياسياً واقتصادياً)، إلا أنه كان يفتقد في البداية إلى الاستعدادات الواعدة، ولكنه كان يشق طريقه من خلال طموح جامح. لهذا تم إبعاده في وقت مبكر للجيش، وكشاب حارب في الهند

ومصر، وكتب حولها كتاباً رائعاً في كل مرة، وبعد ذلك شارك كمراسل حربي في جنوب أفريقيا، وتم أسره ثم تمكن من الهرب (وكتب كتاباً آخر، إلا أنه لم يكن فيه أميناً للحقيقة في أفعاله، "وإلا لما قرأه أحد"). بعد ذلك أصبح سياسياً بسيرة صامتة: تحت وكيل الوزارة في وزارة المستعمرات، ورئيس دائرة التجارة، ووزير الداخلية، واللورد الأول للأدميرالية، ووزير التسليح، ووزير الحربية والطيران، وسكرتير دولة للمستعمرات، ومستشار المالية، وأخيراً رئيساً للوزراء ثلاث مرات.

كانت ثقته بنفسه لا تهتز، ودائماً ما كانت تخدمه موهبته في الكلمة والكتابة (لقد أحب الأدب، وخطبه التي لا تحصى ومقالاته كانت متدفقة). بالإضافة إلى ذلك، لم يتمكن من الدخول في الموضوع كلية فحسب، وإنما كان ينهيه أيضاً ("تنهيه اليوم"). وقد كان هذا حاسماً وبشكل خاص في أوقات الأزمة، أي في الحرب العالمية الثانية، وفي بداية الوضع الذي بدا بلا أمل.

إلا أن قابليته للاستثارة، وعدم مبالاته وقسوته، كانت جارحة، وحيرت حيويته المنشرحة كثيرين من معاصريه، إلا أنهم كانوا يواسون أنفسهم بأن شخصاً بهذه الحيوية الحياتية لن يطول به المطاف لينتهي، إلا إن هذا كان وهماً، فقد ظل نشيطاً حتى سنوات العمر المتقدمة، وهنا لم يكن يراعي الآخرين، ولا حتى نفسه.

إلا أن الأمر أصبح إشكالياً عندما فقد القدرة على الحكم والاستبصار بسبب أطوار الطاقة الفوضوية لديه، وعندما كان يدفع الآخرين إلى حافة الانهيار، أو حتى التشتت بسبب طبيعته الجامحة. لقد كان من حوله يقدر طاقته، ولكنهم كانوا يتمنون المزيد من التبصر ("غني بالخواطر الجديدة والمثمرة، ولكن من دون الحذر اللازم").

وبالفعل، لم ينظر لتشرشل بأنه موهوب فحسب، وإنما حاد الطبع، واندفاعياً ومتطاولاً، ولديه نزوع للسيطرة. وكانت هنالك مراحل تحدث فيها بلا انقطاع بكل شيء يخطر على باله. كما حاول مراراً فعل ومراقبة وإنهاء أشياء متعددة مع بعضها. لم يكن يكفيه منصب وحيد.

وفي المجتمع، كان دائماً في مركز الصدارة. كانت له خواطر كثيرة، وقدم مذكرات أكثر من أي عضو آخر في هيئة الأركان، أو الحكومة. لهذا كان يسمى "حيوان العجائب، الذي يفعل 100 شيء دفعة واحدة". وفي بعض الأحيان اعتبر "مجنوناً" ("هتلر البريطاني")، إلا أن إنجازه غير الطبيعي طغى على كل شيء، ليل نهار. ساعدته في ذلك قدرة واسعة كبيرة على الاسترخاء لفترة قصيرة لا تصدق (أنجز جزءاً كبيراً من واجباته الكتابية ومطالعاته في السرير).

إلا أنه كان معرضاً أيضاً لأطوار غريبة من الانسحاب، التي تعرف اليوم بالاكتئاب العميق. وبالفعل فقد كان عليه أن يصارع طوال حياته ضد "نوبات شديدة من الميلانخوليا"، التي وصفها

بنفسه على النحو التالي: "عندما كنت شاباً، كان كل شيء حولي مكفهراً لسنتين أو ثلاثة؛ لم أكد أستطيع العمل، وعلى الرغم من أني شاركت في جلسات المجلس، إلا أني شعرت باكتئاب أسود. ساعدتني الأحاديث مع (س). لا أحب الوقوف على حافة سكة القطار عندما يمر قطار سريع. أفضل الحفاظ على مسافة بيني وبين القطار. كما أني لا أحب الوقوف على سور مركب ما والنظر للماء. في مثل هذه اللحظات لا أحب الظهور في المجتمع".

وبالفعل، فقد عرف ذلك بعض المحيطين به. وفي الثلث الأخير من حياته بدا غير مهتم كثيراً بإخفاء حالاته الاكتئابية، ولم يعد يبدي الاهتمام بالحياة. فلم يعد يقرأ، وتكلم القليل فقط، وكان يجلس لساعات طويلة في حالة تطلق عليها اليوم تسمية الذهول الاكتئابي الشديد (كبح نفسي - جسدي). وعلى الرغم من خطب المدح، والأوسمة، والتكريمات، فقد ساد في قلبه وأعماقه الداخلية فراغ لم يتمكن من سده أي نجاح، وأي مجد (كتبت ابنته سارة).

وقبل وفاته، عبر تشرشل عن الثمن الميلانخولي لحياته على النحو التالي: "حققت كثيراً، ولكني في النهاية لم أحقق شيئاً".

وما حير الناس في ذلك الوقت يمكن تفسيره اليوم بشكل جيد من خلال "السيرة المرضية الاسترجاعية"، أي من خلال قصة المرض: فهو من ناحية خشن ومتطاول، ولديه طاقة غير عادية لا تنضب على ما يبدو (الطور الهوسي)، بعدئذ وقور من جديد ولا لوم عليه، كما بدا، ولكنه كان في الواقع خالياً وتعباً ومحترقاً ويائساً وكئيباً (الطور الاكتئابي). وأحياناً بدا أنه يسيطر بشكل جيد على طوره الهوسي، وبشكل خاص مع التقدم في العمر، إلا أنه في أحيان أخرى ينفجر عنفه بشكل بركاني eruptive.

إلا أن أطواره الهوسية، وحيويته غير المنقطعة، تحولت إلى أسطورة. وقد فسر المحللون النفسيون من المدرسة القديمة هذا منذ وقت مبكر على أنه عصاب نفسي. إلا أنه المرء اليوم يرى أن هذا المرض أقرب للبيولوجي، وأطلقوا عليه المرض الهوسي الاكتئابي، أو الذهان الوجداني ثنائي القطب Bipolar affective Psychoses .

وبالطبع يحتاج الإنسان في مثل هذا الاستنزاف لموارده، أو احتياطاته الصحة المتاحة للقليلين فقط. وهذا ما اتضح في سنواته الأخيرة من العمر: ففي سن الثمانين عانى من ذبحة قلبية، وثلاثة التهابات في الرئتين، وسكتتين دماغيتين، مع العلم أنه كان مرهقاً في الماضي بتضررات جسدية. ومع ذلك، فقد وصل لعمر متقدم بلغ 90، ومازال حتى اليوم يعد ظاهرة سياسية وأدبية، وبشكل خاص إنسانية، قلما يوجد مثيلها على هذه الأرض. وخصوصاً كمثال على أن الإنسان على الرغم من المزاج الهوسي المرتفع، والتجهم الاكتئابي، لا يصل إلى

الشيخوخة المتقدمة فحسب، وإنما يستطيع تحقيق الكثير.

4 ـ نابليون: Napoleon نابليون الأول (1769 ـ1821): المولود في كورسيكا، والمعروف بنابليون بونابرت Napoleone Buonaparte تمت تنشئته في المدرسة العسكرية إلى ضابط مدفعية، انضم بعد انكسار الحركة الكورسيكية الانفصالية (الهرب إلى البر الفرنسي) إلى الحزب الحاكم، وتم تسريحه من الجيش بعد سقوط الديكتاتور الثوري روبيسبيريه Ropespierre، وكلف بعد ذلك مع قمع التمرد الملكي، بقيادة الجيش الفرنسي الإيطالي، ومن ثم أصبح أحد أصغر الجنرالات. وبدأ سياسته القديرة (اتفاقيات سلام)، ولم يكن يقف أمام صعوده إلى السلطة أي شيء. بداية قائد جيش بريطانيا الفرنسي، وأخيراً قائد جيش مصر الفرنسي (بدون نجاح في كليهما)، بعدئذ سقطت حكومة المديرين[2] Directorium التي كانت في ذلك الوقت أعلى سلطة سياسية في فرنسا)، وضع دستور القناصل[3] (حيث كان واحداً من أصل ثلاثة من القادة السياسيين)، التنظيم العبقري لنظام سلطة وإدارة مركزي، اتفاقية مع البابا concordat، في البداية سياسة السلم، بعدئذ قنصل مدى الحياة، وأخيراً منصباً لنفسه وريثاً "لقيصر فرنسا"، مباركة من الباب (التابع سياسياً ومالياً).

تزوج من جوزفين (Josephine de Beauharnais)، وهذا يعد لضابط شاب صعوداً اجتماعياً. عين أقاربه (أخوه وصهره) أمراء وملوك في المناطق التابعة، وبنى نخبة من حاملي المراتب العليا والمارشالات (أشراف نابليون الجدد). شجع الفن الكلاسيكي العظيم (أسلوب إمبراطوري)، ولكن من المنظور الفكري رقابة قامعة (وزارة الشرطة). وأخيراً، حرب مع بريطانيا العظمى، وحروب قارية عديدة (ضد النمسا، وبروسيا وروسيا)، والطلاق لأسباب سياسية، والزواج من ابنة القيصر النمساوي ماري لويز (Marie-Louise) إبنة دوق رايششتادت. حصار ضد بريطانيا (هزيمة اقتصادية لكل المعنيين)، قرارات سياسية خطأ، وأخيراً الاعتداء على روسيا. وبهذا التحول السياسي العسكري من خلال حروب الحرية 1814 التنازل عن العرش، والإقامة في جزيرة إلبا (كحاكم مع لقب قيصر)، عودة استبدادية لفرنسا (وصول مفاجئ، السيطرة لمدة 100 يوم)، وأخيراً هزيمة نكراء في واترلو، ونفي مؤبد على جزيرة سانت هيلينا البريطانية. وبعد عقود ثلاثة من موته نقل احتفالي لبقايا جثمانه إلى باريس.

خلاصة: قائد عبقري، حاجة لا حدود لها للسلطة، نزعة قيادية مستبدة، قرارات مهمة بعيدة المدى قانونية وسياسية وحتى عسكرية، ولكن أيضاً كثير من المعاناة والدم والانقلابات السياسية والثقافية. بعد موته بشكل خاص بناء "الأسطورة النابليونية" ("حرية الشعوب")، وهو ما لم يكن بالأصل الدافع الأهم للسلطة الذي كان يحركه.

لا توجد شخصية تاريخية استثارت كثيراً من النقاشات المتناقضة مثل نابليون بونابرت. وهذا ينطبق أيضاً على الأطباء النفسيين وعلماء النفس المهتمين بالسيرة المرضية.

فحتى الشروط الوراثية توحي بحياة غنية، فقد كان الأب الذي يعتبر حالة "حدودية اجتماعية" ذو طموح عالٍ، وتوتر عصابي شديد الدرجة، ونشاط لا يكل ولا يمل، ومرن عقلياً، رأسه مليء دائماً بالمشاريع (أو بشكل أدق بالأوهام)، مبالغ في الوعود، عديم الضمير، أناني. أما الأم بالمقابل فقد كانت جدية ومثابرة ومستقرة وصارمة وصاحية عملياً وملتزمة أخلاقياً، وإن كانت أيضاً خوافة، غير واثقة. وقد كان العدد عملياً كل الأخوة والعدد الأكبر من الأقارب من الدرجة الأولى ملفتين للنظر نفسياً بطريقة من الطرق. وحتى حجم نابليون (طوله يكاد لا يصل أكثر من 150 سم) وشذوذات جسدية أخرى (عدم اتساق الوجه على سبيل المثال) تجعلنا نخمن وجود قوى تعويضية مفرطة في وقت مبكر. يضاف إلى ذلك فرط حساسية إعاشية: صحة متعلقة بالطقس، ارتعاش عضلات (عرة)، صداع متكرر، تشنجات نفسية المنشأ (؟). حتى أنه كان ملفتاً للنظر عندما كان تلميذاً بعد، ولاحقاً ظاهرة الطبيعةTemperament التي لا يمكن الاستبصار بها، أو اختراقها. أبناؤه الاثنين ملفتان للنظر (فاشلان كلية).

ولن نناقش هنا سمات نابليون الشخصية الإيجابية بتفصيل، فهي ليست موضع خلاف، وإلا كيف يمكن تفسير تمكن هذا الإنسان من تحقيق إنجازات سياسية وعسكرية بهذا الشكل (وكل هذا لبلد لم يكن بلده: لم يشعر نابليون أنه كورسيكي، ولكنه لم يشعر أنه فرنسي أيضاً)، ومع ذلك سنقدم بعض الخصائص الإيجابية باختصار:

- السمات الإيجابية: كان يستطيع أن يظهر الحب والاهتمام بأشخاص معينين، وبشكل خاص لأمه ولمرضعته، ولكنه كان الراعي لكل أفراد الأسرة (حتى وإن كان الأمر غير صحيح سياسياً، وله سلبيات واضحة بسبب طبيعتهم المشكلة)، صاح، يقظ، عملي، استراتيجي، مفكر، حازم ومثابر. وحساس وذو خيال واسع، وعاطفي وطاقة عمل لا تنضب، قدرة حادة على الحكم، ذكاء مرتفع وموهبة تنظيم عسكرية بارعة. بالإضافة إلى ذلك حامي، حازم في اتخاذ القرارات، قدرة عالية على التوكيد، معلم في التكتيك، سواء في الصالونات السياسية أم في المعارك، خيال خلاق، نظرة بعيدة، "رجل أفعال"، مرح، ذو رؤية وصفات أخرى كثيرة.

ومع ذلك، فإن السمات النفسية والاجتماعية النفسية، وحتى الجسدية السلبية التي تعزى لنابليون كثيرة أيضاً. وهذه بعضها:

السمات السلبية: في طفولته وشبابه كان يعد "متوحشاً شرير"، منافقاً، "معلماً في الكذب"، عديم الضمير، منغلقاً، خارجاً عن المألوف قليلاً eccentric، خرافياً، لخمة، غير واثق، عصبياً،

بارداً، فظاً، قاسياً حتى العنيف، لا يراعي الآخرين، ضد الضعفاء بشكل خاص، ميلانخولياً، هياباً، مكفهراً، وتعتريه نوبات غضب وجنون حتى الإقياء والارتجاف (قرين "الرعب الكامن").

ولاحقاً، وعندما أصبح جنرالاً، وقائداً للدولة، وقيصر، تغيرت المفاهيم، ولكن ظلت الخلفية المريكة نفسها: نهم شديد للسلطة، أنانية لا ترحم، عنيف، قاسي، مندفع (مع وجود إشاعات متداولة مريبة حول علاقات شهوانية وجنسية بكلا الأخوين من الجنسين، وبالنساء عموماً، وزوجته بشكل خاص). يضاف إلى ذلك عصبية وتوتر مستمرين، وحساسية ذهنية، وصولاً إلى البكاء (من نحو عندما قرأ كتاب "Werther" لغوته على سبيل المثال؛ واللقاء المشهور بين نابليون وغوته في مدينة إيرفورت بدأ بهذا الموضوع.. واعتقادات خرافية، وصولاً إلى التصرفات الخرافية القهرية، ونوبات غضب غير معقولة، حتى في مشاهد مخجلة (ضرب، صفع، رفس)، وصولاً إلى غضب تدميري لا حدود له (أثاث، أعمال أدبية، الأطفال، الحيوانات)، تمرغ على الأرض من الغضب، يرهب الجميع ("القيصر مجنون كلية"). وفي المواقف الحرجة ليس الرجل الخارق الذي يعرضه التاريخ، وإنما خواف، تخلى عن الجميع (روسيا، واترلو). وفي إطار قدرته المذهلة على الحكم والعمل، وعدم مراعاته للآخرين، كذلك ممثل كبير، وبشكل خاص معلم في استغلال الناس ("لست شخصاً مثل أي إنسان آخر، ولا يمكنني التفكير بالقوانين الأخلاقية والأصول").

غير أن هذه جميعها عبارة عن سمات طبع، سمات للشخصية، حتى وإن تجاوزت الحد المقبول. أما التشخيص من هذا المنظور فيمكن أن يكون: عصاب، اضطرابات في الشخصية (سيكوباثيا) وغيرها. ومن المؤكد أن لهذا عواقب في التعامل مع الشريك والأسرة، ومحيط الأصدقاء، ولكن بشكل خاص في الحياة اليومية المهنية كسياسي ودبلوماسي وعسكري، وكما هو الحال في حالة نابليون كمشرع وسلطة راسمة للثقافة والاقتصاد... إلخ. إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون لذلك أهمية مرضية نفسية بالمعنى الحرفي، وحتى هنا يقدم نابليون الدافع للمناقشات العلمية المتعارضة، فبماذا يتعلق الأمر؟

- المظاهر الطبية النفسية والنفسية العصبية: هنا يوجد مرضان عصبيان بشكل خاص مع نتائج اجتماعية نفسية. وهنا تتم مناقشة وجود صرعEpilepsy ، وخدار narcolepsy (نوم مرضي عميق وقصير) لدى نابليون. ويبدو أن الخدار الغريب قد كان أقل، فهو يتألف من مركبات مرضية عدة لا تنطبق على نابليون.

والأمر يختلف في مسألة الصرع، إذ هناك بعض الدلائل المهمة تؤيد ذلك، فقد عاني بشكل متكرر من فقدان لحظي للوعي، وعنف غير مبرر، وتشنجات، وإغماء تالٍ. كما تم على الأقل وصف نوبتين صرعيتين كبيرتين (النوبة الكبرى Grand mal)، وذلك في موقفين غير ملائمين،

في معركة آسبرن Aspern، وفي ساكسونيا Sachsen على سبيل المثال. وبما أنه لم يكن يوجد اتساق وجهي لدى نابليون فقط، وإنما اتساع رأسي، أو تمدد رأسي، وهو ما يخمن بوجود استسقاء دماغي hydrocephalus، فإنه لا يمكن استبعاد السبب الجسدي كلية.

وقد اهتم الأطباء النفسيون العسكريون بهذه الظاهرة بشكل خاص، فقد كتبوا (مقتبس عن: Brickenstein,1980):

لا يوجد هنالك أي شك بأن نابليون قد تأثر في قراراته بشكل مضاعف من خلال اضطرابات نوبية شديدة في الصحة... وأحياناً كان يغرق في أثناء نشاطه الذهني المكثف في نوم عميق، أو في حالة من الغياب الذهني، يخرج فيها كل شيء حوله عن وعيه.... وبعد الانفجارات النوبية كان يعاني دائماً من صداع شديد، وانحطاط وتعب. والناس الذين يعانون من حالات مشابهة غالباً ما يتصفون بشدة الحساسية بشكل ملفت للنظر ضد بعض الانطباعات الحسية. وقد انطبق هذا على نابليون أيضاً... ففي عام 1809 بدأ يلاحَظ وجود انكسار واضح بحيويته وإرادته وقدرته على اتخاذ القرار وتصرفاته السريعة. ففي معركة آسبرن Aspern أيار/ مايو 1809، ظهر للمرة الأولى أن نشاطه ليس كما كان في الماضي، واستغرب أعداؤه أن القيصر بعد انتصاره الباهر لم يلاحق النمساويين ويبيدهم. وفي ذلك الوقت ظهرت حالات نوم غريبة أيضاً، فقد نام 23 ساعة، وتكررت هذه الحالات من النوم في معركة فاغرامWagram (تموز/ يوليو1809). ففي وسط أتون المعركة استلقى نابليون ونام 20 دقيقة كاليت. هل كان مجرد تعب بالفعل، كما يعتقد بعضهم؟ ومرة أخرى تخلى عن... ملاحقة العدو المهزوم، بحيث أنه لم يتم تتويج النصر التكتيكي، بإبادة الخصم... وحتى قبل بدء معركة أوسترليتس Austerlitz مباشرة نام بعمق إلى درجة لم يتم التمكن فيها من إيقاظه إلا بصعوبة... وقبل الحرب الروسية بقليل استمرت حالات الإنهاك لديه أحياناً لساعات طويلة. بعدئذ هب فجأة صارخاً: "من يناجيني؟"، تجول مضطرباً في الغرفة وهمهم: "لا، مازال الوقت مبكراً".

لاحقاً، أضيف إلى هذه الحالات الغريبة القرحة المعدية، مع ألم وتشنجات، مما قلل أكثر من مرونته المعروفة في الأوامر، وعلى ما يبدو على زيادة التباطؤ وخيم العواقب. فقد تكرر ظهور تلك الحالات من اضطرابات الوعي المبهمة التي فسرها أعداؤه على أنها "نوام lethargy غير معقول" في المواقف الحاسمة. كذلك اتسمت معركته الأخيرة في واترلو بالقرارات الخطأ غير المفهومة، بحيث أن استطاع البريطانيون وحلفاؤهم الذين كادوا يهزمون تقريباً الحصول على الدعم البروسي وانتصروا على الفرنسيين بشكل قاطع. ففي قمة المعركة غرق نابليون ثانية في "نوم سباتي"، وعندما صحا كان قد ضاع كل شيء.

وكما أشرنا، فإن العلم غير متفق. فلو كانت تلك نوبات صرع (وهنا لكان نابليون في صحبة أنيسة، إذ إن يوليوس قيصر، وهو واحد من مثله العليا كان يعاني على ما يبدو من الصرع)، فإن السؤال الذي يطرح نفسه، أي نوع من الصرع؟ ومثل هذا الأمر صعب استنتاجه استرجاعياً، وبشكل خاص بالنظر للوصف غير التخصصي بالطبع في ذلك الوقت، أم أنه كان مجرد "طبع صرعي epileptically Character"، كما كان يخمن في الماضي؟ أم أنه كان مجرد شخص حامي الطبع، غضوب بكثير من الذكاء؟ أم ما يسمى بالمكافئ الصرعي epileptically Equivalent، وهو ما يمكن له أن يفسر حالات النوم العميقة الحاصلة لديه أحياناً، ومن ثم كذلك بعض السمات في طبعه؟ كما أن المرء كان يتحدث في الماضي عن السيكوباثيا الصرعية ـ الوجدانية Affect-epileptically Psychopathia ، والمظاهر الشبيهة بالصرع والاستعداد الهستيري، عن حالات غشوة وتشنجات وغيبوبة (تعكر الوعي قصير الأمد أو تضيقه) من خلال تنظيم الانفعالات.. إلخ. بالإضافة إلى ذلك تمت الإشارة إلى مرض بالغدة الدرقية، أو اضطراب وظيفي في الغدة النخامية نتج عنه hypophysis قصر القامة، غياب الثلث الخارجي للحاجبين، والسمنة لاحقاً، واللامبالاة Apathie. إلا أنه في النهاية فإن على العلم الاعتراف بأن نابليون يظل ظاهرة غير مفسرة من المنظور الطبي العضوي والنفسي. وعلى ما يبدو هنالك عدد من التأثيرات التي تجمعت في بنية شخصيته غيرت أوروبا والعالم. هذا على الأقل ما هو متفق عليه، إلا أنه هنا يتضح شيء واحد: لو كان الأمر تحت وجهات النظر هذه يتعلق "برجل الشارع العادي"، فإنه لا بد وأن يحدث هنا اضطرابات كفاية turbulence، فإذا ما تعلق الأمر بسياسي في موقع القيادة، أو بقيصر في حكم استبدادي، وقائد عسكري بارز، فإن الضعف النفسي والجسدي، أو كليهما، يحملان هنا خصوصية بارزة brisance، ويتضح في صعود نابليون وهبوطه ما هو التشخيص الذي أعطي له.

5 ـ نابليون الثالث Napoleon III: يعد نابليون الثالث من بين عظماء هذا العالم كشخصية متوسطة "mediocre"، إذ لم ينصفه التاريخ، وبشكل خاص لأن نجاحاته في السياسة الداخلية والخارجية قد ظلت غائبة (حيث كان ومازال هذا الأمر، وعلى الرغم من الاعتراض الأخلاقي، هو النقطة الحاسمة في الحكم على الإنساني).

تشارلز لويس نابليون (1808-1873) Charles Louis Napoleon Bonaparte كان ابن أخ القيصر نابليون الأول. ترعرع في المنفى السويسري والألماني، وعاد بعد أن توفي ابن نابليون، الدوق فون رايششتات، بوصفه زعيم أسرة نابليون، وشعر بأنه مدعو لتمجيد glorification سابقيه العظام، ولإعادة الملك النابليوني في فرنسا. وقد يتقبل إنسان في وضعه الأولى، أما الثانية، وبالنظر

للتاريخ، فإن الأمر مستحيل، ومع ذلك فقد حصل:

فبعد محاولات انقلاب فاشلة ضد الملك الفرنسي لويس فيليب Louis Philippe تم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، وفر إلى إنجلترا، وطور هناك برنامجه السياسي (القيصرية الاستفتائية Plebiscitary Caesarism.) الذي لم يظل لدى الفرنسيين من دون إعجاب. وعاد لفرنسا وشارك في الانتخابات الرئاسية هناك، وربح 74٪ من الأصوات؛ الرئيس الملك Prince Président، وبعد سنوات عدة لاحقاً، انقلب على النظام، مع تخويل شامل بسلطات الحكومة، باستفتاء من الشعب، حيث نودي للمرة الثانية بعد نابليون الأول بقيصر وراثي للفرنسيين. وعلى الرغم من أن القوى الديموقراطية أقنعته شيئاً فشيئاً بإدخال أهم مطالب المعارضة نحو الحرية السياسية الأكبر بالتدريج، إلا أنه بقي الرمز المركزي للدولة. وكان هدفه السياسي الخارجي تحويل النظام الأوربي لمؤتمر فيينا لمصلحة فرنسا. لهذا شارك في الثورات الوطنية (حرب القرم، إيطاليا، البلقان، بولونيا)، وهو ما لم يجلب له أية فوائد في النهاية، لأن أهم عدو له، وهو القنصل الألماني بسمارك، قهره سياسياً وعسكرياً في الحرب الألمانية الفرنسية من 1871/1870. ووقع بعد استسلام سيدان في الأسر البروسي، وتوفي بعد إطلاق سراحه في إنجلترا، حيث دفن هناك.

وحول نابليون الثالث لا يتوافر رسم مرضي Pathography كثيراً، على عكس نابليون الأول. ومع ذلك، فهو مثال مثير حول الكيفية التي يمكن فيها للمرض الجسدي لرئيس دولة وقائد عسكري في الوقت نفسه أن يؤثر على مجرى التاريخ، وهذه المرة لصالح ألمانيا ووحدتها السياسية. فقد عانى نابليون الثالث من حصى في المثانة. وهذه المعاناة مؤلمة بشدة ومضنية، وهي اليوم ليس موضوعاً ذو شأن في الطب، أما في ذلك الوقت فقد غير هذا الاضطراب التاريخ. إذ إن نوبة المثانة أصبحت قوية في النهاية إلى درجة أنها قد أضعفت قوة الإرادة، واتخاذ القرار، والمقاومة، بشكل حاسم. وقد نمت لديه حاجة مرضية للراحة، فلم يكد يظهر أي نشاط ومبادرة، وترك الأمور تجري. وازداد يأسه باطراد، وأصبح مكتئباً. يضاف إلى ذلك حصول ضربات سياسية اقتصادية وعسكرية سياسية غالية، كالمغامرة المكسيكية، وحرب القرم. وهذا كله، صحته وأخطاؤه السياسية، دفعه باطراد إلى نوع من السلبية الحيوية Fatality Passivity، وهو ما استغلته زوجته الطموحة، القيصرة أويغيني Eugenie.

وعلى هذا النحو، يمكن فقط تفسير سلوكه غير الهادف في أثناء الحرب البروسية ـ النمساوية لعام 1866. فعلى الرغم من أنه جعل الفرق الفرنسية تزحف على الراين من أجل بث القلق في البروسيين، أو على الأقل لتعطيل جزء من قواتهم، إلا أنه أبطل هذا الأمر لاحقاً. وكل من يعرف التاريخ يعرف أن الهجوم المسلح لفرنسا كانت ستضع البروسيين في مأزق حرج، إلا أن التاريخ

كان على ما يبدو مع بسمارك، إذ إنه وبالذات في ذلك الوقت، ضايقت حصى المثانة نابليون الثالث ثانية بنوبات متكررة (ومنهكة بصورة كبيرة). ويقال أنه بدا في ذلك الوقت منهاراً جداً ومعذباً ومنهكاً، وقلما استطاع الحركة، وحرم من أهم الاستعدادات الجسدية والنفسية، وفي هذا الوضع والوقت بالذات (من المفاهيم التي تتم مناقشتها: المتلازمة النفسية ذات المصدر الألمي algogeneses Psycho syndrome، أي الضرر النفسي والجسمي الناجم عن الألم).

وقد أكد هذا بسمارك لاحقاً: ليس الجيش الفرنسي، بل فرقة وحيدة كانت كافية من وجهة نظره لإجبار البروسيين العالقين في ذلك الوقت في المعابر الضيقة لبوهيميا، إذ أن دوقية بادن الكبرى، وبفالس، قد تحصنتا خلف الفرنسيين، ومن ثم كان من الممكن أن تقوم قائمة كل جنوب ألمانيا ضد البروسيين. "لم أكن واثقاً أنه كان باستطاعتنا تغطية برلين"، اعترف بسمارك لاحقاً.

وللمرة الثانية تدخل القدر على شكل معاناة نابليون الجسدية، ومن ثم العواقب النفسية، بما في ذلك العواقب النفسية الجسمية، في حرب 1871/1870. وعلى الرغم من أنه لم يرد الحرب، إلا أنه لم يستطيع من أن يقف ضد حزب الحرب في حكومته، مدعوماً بزوجته. لهذا حصلت ثانية خطوات دبلوماسية غير موفقة استغلها بسمارك بمهارة وصولاً في النهاية إلى عدم وجود قيادة عسكرية للجيش الفرنسي، الذي انتهى بهزيمته المدمرة على يد البروسيين، وأسر قيصره.

وهنا كان واضحاً لكل المشاركين من الدائرة الضيقة لنابليون الثالث، كيف كان وضعه الصحي والنفسي. وأخيراً، تراجع وضعه الصحي إلى درجة أنه لم ينصح بالتدخل الجراحي. وظلت هذه المعرفة الطبية طي الكتمان، حتى عن زوجته، ناهيك عن الحكومة. فلو حصل هذا الأمر لما ترك المرء القيصر الضعيف جسمياً، والمنهك نفسياً وذهنياً بنتيجة المرض، يذهب إلى الحرب كقائد أعلى للجيش الفرنسي، الأمر الذي برهن على أنه انهيار عسكري شامل.

ملحق: السيناتور توماس إيغلتون - فضيحة في الولايات المتحدة الأميركية

في معركة الرئاسة حول الرئاسة الأميركية السابعة والثلاثين في عام 1969 بيَّن الفائز اللاحق ريتشارد نيكسون Richard Nixon بنهايته المثيرة من خلال اتهامه، أي دعوة للإقالة من المنصب، التي حصلت قبل ذلك من خلال استقالته، ومنافسه جورج ماك غوفرن George McGovern شهدت أميركا والعالم نقاشاً سياسياً، ولكنه لم يكن كذلك.

ففي الواقع، فإن الأمر لا يتعلق بتصويت، وإنما بفشل (موجه إعلامياً)، في ما يتعلق بالمعرفة الطبية، وبشكل خاص بالمعرفة الطبية النفسية، وخصوصاً في ما يتعلق بالتوعية والتسامح (وهو ما يعتقد المرء أنه موجود في أميركا بشكل خاص). فما هي القضية؟

كان السياسي توماس إيغلتون في خمسينيات وستينيات القرن العشرين طفل العجائب السياسي لولاية ميسوري: محامي المحافظة (1956)، ومحامي دولة في عام (1960) بعمر الثلاثين سنة، نائب حاكم في عام (1964)، وسيناتوراً في عام (1967). وكان يعد سياسياً لامعاً، لدرجة انتخابه حتى من معارضيه السياسيين. وكان معطاء متحمساً، طبيعته المرحة مثالية. وقد قدم مجموعة كبيرة من مشاريع القوانين حتى عُدَّ رجل المستقبل. وعندما اختاره المرشح الرئاسي ماك غوفرن شريكاً في المعركة، ونائباً محتملاً للرئيس، بدا ذلك توليفة مثالية.

إلا أنه وبعد ترشيحه بوقت قصير أعلن في مؤتمر صحفي بأنه كان قد دخل المستشفى ثلاث مرات بسبب "الإنهاك والإجهاد العصبي". وأصبح لاحقاً أكثر تحديداً: فالأمر يتعلق باكتئاب، تم علاجه مرتين بالصدمة الكهربائية، ومرة من خلال الراحة الاستشفائية (سرعة عمله كانت لا تضاهى، وبالنسبة للعاملين معه كانت مسببة للإرهاق).

وقع تصريح إيغلتون على الجمهور الأميركي موقع الصاعقة. وفي هذه المرحلة من عدم الأمان تم في البداية سؤال مشهورين يعرفونه، فكان حكمهم الواضح: إنهم لم يلحظوا عليه أبداً أي شيء سلبي، صحيح أنه مشدود بشدة، إلا أنه محارب انتخابي شديد، وديموقراطي طيب وسليم ومنطقي. (كانت إحدى الأقوال السياسية النمطية: "لدي انطباع بأن 60٪ من أعضاء مجلس الشيوخ ليسوا متزنين كلية. ولكن من بين كل الناس الذين بدوا لي سليمين عقلياً، أضع إيغلتون في المرتبة الأولى"). إلا أن هذا لم يفد: فالمناقشة الوطنية الحامية جداً الآن ألقت الضوء حسب وجهة نظر الخبراء على مظهرين مهمين:

1 ـ إتجاهات الأميركيين نحو الاضطرابات النفسية عموماً.

2 ـ التصور التقليدي والمتجذر بعمق بأن كل استشارة لخبير ما بسبب مشكلات انفعالية يمكن أن تشير إلى شيء ما "قذر"، "فظيع"، "فاسد"، "مخالف للقانون"، أو "مخيف" مقتبس عنR.R. Fieve، فالموضوع أولاً هو الشك الواضح بأن كل شخص يمتلك تاريخاً طبياً نفسياً، بغض النظر عما كيف حصل هذا، وثانياً هو الخوف من مشكلة نفسية يصعب تصديقها، على أية حال بالنسبة للمواطن المتوسط، يرغب المرء بإزاحتها جانباً، ولا يحب أن يراها منتشرة بين قادته السياسيين.

ويقتبس الطبيب النفسي فيف F.F. Fieve الملاحظات الرائعة التالية: "العلاج بالصدمة الكهربائية هو أمر لا يستطيع المرء أن يتحدث عنه في كل حفلة كوكتيل"، أو :"على الرغم من أننا متنورون كفاية للحديث عن جلسات التحليل النفسي الخاصة بنا، حتى أمام الناس، ولكن الاكتئاب الشديد الذي يحتاج للعلاج من الناحية الإكلينيكية يفضل المرء إخفاؤه"، أو:"مجرد

التفكير بالمستشفى الطبي النفسي يجعلنا نفكر بالمرضى في المريلة، والمجانين والعنيفين والمهلوسين، بذهانيين غير قادرين على السيطرة على انفعالاتهم الجنسية والعدوانية"، و: "في الاضطرابات النفسية نفكر مباشرة بالأنماط الثرثارة بصورة غير مفهومة من الأفلام والتلفزيون والمسرح والأدب، وصولاً إلى آلة فرانكشتاين الكهربائية". وأخيراً، "يستطيع الرئيس جونسون أن يري الجمهور في برنامج تلفزيوني جرح عملية المرارة، ويستطيع الرئيس آيزنهاور أن يتحدث عن خروجه في التواليت، أما العلاج النفسي فهو أمر مكروه".

ويعلق فيف R. R. Fiev: تقلقنا صحتنا الجسدية، ولا أحد يعترض على هذا، أما صحتنا النفسية فهي ليست على ما يرام، ومع هذا لا يتجرأ أحد على الحديث حول ذلك. والمعتيون موصومون (موشومون) اجتماعياً، وليس إذا كانوا سياسيين فقط، وإنما كل واحد راجع مرة مستشفى عصبي، عليه على ما يبدو أن يتحمل لبقية حياته ألا يعامله الناس على أنه كامل، بغض النظر عن مدى جودة تخلصه من معاناته.

لقد صمد إيغلتون، ولكن بلا طائل: "فالأخلاق المزدوجة للشعب الأميركي (Fieve) "جعلت الأمر لا يمكن تجاهله. فعلى الرغم من أن ماك غوفرن قد تجاهل هذا الأمر في البداية، إلا أنه في النهاية اضطر للطلب منه أن يتخلى عن ترشيحه لمنصب نائب الرئيس، على الرغم من أن رأي الشعب قد بدا فجأة غير أكيد. إلا أن جورج ماك غوفرن لم يستطع أن يغامر بجعل المرض السابق للمرشح لنيابته موضوع حملته الانتخابية رقم واحد (الأمر الذي عمل عليه خصومه السياسيون بمساعدة وسائل الإعلام المرتبطة بهم). لم تكن هذه الاستراتيجيات نظيفة، كما هو الحال الغالب في السياسة، إلا أنه لم يكن هذا هو الموضوع في النهاية، وإنما اتجاهات الشعب، التي تقول:

ربما يكون إيغلتون حالة نفسية حدودية، تم حشره في جو يغلي جداً من الصراع الانتخابي في مرض عقلي. ولكننا لا نستطيع أن نتحمله كقائد، إذ إن فكرة أن قائداً ما ربما قد يخطئ كانت ومازالت بالنسبة لنا غير محتملة (R.R. Fieve).

أما المنتصر اللاحق بالانتخابات، كما ألمحنا، فيقال أنه قد أصبح مكتئباً بالفعل في نهاية مناورة اعتزاله التي كانت مضنية طويلاً.

---

(1) الأوديسة

أسطورة غنائية يونانية قديمة، مثل أسطورة الإلياذة، كتبها الشاعر الأعمى (هوميروس) في القرن التاسع عشر قبل الميلاد تقريباً،

وقد انتشرت هذه الملحمة وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، حيث كانوا يتغنون بها لدرجة أنها حفظت=

=عن ظهر قلب. ومن المعروف أن اليونان كانوا بحّارة ماهرين، وكان لهم رحلات عديدة.
وقد أنشأوا سفناً كثيرة، لذلك كان البحارة يروون القصص. ولقد أخبرتنا الأوديسة كثيراً عن الشعب اليوناني، وعن عاداتهم في حروبهم.
تحكي الإلياذة (هوميروس) حكاية مدينة اسمها طروادة صمدت أمام هجوم اليونانيين لمدة عشر سنوات.
يقول مؤرخو اليونان القدماء أنه ومنذ حوالي 850 سنة قبل الميلاد (هوميروس) كان يتنقل من بلد إلى آخر، يرافقه أحد تلاميذه. كان هوميروس يحكي للناس عما جرى لطروادة خلال حصارها باهتمام شديد، حيث كان هوميروس يثير حماس الشعب اليوناني من أهل المدينة.. وأهل الريف والأحرار والعبيد والتجار والجنود.
جمال هيلين سبب الحرب.
تقول الحكاية: إنه ذات يوم قام ابن ملك طروادة بزيارة إلى مدينة إسبارطة اليونانية، حيث استقبله ملكها وزوجته الجميلة (هيلين).
أحب ابن ملك طروادة (هيلين) وقام باختطافها من زوجها، وعاد بها في سفينته إلى مدينة طروادة، لذلك قام ملك إسبارطة اليونانية بجمع المحاربين، وجهز جيوشاً كبيرة، وأقلعوا جميعاً بسفنهم متجهين إلى مدينة طروادة، لكن أهالي طروادة الشجعان، وأسوار مدينتهم القوية، صمدت أمام هذه الجيوش، لذلك اضطر اليونانيون إلى الاكتفاء بحصار مدينة طروادة فقط.
وهكذا مرت عشر سنوات دون أن يستطيع الجيش اليوناني اقتحام المدينة، بل وأصبح اقتحامها أمراً مستحيلاً.
أشجع رجلين: وفي السنة العاشرة من الحصار تبارز أشجع رجلين هما (هكتور) ابن ملك طروادة و(أخيل) أشجع رجل في الجيش اليوناني، حيث انتهت المعركة بانتصار (أخيل) ومقتل هكتور.. فلقد قام أخيل بربطه من قدميه إلى مركبته، وطاف به حول أسوار طروادة، وكان ما كان.
وفي اليوم التالي، توجه ملك طروادة بنفسه إلى أخيل، وهو محمّل بالهدايا، وأخذ يتوسل إلى أخيل راكعاً على ركبتيه بأن يعيد له جثة ابنه، فوافق أخيل إشفاقاً على الأب، وبهذا فقدت طروادة بعد عشر سنوات من الحرب أكبر مدافعيها.
ولكن بعد فترة قصيرة، تم لأهل طروادة الانتقام، حيث استطاع أحد شجعان هذه المدينة من قتل أخيل، وذلك بواسطة سهم مسموم أصاب به كعب أخيل، وهو المكان المكشوف في جسمه الذي كان مغطى بالدروع الحديدية الثقيلة.
حيلة يونانية لنهاية الحرب
وجد (أوليسيس) وهو أكثر اليونانيين مكراً وسيلة من خلال حيلة يضع بها نهاية لهذه الحرب الطويلة، فنصح الجيش اليوناني بأن يتظاهر أنه أنهى الحصار، وذلك من خلال الإبحار عن الموقع عائداً إلى بلاده، وتحرك الأسطول فعلاً خلف الجزيرة على بعد من الشاطئ، لكنهم تركوا حصاناً خشبياً ضخماً على الشاطئ اختبأ فيه (أوليسيس) وعدد من زملائه، وهكذا عمّ الفرح في طروادة، وصدقوا أن اليونانيين قد انسحبوا بالفعل، واعتقدوا أن الحرب قد انتهت فعلاً، لذلك اقترح أحد زعماء طروادة أن=

=ينقلوا الحصان الخشبي الذي تركه اليونانيون على الشاطئ إلى داخل المدينة، واضطروا لعمل فتحة في الأسوار الحصينة بدخول ذلك الحصان الخشبي داخل المدينة، حتى بدأ احتفالهم بالنصر وأخذوا يصيحون ويمرحون ويرقصون فرحاً وجاء المساء ونامت المدينة عندما بدأ اليونانيون بتنفيذ الحيلة، وخرج المختبئون وهم يركضون باتجاه الأبواب، ويقتلون الحراس، ثم يفتحون الأبواب كلها، ويعطون الإشارة إلى الشاطئ ليدخل الجيش إلى المدينة، وفعلاً دخل الجيش، وعمّت الفوضى، وأحرقوا ودمروا، ولم ينجوا أحد، ولكن الرومان القدماء يقولون إن الناجي الوحيد من تلك المذبحة كان الأمير (إينياس)، الذي تمكن من النجاة وسكن في مدينة لاثيوم الإيطالية، التي ولد فيها مؤسس مدينة روما التي أصبحت عاصمة إيطاليا من أشهر مدن أوروبا على الإطلاق، وهكذا انتهت حكاية مدينة طروادة التي أُحرقت واندثرت تسع مرات، وانتهت حكاية الشعب الذي اشتهر ببناء المباني العظيمة والمنتزهات الجميلة، واشتهر أهلها بنسيج الملابس والأقمشة الصوفية، وبرعوا في تربية الجياد التي أخذوا يتاجر بها اليونان، ولقد كان أهل طروادة مشهورين وخبراء في خزن المواد الغذائية والزيوت في جرار ضخمة يصل طول الواحدة منها إلى مترين وأكثر. وتحولت أراضيهم بمرور الوقت إلى تلال مغطاة بمزروعات شتى.

ويقال أن المؤرخين قد شككوا في حقيقة مدينة طروادة، واعتبروها مجرد قصة خيالية ابتكرها الشاعر اليوناني القديم (هوميروس): (المترجم).

(2) مجلس المديرين، حكومة المديرين في فرنسا

(3) حكومة القناصل في فرنسا.

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW.Filnafs.com

WWW.Psyinterdisc.com

naboulsi.comWWW.Psychiatre-

فرويد، واليهودية والصهيونية

بقلم: سعدي الأخضري
ترجمة: محمد الحاج سالم

لم يكن النزاع الفلسطيني الإسرائيلي ليستثني مجال البحث، ولا مجال التّحليل النّفسي. فقد كانت رسالة بعث بها فرويد إلى الدكتور حاييم كوفلر[1] (Chaim Koffler) مدير منظّمة كيرين ها يسود (Keren Ha-Yesod) في القدس بتاريخ 26 فبراير/ شباط 1930 مصدر جدال شرس وجد فيه مدير متحف فرويد في لندن، مايكل مولنار (Michael Molnar) نفسه من خلال ترجمته لها متّهماً بالدّعاية لفائدة الفلسطينيّين. وعلى الأثر، تمّ وضع ترجمة ثانية على موقع المتحف مصحوبة بردود فعل متنوّعة، بما فيها ردّ للمحلّلة النّفسيّة النّيويوركيّة يهوديت يونغ[2] (Yudit Jung). وقد كان هذا الحادث كاشفاً للأهواء التي قد يستثيرها كلّ ما يمتّ بصلة من قريب أو من بعيد بإسرائيل وبفلسطين، وهو ما نتمنّى أن يصار إلى تحليله في أحد الأيّام تحليلاً عميقاً، وبكلّ رباطة جأش. لقد أضحى موقف فرويد، الذي فسّر بأشكال مختلفة، فجأة أمراً أساسيّاً لدعم هذا الطّرف، أو ذاك، وهو ما جعل إعلان فرويد عدم ميله لأيّ التزام عاطفيّ، ورفضه التعصّب لطرف دون آخر، يذهب أدراج الرّياح. فما يهمّ هو إيجاد مرجعيّة يستند إليها كلّ طرف لاتّخاذ موقف صريح، حتّى ولو كان ذاك الموقف على طرف نقيض مع الفكر الفرويديّ ذاته. ولعلّ ما يزيد في غرابة ردّة الفعل هذه أن فرويد كان طوال حياته شديد الوضوح في ما يتعلّق باليهوديّة والصّهيونيّة: منذ رسائله الأولى إلى خطيبته مارتا بارنيز (Martha Bernays) وصولاً إلى آخر أعماله الرّئيسيّة "موسى الإنسان والدّين التّوحيدي" المنشور سنة وفاته عام 1939. ففي هذا الكتاب، الذي حيّر كثيراً من قرّائه، حاول فرويد البحث عن جذور تبنّي التّوحيد من قبل الشّعب العبريّ، الذي نسب ذلك إلى رجل عظيم، هو

موسى، مفترضاً أنّه كان مصرياً، وأنّه قام بفرض ديانة جديدة على العبريّين، مقتبسة من ديانة إخناتون بعد وفاته. ولعلّ هذا الكتاب هو حقّاً تفكير شخصيّ حول تماهيات كاتبه اليهوديّ، لكنّه الملحد أيضاً، في علاقته بالمشاكل الكأداء التي يطرحها أصل الدّيانة اليهوديّة، والذي يفضي اليوم كما على عهد فرويد إلى طرق شبه مسدودة. إنّه تفكير مرتبط ارتباطاً وثيقاً، كما سنرى، بإشكاليّة العبقريّة، والتّأثير الذي يمارسه الرّجال العظام على شعوبهم، ويفضي إلى اعتبارات نظريّة في غاية الأهمّيّة بالنّسبة للجغرافيا السّياسيّة، لأنّها تمسّ مشكلة التمثّلات الواعية واللاّواعية، والتّرابط بين علم النّفس الفردي، وعلم نفس الجموع.

رسالة فرويد إلى حاييم كوفلر:

كانت رسالة فرويد إلى حاييم كوفلر موجزة ومتّزنة[3]. وكان واضحاً من خلالها افتخار فرويد بأن يتوجّه إليه باعتباره شخصيّة يهوديّة بارزة، ولكنّه رفض التّوقيع على العريضة التي تدين الانتفاضات العربيّة لعام 1929، والتي قتل فيها مئات من اليهود، وصرّح بعدم قدرته على إبداء تضامنه بسبب حياد مواقفه التي لا يمكنها إلهاب الحشود، أو اجتذاب تبرعّات الأغنياء، وهو ما كان من الأهداف الرئيسيّة للمنظّمة الصّهيونيّة المسؤولة عن تمويل المستوطنات في الأراضي المقدّسة. كما أعلن فرويد بوضوح أيضاً تعاطفه مع القضيّة الصّهيونيّة، مستخدماً بطريقة معبّرة ضمير المتكلّم في الجمع كي يشير إلى جامعة القدس التي يشغل أحد مناصبها، ولكنّه استخدم ذلك أيضاً عند ذكره المستوطنات اليهوديّة في فلسطين. بيد أنّه لم يكن يعتقد بأنّ مشروع الدّولة اليهوديّة قد يكون واقعيّاً، لاستحالة أن يتّفق المسيحيّون والمسلمون على أن توكل الأماكن المقدسة للدّولة الجديدة، وهو ما كان فرويد مصيباً في شأنه. أمّا الحلّ الذي سبق طرحه من قبل هرتزل، والقاضي بتأسيس وطن قوميّ على أرض أقلّ ثقلاً من النّاحية التّاريخيّة، فقد بدا له أكثر معقوليّة، رغم عدم واقعيّته بسبب عجزه عن تأجيج حماس المستوطنين والجهات المانحة السخيّة. ومن المهمّ هنا أن نلاحظ أن فرويد لا يدين المشروع في ذاته، ولا يشكّك في شرعيّته، لكنّه يرى استحالة تحقيقه. وفي هذا الصّدد، لا مندوحة من الإشارة إلى أنّه سبق لفرويد الحديث في كثير من الأحيان بشأن الشّعب اليهودي أو العبريّ، وأنّه صرّح خلال محادثة مع جيل دو لا توريت (Gilles de la Tourette) في باريس، حين ذكر أمامه إمكانيّة قيام حرب كبرى بين فرنسا وألمانيا، بأنّه يهوديّ، نافياً أن يكون ألمانيّاً أو نمساويّاً[4].

وتشهد جميع مراسلات فرويد على أنّه كان يشعر دائماً بأنّه يهوديّ دون أن يكون متديّناً أو مؤمناً، وأنّ هذا الشّعور الرّاسخ بالانتماء للطّائفة اليهوديّة كان يمنعه من الوقوع في أحضان

القوميّة الجرمانيّة التي جذبت إليها أكثر من واحد، والتي شعر هو نفسه في بعض الأحيان بانجذاب لاعقلانيّ نحوها. لكنّه رغم هذا الاعتراف بإحدى السّمات الرّئيسيّة لهويّته، وحقيقة أنّه لم يكن أبداً خجلاً من كونه يهودياً، وهذه أكبر ميزاته، حسب ما يقول، في نظر اليهود الذين يكرّمونه بوصفه أحد أكبر الوجوه اليهوديّة في عصره، فإنّه يرفض تبنّي التعصّب الأعمى لأولئك الأشخاص الذين يقدّسون حائط المبكى بوصفه أثراً قوميّاً. وهذه النّقطة وإن كانت غير مصرّح بها في رسالته، إلاّ أنّها واضحة تمام الوضوح في أعماله ومراسلاته التي سنتحدّث عنها لاحقاً. ولا مندوحة هنا من عقد صلة بين عدم الرّغبة في جرح مشاعر السكّان الأصليّين باستفزازات خطيرة، وتأجيل نشر الجزء الثّالث من كتاب "موسى الإنسان والدّين التّوحيديّ" عقب الغزو الألماني للنّمسا (l'Anschluss). ففرويد لم يكن يريد الإساءة إلى الكاثوليك، وخاصّة الأب شميدت (Schmidt)، مؤرّخ الأديان ذي الحظوة عند الفاتيكان، وفي إيطاليا الموسوليني، والمعارض بشدّة لآرائه. لقد رأى بحقّ في الكاثوليك، الذين كانوا يضطهدون اليهود سابقاً، حليفاً محتملاً لمكافحة الهمجيّة النّازيّة، مقدّراً أن كلتا الدّيانتين مستهدفتان في الواقع من قبل الأنظمة الكلّيانيّة الجديدة. هذه هي الحكمة والواقعية: فكلّ موقف غير محسوب يمكن أن يؤدّي أيضاً إلى حصول تداعيات سلبيّة على ممارسة التّحليل النّفسي في النّمسا كما في إيطاليا. وقد نشر فرويد سنة 1939 كتابه حول موسى في أمستردام بعد عودته من منفاه في لندن، وبعد أن استعاد التّفكير بحريّة، كما يقول. وتشرح رسالة سابقة كتبها سنة 1926 وموجّهة إلى إنريكو موريللي (Enrico Morelli) موقفه بدقّة. لقد أشار فيها إلى كتاب موريللي "التّحليل النّفسي (psicoanalisi) المنشور سنة 1926 في تورينو، وخاصّة إلى كتيّبه بشأن المسألة الصّهيونيّة بالقول:

"لقد سرّني أن أرى مدى التّعاطف والإنسانيّة والتفهّم الذي ميّز موقفكم من هذه القضيّة التي تتنازعها الأهواء البشريّة، وهو ما يضطرّني إلى شكركم شخصياً. وأنا لا أعرف مدى حجّية اعتباركم التّحليل النّفسي نتاجاً مباشراً للعقل اليهوديّ، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فهو لن يخجلني. فرغم انفصالي منذ فترة طويلة عن دين أسلافي، فإنّني لم أفقد البتّة الإحساس بالتّضامن مع شعبي، وأنا أنظر بارتياح إلى ما قلتموه حول تتلمذكم على رجل من بني جنسي هو العظيم لامبروزو[5] (Lombroso).

وهذا الشّعور بالتّضامن هو ما سيتّضح بكلّ جلاء في وقت لاحق حين سيكتب فرويد إلى ماكس إيتنغتون (Max Eitington) المتتبّع وأسرته لـ"الأنباء بشأن ما يحدث في الأراضي المقدّسة" التي كانت آنذاك مسرحاً لاضطرابات كبيرة. إلاّ أن فرويد حاول أيضاً، وبصفة دائمة، تحديد

ماهيّة الشّيء الذي يشكّل الجوهر الغامض لما يجمع بين اليهود، ذلك الشّيء الخارق والعصيّ عن التّحديد "والذي ما يزال حتّى الآن بمنأى عن التّحليل الذي هو من سمات اليهودي"[6].

يهوديّة فرويد:

لن أطيل الكلام حول هذا الشّعور القويّ بالانتماء عند فرويد، فهو أمر ثابت، ويظهر في مناسبات عديدة في مراسلاته. لقد عاش فرويد في وسط يهودي لم يتنكّر له أبداً. لقد أشار في رسالة لاذعة وجّهها لأبراهام هارون روباك (Abraham Aaron Roback) بتاريخ 2 فبراير/ شباط 1930 إلى أن تنشئته لم تكن يهوديّة، وأنّه غير قادر على قراءة إهداء الكتاب الذي أرسله إليه، إذ هو مكتوب باللغة العبريّة، ولكنّه يشعر بأنّه كُرّم غاية التّكريم حين وضع اسمه ضمن قائمة عظماء "شعبنا" المذكورة في كتاب "التّأثير اليهودي في الفكر الحديث" المنشور سنة 1929[7] (Jewish Influence in Modern Thought). وفي رسالة موجّهة إلى منظّمة "بناي بريث" (B'nai B'rith) سنة 1926، شكر فرويد إخوانه الماسونيّين لما أبدوه من تعاطف تجاهه في ذلك الوقت، ولما قدّموه من دعم باحتضانه حين كان يحسّ بالعزلة، وبأنّه خارج عن القانون، وهو ما أتاح له عرض نظريّاته. ونحن نقتبس هنا فقرة طويلة من هذه الرّسالة بما يغنينا عن كلّ تعليق:

"إنّ حقيقة كونكم يهوداً لا يمكنها إلاّ أن تسرّني، لأنّني كنت أنا نفسي يهوديّاً، وقد بدا لي دائماً أن التنكّر لذلك لا يدخل في باب الدّناءة فحسب، بل هو أيضاً وبكلّ صراحة من باب الرّعونة. لم تكن العقيدة هي ما يشدّني إلى اليهوديّة، وهذا ما يجب أن أعترف به، ولا حتّى الاعتزاز القوميّ، لأنّني كنت على الدّوام ملحداً. لقد نشأت بلا دين، ولكن ليس دون احترام ما يسمّى المتطلّبات "الأخلاقية" للحضارة الإنسانيّة. ولقد جهدت في كلّ مرّة واجهت فيها مشاعر حماسة قوميّة، في دفعها باعتبارها مهلكة وظالمة، خوفاً وفزعاً ممّا فعلته الشّعوب التي نعيش بين ظهرانيها، نحن اليهود. ولكن بقي ما يكفي من الأشياء القادرة على جعل جاذبيّة اليهوديّة واليهود أمراً لا يقاوم، كثير من القوى العاطفيّة الغامضة، وهي من القوّة بحيث لا يمكن التعبير عنها بالكلمات، إضافة إلى وعي واضح بهويّة داخليّة، لغز وجود التّركيبة النّفسيّة ذاتها عند كلّ اليهود. وسرعان ما انضافت إلى كلّ ذلك حقيقة أخرى: لقد أدركت أنّني لست مديناً إلاّ لطبيعتي اليهوديّة في اكتسابي الصّفتين اللّتين غدتا ضروريّتين في حياتي الصّعبة. فلأنّني كنت يهودياً، وجدت نفسي متحرّراً من كثير من الأفكار المسبقة التي تحدّ من استخدام الآخرين لذكائهم؛ وبصفتي يهودياً، كنت مستعداً للانضمام إلى المعارضة والتخلّي عن الانشغال بمسألة الاتّفاق مع (الدّهماء)"[8,9].

إنّ فرويد رغم إلحاده يبقى يهودياً، وهذا ما يطرح بالطّبع مشكلة عويصة، لأنّ الاعتقاد في إله واحد هو جوهر اليهوديّة في المقام الأوّل. إنّه لا يقول هنا أن معاداة الساميّة التي لاتزال حادّة في القرن التّاسع عشر في ألمانيا والنّمسا والمجر هي ما يجبره تحت طائلة اتّهامه بالجبن على التبرّؤ من قومه، ويضطرّه إلى الشّعور بالتّضامن مع "جنسه"، أو مع "شعبه"[10]. وتشير المراسلات إلى حادثين طالما علّق عليهما فرويد. أولّهما هو تعرّضه لاعتداء داخل قطار من قبل أحد المسافرين قرب مدينة دريسدن، لأنّه كان يريد إبقاء النّافذة مفتوحة في عزّ الشّتاء[11]. لقد وُصف باليهودي القذر، ولكنّه تحدّى مهينيه، وروى القصّة لخطيبته باعتزاز كبير. أمّا بخصوص الثّاني، فيروي كيف تمكّن زميله كارل كولر[12](Carl Koller) بعد تعرضّه لهجمة مضادّة للساميّة من قبل أحد الجرّاحين من كسب الجولة في نهاية المطاف أمام مدير العيادة، وكيف أجبر على خوض عراك مع المعتدي[13]. ولكنّ مطلب التهوّد لا يعود إلى وجود ضغط خارجيّ فحسب، بل هو يتطابق أيضاً مع مساءلة للهويّة: أن فرويد يعزو عدم انقياده، وانعدام الأحكام الفكريّة المسبقة عنده، ومثابرته وحماسه الثّابت، لأصوله اليهوديّة، وهي الصّفات التي يعدّها يهوديّة في جميع مراسلاته[14]. وفي رسالة إلى خطيبته بتاريخ 2 فبراير/ شباط 1886، يسوق فرويد بفخر رأي بروير (Breuer) حول شخصيّته:

"لقد قال لي إنّه اكتشف فيّ، تحت مسحة خجلي الظّاهري، قوّة عزم وشجاعة. وهذا ما كنت أعتقده دائماً، ولكن دون أن أجرؤ على البوح به لأحد. ولطالما بدا لي أنّني ورثت كامل روح التمرّد، ومجمل العاطفة التي مكّنت أسلافنا من الدّفاع عن هيكلهم، وأنّني أستطيع التّضحية بحياتي بكلّ فرح من أجل قضيّة كبرى"[15].

وقد سبق أن كانت هذه المساءلة ظاهرة بوضوح من خلال رسالة طويلة موجّهة إلى مارتا بارنيز (Martha Bernays) بتاريخ 23 يوليو/ تمّوز 1882. فقد تتبّع فرويد فيها في الواقع بطريقة غير مباشرة تطوّر اليهوديّة في الحقبة المعاصرة مستحضراً شخصيّة إسحاق بارنيز (Isaac Bernays)، وهو جدّ مارتا الذي كان رئيساً للطّائفة اليهوديّة في مدينتي هامبورغ وألتونا، والذي سبق أن صوّره شيخ يهوديّ متعاطف، كان تلميذه ذات مرّة، في صورة رجل رائع ومستنير مقارنة بناثان الحكيم (Nathan le sage) في مسرحيّة ليسينغ (Gotthold Lessing):

"بما أن الدّين قد توقّف عن أن يكون عقيدة جامدة، فقد غدا موضوع تفكير من أجل إرضاء الأذواق الفنية الرّفيعة والمتطلّبات المتنامية للمنطق. وخلاصة القول إن سيّد هامبورغ لا يدعو إلى الدّين من أجل قداسته، بل لأنّه يبتهج بالشّعور القويّ الذي يجده في الدّين، أو الذي يعزى إليه"[16].

ومع ذلك، ينتهي فرويد إلى أن تلك "النّماذج التي يشعر فيها شيوخ اليهود بالرّاحة لن تتمكّن من حمايتنا"، حتّى لو تمّ تخفيفها، وأنّ الوطن اليهوديّ الذي ينوي إنشاءه سيحتفظ فحسب بشيء جوهريّ هو "الابتهاج بالحياة"، ذلك أن اليهوديّ كما أكّد إسحاق بارنيز: "هو الزّهرة الرّقيقة للبشريّة، خُلِق من أجل المتعة، وهو يحتقر جميع أولئك الذين يعجزون عن بلوغها"[17]. وقد احتفظ تلميذه، ذاك اليهوديّ الهرم الذي قابله في هامبورغ، بموهبة التلذّذ بتلك المتع التي يهبها الله، وهو ما ينسبه إلى المدرسة القديمة "المرتبطة أشدّ ما يكون بالدّين، دون أن تفصلنا عن الحياة"[18]. وهذا هو السّبب في أن اليهود يقومون قبل تسعة أيّام من عيد التّاسع من آب (Tichah be-Av) الذي يحيون فيه ذكرى تدمير الهيكل، بحرمان أنفسهم من كلّ سرور قياساً بالأيّام الأخرى. وقد كان إيراد هذه الطرفة فرصة لفرويد كي يبدي ملاحظة جوهريّة بشأن دوام اليهوديّة: "ويقول المؤرّخون إنّه لو لم تدمّر القدس، لكنّا نحن اليهود اختفينا مثل شعوب كثيرة أخرى سبقتنا أو جاءت بعدنا. إن تدمير الهيكل المرئيّ هو ما سمح ببناء الصّرح اليهوديّ غير المرئيّ"[19]. فهذه المسألة المتعلّقة بمسألة الهويّة اليهوديّة هي أمر محوريّ في مخطّط آخر أعمال فرويد: موسى الإنسان والدّين التّوحيديّ.

فرويد، موسى والتّوحيد

غالباً ما اعتبر كتاب فرويد بمثابة نصّ شبه مجنون، وغير جادّ من النّاحية العلميّة، إلاّ أنّه كان متّصلاً بجميع اهتمامات الكاتب التي تبدو توجّهاته المختلفة متناسقة أكثر بكثير ممّا هو معترف به عموماً. لقد سبق لفرويد أن قرّر في شبابه الاهتمام بعلم الحيوان والفلسفة إلى جانب الطبّ، وكتب لإيميل فلوس (Emile Fluss) في عام 1873 يخبره بأنّه قرّر أن يصبح "عالم طبيعة" (Naturforscher) كي "أهتمّ بسجلاّت الطبيعة المحفوظة منذ آلاف السّنين. عساي أصبح شاهداً على سياقاتها الأبديّة"[20]، إلاّ أنّه سينتقل في وقت لاحق من الفلسفة إلى علم النّفس، ومن علم الأعصاب إلى دراسة الأمراض العصبيّة، ولكن مع التّركيز على السّنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان التي من شأنها تقديم تفسير للتطوّرات اللاّحقة. إن ما استهواه في عالم الطّبيعة وعلم النّفس المرضيّ هو نفسه ما جلب اهتمامه على مستوى جميع الظّواهر الجماعيّة التي يمثّل الدّين أحد مجالاتها الكبرى. وانطلاقاً من سنة 1920، واستناداً إلى دراسات أساسيّة حول علم نفس الجموع، لن يكفّ فرويد عن الاشتغال حول الأصول الغامضة للأديان، وهي التي ينقصها التّوثيق مثلها مثل مرحلة الطّفولة المبكّرة على المستوى الفرديّ. ومن هنا تبرير الطريقة المطبّقة في كتاب الطّوطم والحرام (1911)، وكتاب موسى الإنسان والدّين التّوحيديّ (1939)، فهما مرتبطان

كأشدّ ما يكون الارتباط، ويسعيان نحو إبطال القداسة، بما يبرّر نعت موسى بـ"الإنسان"[21].

ويشرح فرويد بوضوح شديد هذا الأمر في رسالة إلى شخص مجهول بالقول:

"قبل سنوات، بدأت أتساءل كيف اكتسب اليهود طابعهم الخصوصيّ، وقد عدت، جرياً على عادتي، إلى الأصول الأولى. ولم أكد أتوغّل في الموضوع حتّى فوجئت باكتشاف أن التّجربة الأولى، أو إن شئنا التّجربة الجنينيّة لهذا الشّعب، وتأثير موسى الإنسان والخروج من مصر، هي ما حدّد تطوّره المستقبليّ برمّته، وصولاً إلى أيّامنا؛ على مثال ما تتركه رضّة تتمّ في مرحلة الطّفولة المبكّرة من آثار في تاريخ شخص عصابيّ"[22].

لقد سعى فرويد إلى إعادة بناء ما قد يكون حدث وقت نشوء الدّيانة اليهوديّة، وذلك باستخدام طريقة مستوحاة من التّحليل النّفسي، ولكن أيضاً من علم الآثار الذي كان واحداً من أهمّ هواياته. ففي رسالة موجّهة إلى ستيفان تسفايغ (Stefan Zweig) بتاريخ 7 فبراير/ شباط 1931، شدّد فرويد على أنه قدّم، رغم تواضع أسلوب حياته، تضحيات عدة في سبيل امتلاك مجموعة من العاديات اليونانيّة والرّومانيّة والمصريّة القديمة، وأنّه قرأ "في الواقع كتباً حول علم الآثار أكثر ممّا قرأ حول علم النفس"[23].

لم يكن هذا العمل أرعن إذن كما تعتقد ماري موسكوفيتشي (Marie Moscovici)، حسب ما جاء في تقديمها لكتاب فرويد[24]، بل كان مسنوداً بجهد توثيقيّ هائل على غرار بقيّة كتابات فرويد، وهو ما يجعله يدّعي القيام بمهمّة مؤرّخ في الجزء الأوّل منه. وهذا الزّعم بعيد عن أن يكون بلا أساس، إذ إن وصف فرويد عمله بكونه "رواية تاريخيّة" لا يدع مجالاً للاعتقاد بأنّه بصدد الاستسلام لأوهام خياليّة. فكلّ عمل تاريخيّ هو في الواقع عمل لإعادة بناء الماضي الذي يحتفظ بعلاقات وثيقة مع القصص الخياليّ[25]. ومثال ميشليه (Michelet)، حاضر ليذكّرنا بهذا الأمر، مع عدد من المؤرّخين المعاصرين الذين يتبنّون هذه المماثلة، وقاموا بردّ الاعتبار للرّوايات التّاريخيّة، بما فيها روايات ألكسندر دوما (Alexandre Dumas). ولا علاقة لذلك بالحريّات التي يدّعيها بعض المحلّلين النّفسيّين لأنفسهم في الوقت الرّاهن، وخصوصاً الفرنسيّين منهم، حين يعتبرون المساهمة في خلق التخيّلات التي لا أساس علميّ لها، أمراً مشروعاً. إن فرويد عالم اكتسب تكوينه من المدرسة الألمانيّة والنّمساويّة، وهو علاّمة حقيقيّ، التهم عدداً لا يحصى من الأعمال العلميّة من كلّ نوع، وقدرته على التّوليف بين التخصّصات ممّا يبعث على الدّهش حقّا، وهو ما ساهم بلا شكّ في بلورة قسم كبير من عبقريّته.

ومن المؤكّد أن التّساؤل حول موسى يتقاطع مع هموم شخصيّة، وينمّ عن تماه صريح وغير محتشم. فطموحات فرويد تظهر في وقت مبكّر جداً في مراسلاته، فهو يقارن نفسه بعملاق يتمتّع

بقوى هرقليّة ذات طابع بطوليّ محض[26]، وانشغل منذ وقت مبكّر جداً بالوثائق والرّسائل والكتابات المختلفة التي سيستخدمها لاحقاً في سبيل تطوير آرائه حول "تطوّر البطل" وكتابة سيرته[27]. لقد أشار في رسالة موجّهة إلى مارتا إلى أنّه ليس عبقرياً، وأنّه لا يفهم كيف لم يسبق له أن رغب في أن يكون عبقرياً:

"إنّني لست موهوباً حتّى؛ وجميع قدرتي على العمل تعود على الأرجح لمزاجي، وعدم وجود نقاط ضعف فكريّة خطيرة لديّ. ولكنّني أعرف أن مثل هذا المزيج يمكنه أن يؤدّي ببطء إلى النّجاح، وأنّه يمكنني، في ظلّ ظروف مواتية، أن أنجز شيئاً أفضل ممّا أنجزه نوثناغل (Nothnagel) الذي أعتقد أنّني أسمى منه بكثير. ولربّما أضحيت مساوياً لشاركو[28] (Charcot)".

وقد كان قبل بضعة أشهر اعتبر شاركو (Charcot) "واحداً من أعظم الأطباء الذين تصل عقولهم حدّ العبقريّة"[29]، وهو ما يغني عن كلّ تعليق. وفي ظلّ مثل هذه الطّموحات، يصبح من المفهوم أن فرويد كان مفتوناً بـ"الرّجال العظام" الذين خصّهم بحديث طويل في كتابه عن موسى. إن صورة موسى، المهيبة والمرعبة، كما تظهر في لوحة موسى للرسّام مايكل أنجلو (Michel-Ange) هي صورة الأب المؤسّس للشّريعة التي أعطاها اسمه. وعمل فرويد يبدو محاولة لتوضيح الأصول المؤسّسة للتّوحيد، ولكنّه يظهر أيضاً قتلاً للأب المرعب والمكفهرّ الذي أضفى الكثير من ميزاته على إله اليهود. ويبدو القيام بـ"تجريد شعب من الرّجل الذي يحتفي به باعتباره واحداً من أعظم أبنائه"، وهي الجملة الأولى من كتاب فرويد عن موسى، باسم الحقيقة العلميّة، وعلى حساب مصلحة قوميّة مزعومة، بلاّ شكّ أمراً يرقى إلى درجة جريمة قتل. وإذا ما قمنا بمقارنة بين السّمات المسندة لموسى والطّابع الاستبداديّ الذي ينتحله فرويد في رسائله إلى مارتا، فإنّه يسهل أن نرى في ذلك تماهياً يمهّد لإنشاء نظريّة تضع نهاية للوهم الدّينيّ عند اليهود. وإذا ما كان فرويد يعتقد أن عمله لن يحظى بالتّأييد، فإنّ ذلك يعود بالطّبع إلى أنّه ينزع الطّابع الأسطوريّ عن مؤسّس الدّيانة التّوحيديّة الأولى بنزع هالة القداسة عنها، منخرطاً بذلك في الحركة الكبيرة لنبذ الدّين التي ستميّز تطوّر البشريّة على المدى البعيد، كما يقول جاك لوغوف[30] (Jacques Le Goff) وبلا شكّ، فإنّه من اللاّفت للنّظر أن يكون كبار المفكّرين اليهود هم أكثر من ساهم في هذه الحركة. ويكفي مجرّد التّفكير في ماركس وفرويد اللذين عملا بشكل حاسم على تدمير الوهم الدّينيّ في الغرب. ولعلّ الخصائص اليهوديّة التي حدّدها فرويد، ومسار تشكّل الدّيانة اليهوديّة كما تناولها في كتابه عن موسى، تقدّم أحسن مثال على ذلك.

فوفقاً للافتراضات الفرويديّة، فإنّ موسى، إذا ما كان شخصيّة ذات وجود تاريخيّ، كان مصرياً. واستناداً إلى تحليل اسم موسى، والقيام بمقارنة بنيويّة غير مكتملة مع أساطير بطوليّة

أخرى، يخلص فرويد، اعتماداً على نظريّات رائجة في ذلك الوقت، ولم يتمّ التخلّي عنها بعد، إلى أن موسى كان بلا شكّ شخصيّة مهمّة جداً مقرّبة من الفرعون أمنحوتب الثّالث، وأنّه كان أميراً، أو كاهناً، أو مسؤولاً إداريّاً رفيعاً. لقد أضحت مملكة مصر قوّة عالميّة عظمى قامت باستلحاق كلّ من النّوبة وفلسطين وسوريا، وجزء من بلاد ما بين النّهرين. "وقد انعكست هذه النّزعة التوسعيّة، منذ ذلك الحين، في الدّين في شكل نزعة شموليّة وتوحيديّة". لقد أقام أمنحوتب الثّالث، في الواقع، ديانة شمسيّة توحيديّة جديدة، واتّخذ اسم إخناتون لأسباب سياسيّة إلى حدّ كبير حسب فرويد، وهذا افتراض يبدو محيّراً بدرجة كبيرة في سياق كتاب موسى، حيث سيتمّ التّأكيد في نهاية جزئه الثّاني على استحالة إنكار الأهميّة المتفرّدة لعظماء الرّجال في تاريخ العالم. ولكن يجب علينا أن نأخذ في الاعتبار مبدأ تضافر العوامل (surdétermination)، الذي طالما أكّد عليه فرويد دون أن يستبعد الدّوافع المستقاة من حاجات ماديّة أو سياسيّة، مثلما هو الأمر هنا، وهي الدّوافع التي يرفض أن ينظر إليها بوصفها العلّة الوحيدة. ومن الواضح أن فرويد يعارض الماركسيّة حين يندّد بـ"الانتهاك المرتكب ضدّ التنوّع الإنسانيّ الكبير حين لا نعترف إلاّ بالدّوافع الماديّة". نعم، توجد أفكار كثيرة، وخاصّة منها تلك المدموغة بطابع الدّين، تستمدّ قوّتها من مصادر أخرى، نفسيّة بالخصوص، وهذا لعمري نفس الافتراض الذي سبق أن صيغ في كتاب الطّوطم والحرام.

لقد مثّل الدّين الجديد تقدّماً كبيراً للثّقافة، لأنّه كان يفوقها من حيث التّجريد بما لا يقاس؛ لقد رفض الاعتقادات الشّعبيّة السّاذجة، والسّحر، والتصوّف، وعارض بصفة خاصّة عبادة أوزوريس الواعدة بحياة أبديّة. ومن هنا، فإنّ الطّابع النقيّ والمتشدّد للدّين الجديد هو ما يفسّر اعتناقه من قبل عدد ضئيل من الأفراد، من قبل نخبة صغيرة بلا شكّ، ويفسّر أيضاً ارتداد المصريّين بعد وفاة إخناتون نحو شرك أقرب ما يكون إلى المرحلة السّابقة، مرحلة الطوطميّة، وذلك بتأثير من طبقة الكهنة والشّعب. وكان أن أراد رجل الحفاظ على هذا المنجز الذي حقّقته الثّقافة، إنّه موسى الذي اختار لهذه المهمّة ذلك الشّعب العبريّ الصّغير المنفيّ في مصر، "شعب من المهاجرين المتأخرّين على صعيد الحضارة". لقد فرض عليه هذا الدّين الجديد بالقوّة، وعمل على مزيد تنقيته بحيث ارتفع به "نحو قمم من التجريد المتسامي"[31]، وذلك بخاصّة من خلال الحظر المطلق لأيّ تصوير للإله، والانفصال عن الأسطورة الشّمسيّة. لقد كان الدّين الجديد صارم التّوحيد، منغلقاً وخاصّاً بشعب مختار يتّسم رمزيّاً بالاختتان الذي يميّزه عن الشّعوب المحيطة به، وقابل للعهد الخاصّ المبرم مع الله. ولقد افترض فرويد أن هذا الدّين مصريّ الأصل، وأنّ متطلّباته الأخلاقيّة كانت متشدّدة، بحيث "قامت الدّيانة اليهوديّة القديمة (...) بنكران الخلود بصفة

تامّة"[32]، وهذه نقطة أساسية غالباً ما ننساها، رغم كونها بلا أدنى شكّ، إلى جانب الأخلاق العالية المفروضة على الشّعب اليهوديّ، في أصل احترام تلك الدّيانة للحياة الإنسانيّة، وميلها إلى الابتهاج بالحياة على ما لاحظه فرويد في مراسلاته. كما أدّى حظر تصوير الذّات الإلهيّة من جهة أخرى إلى "تراجع الإدراك الحسّيّ لصالح تمثّل يمكن وسمه بالمجرّد، وانتصار الحياة الرّوحيّة على الحياة الحسيّة، أو بتعبير أدقّ، نكران الغرائز..."[33].

لقد استفاد موسى من الأوقات العصيبة التي أعقبت فترة حكم إخناتون من أجل إخراج الشّعب اليهوديّ من مصر، إلاّ أن هذا الشّعب ثار ضدّ طغيان الرّجل العظيم، وعاد إلى الوثنيّة ليعبد العجل الذّهبيّ، ويخرق الشّريعة المفروضة، وهو ما رمز إليه بكسر موسى لألواح الشّريعة (فسّر فرويد الأمر وفقاً للتّقنية التّحليليّة ورأى فيه انزياحاً). لقد بدا قمع النّزوات الغرائزيّة الذي يتطلّبه الدّين الجديد، أمراً لا يطاق، وهو لن يقبل إلاّ في مرحلة تالية بعد وفاة موسى الذي قتل بلا شكّ على أيدي اليهود الذين لن يعترفوا بقتله أبداً، مكرّرين بذلك جريمة الرّهط البدائيّ التي نجدها في قلب الفرضيّات الفرويديّة في الطّوطم والحرام.

وقد كانت هذه الجريمة في أصل شعور حادّ بالذّنب، ومصدراً للمتطلّبات الأخلاقيّة عند اليهود. وسواء كانت تلك الجريمة قد حدثت أو لم تحدث، فإنّ ذلك لا يغيّر المسألة في شيء ما دام العبرانيّون قد أحسّوا برغبة قويّة في ذلك؛ ولقد سبق للمؤلّف أن أكّد في "كَدَرٌ في الثّقافة"(1932) أن النّزوات العدوانيّة المكبوتة من شأنها تعزيز متطلّبات الأنا العليا. وهذه نقطة حاسمة إذا ما أردنا فهم استدلالات فرويد الذي يرى أن التقدّم الحضاريّ لا يمكنه أن يتحقّق إلاّ من خلال قمع الغرائز، وخاصّة ما يتعلّق بشكل رئيسيّ بغريزة الموت. فانطلاقاً من سنة 1920، سيفترض فرويد وجود غريزتين أساسيّتين متداخلتين في الغالب، غريزة الحياة وغريزة الموت. وسيكون قمع غريزة الموت هو مصدر الأخلاق، فهي تتخلّى عن جزء من طاقتها لفائدة الرّغبة في المعرفة، وهو ما يسمح بتقدّم المعارف وتطوّرات التّقنية بما يباعد بين الإنسان والحيوان. ولابدّ أن نضع في اعتبارنا أن فرويد كان من أتباع الدّاروينيّة المخلصين، وأنّه كان يرى تاريخ تطوّر النّوع الإنسانيّ بوصفه عمليّة قد تعتورها الفوضى أحياناً، ولكنّها ثابتة مستمرّة من شأنها اقتلاعه من الحيوانيّة، وهي موجودة في كلّ فرد من خلال تشكّل الأنا الأعلى، تلك الآليّة النّفسيّة الدّاخليّة التي تراقب، وتحظر، وتعاقب، وتجبر على احترام القانون الأخلاقيّ. ويتشكّل هذا الأنا الأعلى من خلال استدماج الصّور الأبويّة، لاسيّما صورة الأب التي استبطنت بعد قتله من قبل الأبناء الذين اتّهموه خلال وجبة طوطميّة (وهذا افتراض مقترض من الأنّاس روبرتسون سميث Robertson Smith، ولا يريد فرويد التخلّي عنه رغم الانتقادات العديدة التي وجّهت إليه بالخصوص). ويفترض فرويد، ونحن هنا إزاء

فرضية داروينيّة أخرى، أن الرّهط البدائيّ كان مسيطراً عليه من قبل أب قاهر تمّ قتله على أيدي أبنائه الذين عانوا من تعسّف الذّكر المهيمن؛ وذلك بعد أن أبعدوا عن الرّهط، أو خصوا، منعاً لهم من الاقتراب من الإناث المنتميات كلّهنّ إلى الأب (يرمز الختان إلى هذا الخصاء). وقد استنبط فرويد هذه الفرضيّة الدّاروينيّة من الأداء النّفسيّ للكائنات البشريّة الحاليّة التي تعيد جميعها، بصفة فرديّة، إنتاج تطوّر النّوع على المستوى المادّي، وعلى المستوى الأخلاقيّ والنّفسيّ، بمقتضى القانون العامّ الذي يفرض أن يكون تطوّر الفرد (ontogenèse) استنساخاً لمسيرة تطوّر النّوع (phylogenèse).

إنّ مطالب الأنا الأعلى تتعزّز من خلال قمع الغرائز، إذ تزيد الرّغبات العدوانيّة المكبوتة في طابعه الاستبداديّ. ولا تتمكّن سوى قلّة من النّاس من احتمال التوتّر النّاجم عن تلك المتطلّبات من خلال إعلاء الدّوافع العدوانيّة في البحث العلميّ، أو الفنّ على سبيل المثال. إن اغتيال موسى غير المعترف به، قد طوّر عند اليهود ذاك الشّعور بالذّنب الذي تعهّده الأنبياء. وإنّ فرويد ليؤكّد أنّه كان على الشّعب المختار تحمّل كثير من خيبات الأمل قياساً بالمنافع الدنيويّة التي يمكن أن يجنيها من تحالفه مع الربّ، وإنّ الأنبياء هم من أقنعه بمسؤوليّته عن المصائب التي حلّت به بديلاً من توجيه عدوانيّته نحو الخارج. ويعود الكدر الذي ميّز نهاية العصور القديمة جزئيّاً إلى طابع المتطلّبات الأخلاقيّة الذي يفوق الاحتمال، بالضّبط كما كانت الحال في أواخر القرن التّاسع عشر، وهذا ما لا يشير إليه الكاتب، ولكن يمكن استنتاجه بسهولة. وقد كان الحلّ في إنشاء دين جديد من قبل القدّيس بولس: لقد حمل المنقذ على ظهره خطايا العالم، وبذلك خفّف عن أتباعه. وقد أدّى هذا التقدّم إلى الانحدار بالدّيانة اليهوديّة إلى مستوى أحفوريّ، على غرار ما هي النّماسيح نسبة إلى عصر الدّيناصورات. ولكن سيكون من باب الجهل بفرويد الاعتقاد بأنّ الأمر يتعلّق هنا بتقدّم مطلق، فقد كان إضفاء الطّابع العالميّ على الدّين الجديد مصحوباً بانكماش في المتطلّبات الأخلاقيّة، وبانحدار في مجال التقدّم الرّوحيّ، إذ قامت المسيحيّة باستدماج التّراث الوثنيّ الشّركيّ ليظهر في شكل عبادة القدّيسين، ولتظهر عبادة الإلهة - الأمّ الأرضيّة في عبادة مريم العذراء. وقد حافظ اليهود، المتمرّدون دوماً، والذين لم يعتنقوا الدّين الجديد على المتطلّبات الرّوحيّة العالية التي فرضها موسى، وهو ما يفسّر بالطّبع في ذهن فرويد القدرات الاستثنائيّة لليهود، والتقدّم الذي أحرزته الحضارة بفضلهم، وكذلك نزوعهم إلى العصاب. وبما أن اليهود نظروا إلى أنفسهم باعتبارهم الشّعب المختار، فقد جلب عليهم ذلك غيرة الآخرين وكراهيّتهم؛ وأدّى عدم اعترافهم بقتل الأب إلى أن يتّهموا من قبل المسيحيّين الذين أقاموا ديناً للابن محلّ دين الأب المفروض من جانب موسى، بأنّهم المسؤولون عن قتل يسوع، ابن الله.

هذه باقتضاب شديد الخطوط العريضة للبناء الفرويديّ، وهو بناء بلا شكّ أكثر تعقيداً في تفاصيله إذا ما أخذنا في الاعتبار ثنائيّة التّقليدين الإيلوهيميّ واليهويّ للتّوراة، على افتراض حصول اندماج بين إلهي قسمي الشّعب العبريّ: أولئك الذين هاجروا إلى مصر من ناحية، وأولئك الذين بقوا في أرض كنعان، من ناحية أخرى، وعبدوا الإله يهوه العنيف، إله البراكين الذي اندمج مع إله موسى. ولن يتمّ فرض التّوحيد الصّارم، المحرّم كلّ تمثيل للذّات الإلهيّة والدّاعي إلى التمسّك بأخلاقيّة متشدّدة، إلاّ بعد فترة طويلة مقارنة مع فترة الكمون الطّفوليّة التي تم فيها تناسي ميراث موسى جزئيّاً من قبل الجموع الفظّة، حسب ما يقول لنا فرويد النّخبويّ دائماً[34]، والتي تمّ خلالها إدخال عدد من التّحسينات والتّغييرات والحذوفات على النّصوص المقدّسة. لقد تمّ كبت اغتيال موسى، وتمّ التوصّل إلى تسويات (كما يدلّ عليه طبعاً، العصاب بالنّسبة للأفراد). وقد احتفظت التّقاليد بآثار ما حدث، وهو ما تمّ إحياؤه تدريجيّاً. وستؤثّر أجزاء الماضي المستعادة بقوّة على الجموع بشدّة، ذلك أن استعادتها تتمّ في إطار سعي محموم نحو معرفة الحقيقة، على غرار الأعراض الذّهانيّة عند الأفراد.

وهكذا أخذ دين الأب البدائيّ النّاهض تدريجيّاً في تشكيل مزاج الشّعب اليهوديّ، وأكسبه الاعتزاز بالاصطفاء، والأمل في جزاء، وأخيراً الهيمنة على العالم[35]. ولايزال هذا الوهم الذي تخلّى عنه الشّعب اليهوديّ منذ فترة طويلة، مستمرّاً "إلى حدّ اليوم بين أعدائه حين ترتفع أصواتهم ضدّ مؤامرة حكماء صهيون"[36]، وهو اعتقاد لايزال كما نعرف سائداً إلى اليوم في بعض البلدان العربيّة.

إنّ البناء النّظري الفرويديّ الجريء يقوم على عقد مقارنات بين نفسيّة الجموع ونفسيّة الأفراد الذين نقدّرهم غاية التّقدير، وهو يفترض حين يحاول تفسير كيفيّة انخراط الشّعب اليهوديّ في توحيد صارم، أن ذلك قد تمّ تحت تأثير عبقريّة فذّة، هي عبقريّة موسى الزّعيم الحقيقيّ الذي فرض ذلك الاعتقاد على شعبه من خلال سيرورة سيتمّ شرحها لاحقاً ضمن كتاب مقالات في التّحليل النفسيّ. إن سمات مزاج موسى هي ما سينسبه الشّعب لإلهه. ولكنّ هذا الاعتقاد لن يفرض نفسه بقوّة إلاّ لكونه يُحيي شيئاً سبق محوه تماماً، ألا وهو موت أب الرّهط البدائيّ، وهو ما سينبعث في الوعي كعودة للمكبوت. إلاّ أن فرويد يشير بوضوح إلى صعوبة كبيرة في افتراض وجود تماه بين العمليّتين، وإلى أن الأمر لا يعدو مجرّد تماثل، ذلك أنّه ليس من الضّروري حسب فرويد افتراض وجود لاوعي جمعيّ كما فعل يونغ حين طابق مفاهيم من علم نفس الفرد مع مفاهيم من علم نفس الجموع. وسيثبت هذا المفهوم لاحقاً خطورته البالغة، من حيث إيحائه بوجود لاوعي آريّ، وآخر يهوديّ.. إلخ، وهو ما ستستغلّه النّزعات العنصريّة. وبالنّسبة لفرويد، فإنّه لا

وجود للاوعي جمعيّ، أو كبت جمعيّ. ولا وجود أيضاً لأنا أعلى جمعيّ، إذ إن دوره موكل للرّجال العظام، وبالتّالي، فإنّ ما يوجد هو نسيان بعض التمثّلات التي يتمّ تجاوزها، قبل أن تعاود الظّهور في وقت لاحق. وفي الواقع، فإنّ ما هو جمعيّ بالفعل هو مضمون اللاّوعي الذي يمثّل "ملكيّة عامّة للبشر يتمّ تناقلها وراثيّاً". إن آثار الذّكريات المنسيّة تبقى قائمة بما يسهّل التمثّلات على إعادة الظّهور، وذلك لأنّها تشكّل نوعاً من الموروث الذي لا يستلزم أن تعاد صياغته كلّ مرّة، بل تكفي إعادة إيقاظه عند كلّ جيل باعتباره استعدادات مكتسبة. وعلى سبيل المثال، فإنّ الرّمزيّة الفطريّة متولّدة عن نشوء اللّغة، وهو ما يعني أنّنا بحضرة سمة مكتسبة، هي سمة كونيّة لأنّها عامّة في النّوع وتتجاوز كلّ اللّغات. وبهذا المنظور، فإنّ مشاعر المؤمنين تجاه إلههم ليست سوى تكرار للمشاعر حيال أب الرّهط البدائيّ، والتي تظهر من جديد مع تلك العودة الزّائفة للمكبوت؛ إله كليّ القدرة يطلب التفرّد، وهو متولّد عن الأب البدائيّ الذي ورثه موسى جزئيّاً.

ورغم اختتام فرويد دراسته بسلسلة من الشّكوك حول صحّة ما توصّل إليه من نتائج، فإنّ فرضيّاته تكتسي أهميّة بالغة. وهو يعتقد أنّه لم يتمكّن من تفسير سبب عجز اليهود على الاعتراف بقتل الله، ولا سبب تمكّن الشّعب اليهوديّ من الحفاظ على تفرّده، وذلك رغم تقديمه تفسيراً مقنعاً بما فيه الكفاية، فقد أدّى قمع الغرائز المرتبط بحظر تمثيل الله إلى انكفاء اليهود على دراسة الكتاب المقدّس، وهو الميراث الوحيد الذي تمّ الحفاظ عليه كشيء خاصّ بعد تدمير الهيكل، وهذا الكنز هو ما كان يمكن أن يمثّل إرثاً مشتركاً بين جميع اليهود، ويضمن بقاء استثنائيّاً لشعبهم، ويحفظ جوهره. أمّا السّمة الأساسيّة الثّانية التي عزّزها قمع الغرائز الذي زاد من فخرهم، فهي شعورهم بأنّهم شعب مختار من قبل الله؛ فاليهود يشعرون بالتفوّق حيال أولئك الذين لم يمارسوا قمع الغرائز ممّن بقيت القوّة البدنيّة عندهم مثلاً أعلى على المستوى العرقيّ. وبهذا تغدو رسالة فرويد إلى حاييم كوفلر المذكورة أعلاه مفهومة أكثر من قبل. ففرويد يرى في التعلّق بالأشياء الماديّة التي يتمّ تقديسها، على غرار حائط المبكى الشّهير، أمراً مخالفاً لروح اليهوديّة؛ وهو مجرّد نكوص يعود بكلّ وضوح إلى إيمان بالخرافات، ويمكننا تفهّم لامبالاة فرويد حيال مكان وجود الدّولة اليهوديّة: فالأرض نفسها لا يمكن أن تكون مقدّسة، والتخلّي عن تلك الأرض هو ما عزّز عمليّة التّجريد، والأمثلة التي تفسّر تقدّم الفكر. كما يتّسق تعلّقه بجامعة القدس أيضاً مع مجمل فكره. ففرويد يرى بالفعل أن الكابح الوحيد لتطوّر العنف هو تطوّر الثّقافة. إنه يختم كتابه "لماذا الحرب؟" بالإشارة إلى أن "توطّد العقل الذي يبدأ في الهيمنة على الحياة الغرائزيّة، واستبطان الميل إلى العدوان مع كلّ ما يترتّب عليه من نتائج مفيدة وخطيرة"[37] هما أهمّ الخصائص النّفسيّة للثّقافة، وأفضل حصن ضدّ العدوانيّة والحرب، إذ "كلّ ما يشجّع

على تطوير العمل الثقافي هو في الوقت نفسه عامل ضدّ الحرب"[38]. ولقد كان الشّعب اليهوديّ، رغم ماضيه الحربيّ الشّرس والواضح، رائداً في هذا المجال؛ وهو ما يجب ألاّ ينسيه أيضاً أن المثقّفين على اختلاف مشاربهم ممّن لايزال ينظر إلى المطالبة بالأرض في الشّرق الأوسط على أنّها شرعيّة، لن يكونوا، وهذا مؤكّد، على استعداد للدّفاع عنها في أوروبّا.

ولقد سبق لفرويد أن نبّه في رسالته أيضاً من تصاعد التعصّب. والتعصّب اليهوديّ وإن كان محدوداً، فهو أمر لا يمكن إنكاره، ولا ينبغي أن ينسب إلى الدّين، لأنّ غلاة الأصوليّين الأكثر تشدّداً لا يعترفون بدولة إسرائيل، ويرفضون أداء الخدمة العسكريّة، ويكرّسون أنفسهم كليّة لدراسة النّصوص المقدّسة. ولا شكّ في أنّه من المبالغة أن يحمّل الدّين في عمومه مسؤوليّة جميع الصّراعات في الشّرق الأوسط. والدّيانة اليهوديّة في ذاتها ليست ديانة باعثة على تخريج العدوانيّة. أمّا الدّين الإسلاميّ، حتّى ولو كان في مبدئه حسب فرويد "تكراراً مختزلاً لأساس الدّيانة اليهوديّة، يظهره تقليداً لها"، إلاّ أنّه يفتقد إحدى سماتها الأساسيّة، ألا وهي الأهميّة الطّاغية للشّعور بالذّنب؛ فبعد فترة من النّجاحات الزمنيّة الكبرى "بسبب استعادة الأب البدائيّ الأوحد"، سيصاب الإسلام بوهن قد يكون سببه "عدم التعمّق الذي أحدثه في حالة الشّعب اليهوديّ مقتل مؤسّس الدّين"[39]. وهذه الإشارة البسيطة لم يتمّ التوسّع فيها، وسيكون من المفيد القيام بذلك، كما سيكون من المفيد أيضا عقد مقارنة بين العهد القديم والقرآن الكريم من وجهة النّظر هذه. فلا يمكن إنكار محافظة النّصوص اليهوديّة على الشّعور بالذّنب وإدامته، بحيث آخذ الشّعب اليهوديّ نفسه على الدّوام بعدم احترام الوصايا الإلهيّة كما ينبغي، وهو ما كان مصدر جميع مصائبه. والقرآن الكريم ينصّ على الجهاد، ولكنّ هذا المفهوم قد تعرّض لتأويلات شديدة الاختلاف لا يجب التّقليل من شأنها. فالعدوانيّة، وهذا صحيح، موجّهة بالأحرى نحو أعداء الإسلام الذي يجب ألاّ ننسى أنّه مشتقّ من السّلام. وفي الواقع، فإنّ الوضع معقّد للغاية، لأنّ الأمر يتعلّق هنا بدعوة دينيّة ذات منزع عالميّ استجابت إليها شعوب عدّة. ولكنّ ذلك لا يمنع القول بإمكانيّة قيام الإسلام على أساس قبسلاميّ "مكبوت" هو "موساه" الذي يعاود الظّهور في بعض الحالات. فقد أدّى الفشل على المدى الطّويل في إنشاء دولة عربيّة إسلاميّة، وعجز الإمبراطوريّة العثمانيّة عن توحيد العالم العربيّ الإسلامي، إلى ظهور متأخّر لأمم غالباً ما ادّعت ماضياً قبسلاميّاً، وهو الأمر الواضح بصفة خاصّة في مصر والعراق وإيران الشّاه. ففي جميع هذه الحالات، احتفظ رئيس الدّولة بخصائص الملوك المؤلّهين في العصور القديمة، وهو ما يتجلّى في تضخّم مقلق للتّمثيلات الأيقونيّة العملاقة (صدّام حسين، ولكن أيضاً حسني مبارك) وبروز صيغ نمطيّة من طراز دينيّ تقريباً. ولذا ينبغي أن ندمج في مقاربة الإسلام كلّ هذه العوامل إلى جانب انقسام العالم الإسلاميّ منذ

الانشقاق الشّيعي، وما نتج عنه من تداعيات خطيرة على غرار المشاكل المتعلّقة بهيمنة الدّين على السّلطة الزّمنيّة في إيران، والمتولّدة بلا شكّ هي أيضاً من ماض قبسلاميّ.

أمّا في ما يتعلّق بالفلسطينيّين الذين ليس لهم ماض خاصّ، ولم تكن لهم أبداً دولة، فإنّ الرّهان يميل بشدّة إلى اعتبار أنّهم بصدد إنشاء دولة في مواجهة الإسرائيليّين المندمجين من أجل متطلّبات القضيّة مع اليهود والصّهاينة في كراهيّة متشدّدة، هي بالنّسبة لأكثرهم تطرّفاً نتاج تلك النّرجسيّة المعروفة التي ذكرها فرويد. ولكنّنا هنا أمام مشكلة أخرى، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتلك التي كانت محلّ اهتمامنا، وهي تتطلّب دراسة متأنيّة.

(♦) سعدي الأخضري أستاذ في جامعة السّوربون بباريس. وقد اخترنا ترجمة مقاله هذا بعد بحث طويل أثاره مقال الأستاذة رجاء بن سلامة المنشور على موقع الأوان بعنوان فرويد والعرب: المتّهم الذي لن تثبت براءته، بتاريخ 15 يونيو/ حزيران 2007. فقد رجّني ذاك المقال رجّاً عنيفاً لم يهدأ إلى الآن لزعمه عدم وجود من قرأ رسالة فرويد موضوع المقال (بعد الإفراج عنها) قراءة علميّة متّزنة وتميّز من قرأها بالتّعبير عن "كره لمؤسّس التّحليل النّفسيّ، وجهل بأبسط ما كتب، وحقد على اليهود لمجرّد أنّهم يهود"، لتصل كاتبته إلى شبه حكم بالغ القسوة في قولها :"مرّة أخرى يثبت العرب أنّهم لا يرون أبعد من قيد أنملة، ولا ينظرون إلى العالم إلاّ باعتبارهم ضحايا مطلقين وجرحى نازفين، ويثبتون أنّهم أقدر على المحاكمة والإدانة منهم على التّفكير والاحتكام إلى القيم الإنسانيّة، وأقدر على البحث عن النّوايا منهم على تحليل الأفكار". فلعلّه يكون في هذا النصّ بعض عزاء للأستاذة رجاء ولأمثالي ولفئة أزعم أنّها واسعة من قرّاء الأوان.

(♦♦) انظر المقال الأصليّ للأستاذ الأخضري بالفرنسيّة في:

Lakhdari (Sadi): FREUD ،LE JUDAÏSME ET LE SIONISME ،Outre-Terre ،Revue française de géopolitique ،no 9 ،2004/4 ،pp. 473-488.

المراجع والهوامش:

1 ـ "كيرين ها يسود": منظّمة صهيونيّة تأسّست سنة 1920 للإشراف على الهجرة وتوطين المهاجرين.

2 ـ انظر موقع متحف فرويد في لندن: www.freud.org.uk/education/f...

(تعليق من المترجم): أشار الكاتب إلى وجود ترجمتين بالإنكليزيّة لرسالة فرويد على هذا الموقع، إضافة إلى توضيح بقلم مدير متحف فرويد بلندن مايكل مولنار بعنوان "كوني مؤيّداً للعرب" (Being pro'arab)، وثلاثة ردود جداليّة. إلاّ أن الموجود حاليّاً على الموقع هو ترجمة جديدة مقترحة للرّسالة فحسب، إذ تمّ حذف النّصين جميعاً(!)، ويمكن الاطّلاع على التّرجمة الجديدة المقترحة على العنوان الإلكتروني:=

...www.freud.org.uk/education/b=

3 ـ كلّ الشّكر لمايكل مولنار، مدير متحف فرويد في لندن، الذي وافاني بسرعة بنسخة ألمانيّة من هذه الرّسالة الموجّهة إلى حاييم كوفلر، والتي أقترح تقديم ترجمة حرفيّة تقريباً لها، على أمل ألاّ اجتذب بذلك غضب أيّ من الفريقين:

"سيّدي وعزيزي الدّكتور، لم يسعني تلبية مطلبكم. وأنا غير قادر على التغلّب على نفوري من احتلال واجهة السّاحة العموميّة، لاسيّما في ظلّ الظّروف الحرجة الحاليّة التي أرى أنّها غير مناسبة لذلك. إن من يريد التّأثير في الجموع يجب أن يكون قادراً على توجيه كلمات مدوّية وحماسيّة، وهو ما لا يسمح به رأيي الواضح في الصّهيونية. وإنّني متعاطف بلا ريب أعظم التّعاطف مع ما يبذل من جهود، وأنا فخور بجامعتنا في القدس، وأنا مسرور لرؤية مستوطناتنا وهي تزدهر. ولكنّني من جهة أخرى، لا أعتقد أبداً أن فلسطين يمكن أن تصبح يوماً ما دولة يهوديّة، وأنّ أن يكون العالمين المسيحيّ والإسلاميّ على استعداد لجعل أماكنهما المقدسة في عهدة اليهود. وإنه ليبدو لي إنشاء وطن قوميّ لليهود على أرض أقلّ ثقلاً من النّاحية التّاريخيّة، أمراً أكثر معقوليّة. لكنّني أعرف أن مثل هذا المشروع العقلانيّ لا يمكنه حشد حماسة الجماهير، ولا مساهمات الأغنياء. ويجب أن أعترف أيضاً بكلّ أسف أن التعصّب الأعمى لمواطنينا يتحمّل نصيباً من المسؤوليّة في إثارة ارتياب العرب. وإنّه لا يمكنني إبداء أيّ تعاطف مع تديّن خارج عن مساره، ويجعل من بقايا جدار هيرودس أثراً قوميّاً مقدّساً يتحدّى مشاعر سكّان البلاد الأصليّين. ولتحكموا بنفسكم ما إذا كنت بموقفي الحرج هذا الشّخص الأنسب ليكون بمثابة المعزّي لشعب يهزّه أمل لا مبرّر له.

مع فائق احترامي

المخلص لكم، سيغموند فرويد".

4 ـ انظر الرّسالة الموجّهة إلى مارتا بارنايز بتاريخ 2 فبراير/ شباط 1866 في الكتاب الجامع لمراسلات سيغموند فرويد:

Sigmund Freud، Correspondance (1873-1939)، Paris، Gallimard، 1966، p. 216.

وفيها :"في وقت متأخر من المساء (في منزل شاركو Charcot) فحسب، بدأت مناقشة سياسيّة مع جيل دو لا توريت (Gilles de la Tourette) قام خلالها، بطبيعة الحال، بالتنبّؤ بحدوث أبشع الحروب مع ألمانيا. وقد أبلغته فوراً بأنني لست ألمانيّاً ولا نمساويّاً، ولكن يهوديّاً. إن هذا النّوع من المحادثات غير مريح لي، لأنّني أشعر باضطراب شيء ألمانيّ في داخلي كنت قرّرت وأده منذ زمن طويل".

5 ـ المرجع نفسه، ص 396. 397.

6 ـ رسالة إلى بربارة لوي (Barbara Low) بتاريخ 19 أبريل/ نيسان 1936، المرجع نفسه، ص 466.

7 ـ رسالة إلى الكاتب والصّحفي الأميركيّ أبراهام هارون روياك بتاريخ 2 فبراير/ شباط 1930، المرجع نفسه، ص 430.

8 ـ مقولة مقتبسة من كتاب عدوّ الشّعب (L'Ennemi du peuple) لهنريك إيبسن (Henrik Ibsen).

9 ـ Freud، Correspondance، op cit.، p. 398.

10 ـ كتب في رسالة إلى مارتا بارنايز بتاريخ 5 أكتوبر/ تشرين الثاني 1882 متحدّثاً عن الأستاذ نوثاغل (Nothnagel): "هذا الرّجل لا ينتمي إلى عرقنا، إنّه ينتمي إلى الغابة الجرمانيّة"، المرجع نفسه، ص 42.

11 ـ المرجع نفسه، رسالة بتاريخ 16 ديسمبر/ كانون الأوّل 1883، ص 88. 89.

12 ـ كارل كولر (1857 ـ 1944)، طبيب عيون وباحث. عمل في المختبر نفسه الذي عمل به فرويد في فيينا، واكتشفت الآثار المخدّرة للكوكايين في العمليّات الجراحيّة للعيون.

13 ـ مرجع مذكور سابقاً، رسالة بتاريخ 6 يناير/ كانون الثاني 1885، ص 142 .143.

14 ـ من الواضح أنه ينبغي عدم المبالغة في تقدير قائمة الخصال اليهوديّة التي يقدّمها فرويد، فطابعها يبقى محلّ ارتياب دائم. فعلى العكس من ذلك، تشير رسائل أخرى إلى عيوب خطيرة وسم بها فرويد اليهود أيضاً. "إنّ الحماس العنيد يمكن أن يتحوّل عند اليهوديّ المتعصّب إلى أعمال عنف لا هوادة فيها" (انظر الرّسالة إلى مارتا بتاريخ 16 سبتمبر/ أيلول 1883، المرجع نفسه، ص 76)، "الذّكاء المتمظهر في تحايل كريه" (المرجع نفسه، ص 177، وفي أماكن متفرقّة).

15 ـ المرجع نفسه، ص 31.

16 ـ المرجع نفسه، ص 215.

17 ـ المرجع نفسه.

18 ـ المرجع نفسه، ص 30.

19 ـ مرجع مذكور سابقاً، ص 29 ـ 30.

20 ـ رسالة إلى إميل فلوس بتاريخ 1 مايو/ أيّار 1873. انظر:
Sigmund Freud، Lettres de jeunesse، Paris، Gallimard، 1969، p. 238.

21 ـ كتبت ماري موسكوفيتشي في تقديمها كتاب موسى الإنسان والدّين التّوحيدي: "ونحن لن ننسى في نهاية الأمر (موسى) فرويد الأوّل، أي (موسى مايكل أنجلو) (1914) الذي سبق أن رسم بصفة إجماليّة (منذ أوّل ظهوره بتوقيع فرويد) صورة مائعة لتلك الشّخصيّة التّوراتيّة، والذي يعزو إلى النحّات بصفة أساسيّة القيام بنزع القداسة عن الكتاب المقدّس، بله عن موسى نفسه. فقد استرجع فرويد موسى مايكل أنجلو "لحسابه ثلاث مرّات بين عامي 1934 و1938 سنوات كتابته لهذا النصّ الأرعن موسى الإنسان والدّين التّوحيديّ".
انظر تقديمها للكتاب في طبعة دار غاليمار، باريس، 1986، ص 17.

22 ـ رسالة إلى ن. ن بتاريخ 14 ديسمبر/ كانون الأوّل 1937. انظر:
22 ـ Correspondance، ibid.، p. 479.

23 ـ المرجع نفسه ، ص 44.

24 ـ نفسه.

25 ـ لا يجب أن ننسى أن فرويد نشر في الوقت نفسه تقريباً مقالاً حول البناء في التّحليل النفسي.

26 ـ رسالة إلى مارتا بتاريخ 3 أغسطس/ آب 1884، المرجع نفسه، ص 133.

27 ـ رسالة إلى مارتا بتاريخ 28 أبريل/ نيسان 1885، المرجع نفسه، ص 152.

28 ـ رسالة إلى مارتا بتاريخ 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 1885، المرجع نفسه، ص 214.

29 ـ رسالة إلى مارتا بتاريخ 2 فبراير/ شباط 1886، المرجع نفسه، ص 214.

30 ـ انظر المقابلة التي نشرت في مجلّة لو نوفيل أوبسرفاتور (Le Nouvel Observateur) بتاريخ 22 ـ 28 يوليو/ تمّوز 2004، ص 65. "إنّ أحد أندر المسارات العامّة للتطوّر التّاريخي الذي يبدو أنّه أمكنني تحديده، وأعني التخلّي عن الدّين، يبدو لي منتمياً تماماً إلى مدوّنة القيم. قد أكون كونتيّاً (نسبة إلى الفيلسوف الوضعي الفرنسي أوغست كونت Auguste Comte ـ م) بصفة لاواعية، ولكن يبدو لي أن مرحلة=

=انكماش الدّين لاتزال في أولى خطواتها. ولا تثير الاحترازات الجزئيّة التي تقدّم لنا تحت عنوان العودة الشّاملة إلى ظواهر الاعتقاد الدّيني أيّ إعجاب لديّ. هل يمكننا القول بأنّ عمليّة نزع القداسة في بعض المجتمعات المسلمة تبدو أقلّ عمقاً ممّا هي عليه في العالم المسيحيّ؟ ربّما كان الأمر كذلك، ولكنّ هذا الاختلاف لا يلغي الاتّجاه العامّ".

31. L'homme Moïse et la religion monothéiste، p. 82-83.

32. المرجع نفسه، ص 82.

33. المرجع نفسه، ص 212.

34. المرجع نفسه، ص 145.

35. المرجع نفسه، ص 177.

36. نفسه.

37. S. Freud، Pourquoi la guerre ? ، publié en 1933، dans Résultats، idées، problèmes، t. 2، Paris، PUF، 1985، p. 215.

38. نفسه.

39. L'homme Moïse et la religion monothéiste، op. cit.، p. 186.

سوداوية فان غوغ وسخرية دالي
الاضطرابات المزاجية والتلاعب بالمعايير

الدكتور محمد أحمد النابلسي
(عضو الجمعية العالمية لأمراضية التعبير)

ما بين سوداوية فان غوغ وتشاؤميته، وبين سخرية دالي وسوريالية، تبقى العلاقة بين الإبداع وبين اضطراب الفكر (الحكمة) علاقة جدلية مطروحة للنقاش على الصعيد السيكولوجي كما على صعيد محاولات توصيف الحالة الإبداعية. وهو التوصيف الذي اختصره فرويد بوصفه للحالة الإبداعية بالقول إنها لحظة ـ ومضة خاطفة يعود بعدها كل شيء إلى حاله، ولكن بصورة مختلفة.

دراسات أمراضية التفكير تؤكد معاناة فان غوغ من الاضطراب المزاجي. لكنها تؤكد في المقابل قدرة دالي على التلاعب بالمعايير لغاية الهزء منها. كما تؤكد ريادته لتيار معاداة الطب النفسي Antipsyschiatry، حيث تمثل لوحاته سخرية ناجزة من السائد والمألوف الذي ينطلق منه الطب النفسي للتفريق بين السواء وبين اضطراب الحكمة أو ضياعها. وتصل السخرية إلى أقصاها عندما نحاكم لوحات دالي وأفكارها وفق المعايير النفسية الأمراضية. فعندها سوف نتهمه بفقدان الحكمة. لدرجة اتهامه بالتفكك الفصامي. وهي تهمة قهقه لها دالي طويلاً، واستمطر تهم المرض النفسي، وكأنه يدعو السيكولوجيا للتحول إلى السوريالية.

أذكر أننا طرحنا موضوع نقص الدراسات العربية للإبداع على هامش أحد المؤتمرات العربية الجامعة. ومعه موضوع الغياب العربي من الجمعيات الدولية المتخصصة بالإبداع. ومنها

الجمعية العالمية لأمراضية التعبير SIPE. وكان ذلك بحضور شلة عجائز علماء النفس العرب وظرفائهم. فقال الأول:.. ولكن هل يوجد لدينا إبداع كي ندرسه. إننا ننقل كل شيء! وقال الثاني:.. إن الفقر لا يترك مكاناً للإبداع! أما الثالث فقال:.. إسمع يا إبني في منتصف الخمسينيات أعدَّ شاب عربي أطروحة ماجيستير حول الإبداع ونشرها. ومن حينه وهو يلعن.. أبو من يدرس الإبداع، ويتهمه بسرقة أفكار أطروحته. وهكذا لم يعد أحد يجرؤ على دراسة الإبداع!!.

لا أعلم ما إذا كان الزميل عبد الستار إبراهيم عارفاً بهذه القصة أم لا. لكنه في كل الأحوال أصدر كتاباً فائق الأهمية في المجال تحت عنوان (الحكمة الضائعة). والكتاب صادر عن سلسلة عالم المعرفة الكويتية. وكان من الطبيعي أن أبدأ مطالعتي للكتاب من زاوية قابليته لتلقي تهم محتكري دراسة الإبداع. فوجدت الكتاب يتطرق إلى جوانب لا علاقة لها بالمنطلقات التقليدية والتكرارية للدراسات السيكولوجية العربية للإبداع. فالكتاب يعرض المستجدات، ويناقش دراسات تتعلق بمعايشة الحالة الإبداعية، والضغوط الناجمة عنها والمصاحبة لها، وأحياناً المفضية إليها. لكنني اخترت التوقف عند الفصل الثاني عشر من الكتاب والمعنون بعنوان شديد الإيحاء هو (بروزاك أو أفلاطون).

إنسانية المبدع/ بروزاك أو أفلاطون

في هذا الفصل يؤكد المؤلف على إنسانية المبدع، وعلى توزيع ملكاته الفكرية بصورة غير متوازية، شأنه في ذلك شأن الناس جميعهم. حيث الظروف والتجارب الذاتية تدفع بالشخص لتنمية مهارة أو ملكة على حساب أخرى، وحيث يستحيل على الأفراد إقامة تنمية متوازية لملكاتهم، وللدلالة على ذلك يورد المؤلف حالة كاتبة شابة متعددة المواهب وناجحة، لكن كل ذلك لم يقها من مشاعر الاكتئاب، وصعوبة التكيف مع الجديد. وهنا يطرح السؤال حول دواء البروزاك (مضاد الاكتئاب) الكفيل مبدئياً بتخليص هذه المبدعة من شكاويها، فهل يعني تعاطيها للبروزاك أنها فاقدة للحكمة؟ وهل يمكن لهذا الدواء، أو لغيره، أن يؤثر، سلباً أو إيجاباً، في نوعية إبداعها؟

هذه الأسئلة تبدو للوهلة الأولى ممكنة التجاوز، بل هي ممكنة الإهمال لدرجة القول بأن عليها أن تجرب ما دامت تعاني، فإذا لم تكن راضية عن التجربة فلتتخلص من الدواء، خاصة وأنه غير مسبب للاعتياد. لكن هذا المنطق التبسيطي يتعارض وجدية دراسة الحالة الإبداعية. فالمحللون النفسيون مثلاً يرفضون تعاطي متعالجيهم للأدوية لكونها تخلق لديهم حالة وعي

مختلف، فهي تؤثر على نوعية نومهم وكميته، فتؤثر بالتالي على أحلامهم وحياتهم الحلمية، وهي أمور تعيق التحليل، وتخرج به عن مساره المرسوم، فما بالنا عندما يتعلق الأمر بشخص غير اعتيادي هو المبدع؟

عداك عن الجدال الدائر منذ سنوات حول إمكانية تشجيع البروزاك للميول الانتحارية. وأنا شخصياً أتجنبه في وصفاتي الطبية. فما بالنا لو عولجت هذه المبدعة بالبروزاك وانتحرت؟ فهل نرد عندها الانتحار إلى الدواء، أم إلى تكوينها الإبداعي؟ إنها أسئلة قد لا نجد أجوبتها قريباً. وهي تطرح ميادين جديدة للأبحاث في موضوع سيكولوجية الإبداع كما في مجال الأخطار الدوائية.

عودة إلى مجمل كتاب الدكتور عبد الستار إبراهيم وفصوله الموزعة على النحو الآتي:

- المقدمة.
- موقع بين تيارين من التفكير.
- أمثلة ونماذج من الاضطرابات في حياة العباقرة.
- مفهوم المرض النفسي والعقلي.
- الإبداع والاضطراب من منظور علم النفس الإبداعي.
- هدهد طه حسين.
- اضطراب نفسي أم أحداث حياة.
- ضغوط العمل الإبداعي والمشقات المادية.
- الصراعات الاجتماعية والمهنية.
- الإدمان والعزلة وأساليب التفاعل الاجتماعي.
- معالجة المشكلات البدنية والتعامل مع متطلبات العمل والمهنة.
- الضغوط الاجتماعية وزملاء المهنة.
- بروزاك أو أفلاطون.
- خاتمة وخلاصة.

الحالة الإبداعية

وفي الخاتمة يقرر المؤلف أن الموقف الفرويدي من الإبداع قد شجع اللبس بين الحالة الإبداعية وبين الاضطراب النفسي، وهو موقف لا نقر الزميل إبراهيم عليه، ذلك أن حديث فرويد عن التسامي Sublimation لا يعني بحال اعتبار سيرورة التماهي سيرورة مرضية، فالتحليل يعتبر هذه السيرورة من ضمن السيرورات الدفاعية المساعدة على استقرار الاقتصاد النفسي، والتوازن بالتالي.

ولا يفوت المؤلف التوقف في مفاصل عديدة عند دور المجتمع في العملية الإبداعية، وهو دور ثنائي الاتجاه في معظم الأحيان، فمعايير المجتمع وسننه، وأنماط العلاقات فيه تتحكم بالعملية الإبداعية وبسيرورتها، بل إنها تحتكر قيم الذوق العام، ومعها تذوق الجمهور للنتاج الإبداعي، مما يدخل المبدع في علاقة تجاذب ثنائية العاطفة، فهو يحتاج لاعتراف الجمهور، وبالتالي لسنن المجتمع وقواعده، كما يحتاج لحرية حميمة معزولة عن المجتمع تتيح له معايشة الحالة الإبداعية بالعفوية اللازمة. وهذا يذكرني بكتاب هيجل "النحت والرسم"، وفيه يرى أن المبدع يحتاج للتواطؤ مع القيم الاجتماعية السائدة كي ينال الاعتراف. وهو يعطي مايكل أنجلو مثالاً على ذلك، فيرى أن هذا المبدع لم يكن ليشتهر وينال الاعتراف لو لم يرسم أسقف الكنائس ويزينها حتى ينال رضى الكنيسة الحاكمة آنذاك. وبالمقارنة، فإن المبدع المعاصر يحتاج إلى استرضاء السلطة، أو الحزب، أو الجماعة، لينال عن طريقها الاعتراف، وليتم تبني إبداعه من خلالها. فإذا ما فشل المبدع في هذه السيرورة التواطؤية، فإنه يتحول إلى نوع من فان غوغ الذي عاش فقيراً جائعاً مريضاً لتباع لوحاته بعشرات ملايين الدولارات بعد موته.

مهما يكن فإن الكتاب هو إضافة بالغة القيمة إلى فرع الدراسات الإبداعية في المكتبة النفسية العربية، وربما كان هذا الفرع أفقر فروع هذه المكتبة. وتزداد أهمية الكتاب من خلال أسلوب الدكتور إبراهيم المألوف، الذي يجمع بين الرصانة العلمية، وتسهيل استيعاب القارئ للنصوص والأفكار، إضافة إلى الاطلاع على أحدث البحوث في المجال. وليس من قبيل المجاملة القول إن قارئ الكتاب يخرج من قراءته بفهم للمبادئ السيكولوجية، إضافة إلى المعلومات الخاصة بموضوع الإبداع في حد ذاته.

الندوات والمؤتمرات

المؤتمر السعودي الأول لاضطراب فرط النشاط مع نقص التركيز:
مقاربة شاملة

شعبة الصحة العقلية

بالتعاون مع

الشؤون الأكاديمية في الشؤون الصحية بالحرس الوطني

الرياض، السعودية 6 ـ 7 ديسمبر/ كانون الأول 2011

modayfero@ngha.med.sa

أسلمة وتوطين العلوم النفسية

الرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين

المؤتمر العالمي

الجامعة الإسلامية العالمية/ كوالا لامبور ـ ماليزيا

ماليزيا 14 ـ 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2011

iaompsy@yahoo.com

التميز في التربية والتعليم 2011: اسطنبول

تنظيم

(ICIE) المركز الدولي للإبداع في التعليم

اسطنبول- تركيا 6 ـ 9 يوليو/ تموز 2011

التكنولوجيا والتقنيات المعاصرة في العلوم التربوية والنفسية

المؤتمر العلمي السنوي السابع عشر لمركز الدراسات

التربوية والأبحاث النفسية

بغداد ـ العراق: 5 ـ 4 مايو/ أيار 2011

المؤتمر الدولي السادس المعني بقضايا الصحة في المجتمعات العربي

تنظيم

(المركز العربي للخدمات الاقتصادية والاجتماعية (أكسس مركز الأبحاث والصحة المجتمعية)

جامعة حلب، سوريا 1 ـ 7 مايو/ أيار 2011

المؤتمر الدولي السابع للطب النفسي

جدة، السعودية 27 ـ 29 أبريل/ نيسان 2011

"الخلافات في ممارسة الطب النفسي"

فندق إنتركونتيننتال، جدة، المملكة العربية السعودية

Psy1.jed@sghgroup.net
Moh.khaled.hamed@gmail.com

المؤتمر العلمي الثالث لعلم النفس

البحوث النفسية وتطبيقاتها العلمية

الكويت 26 ـ 28 أبريل/ نيسان 2011

المؤتمر السنوي التاسع للإرشاد العربي 2011

الشباب على مفترق الطرق

دعوة لتقديم مقترحات لأوراق المؤتمر

20 ـ 19 أبريل/ نيسان 2011

كليات التقنية العليا بالشارقة

fLkorchy@hct.ac.ae Margaret.wood@hct.ac.ae

ورشة عمل: مستشفى الطب النفسي الكويتي

مارس/ آذار 2011

ماجستير إرشاد نفسي وعلم نفس سريري

AUBMC/ الطب النفسي

بيا زينون
Pz05@aub.edu.lb

المؤتمر العلمي السنوي العاشر لمستشفى باقدو ومستشفى الدكتور عرفان

جدة 2 ـ 3 مارس/ آذار 2011

"الممارسة النفسية في الحقل الطبي تقابل وتكامل"

رئيس المؤتمر: الدكتور محمد السيد عرفان استشاري

الطب النفسي ومدير مستشفى باقدو ومستشفى

الدكتور عرفان العام

للإشتراك

قسم التعليم الطبي المستمر

د. صبا السباعي

رئيسة قسم التعليم الطبي المستمر ورئيسة قسم الجودة الطبية

Siba.abssi@erfanhospital.com

صالح طه

samehgsg@hotmail.com

المنسق العام

د.أحمد سعد علي: استشاري الطب النفسي

Ahmed.saad@erfanhospital.com

المؤتمر الإقليمي الثامن لعلم النفس بجامعة طنطا

علم النفس وقضايا البيئة

كلية الآداب، جامعة طنطا، قسم علم النفس

16 ـ 18 أكتوبر/ تشرين الأول 2011

دعوة للمشاركة

الزملاء والزميلات.. الإخوة والإخوات أعضاء هيئات التدريس في أقسام علم النفس والاجتماع والخدمة الاجتماعية، والهندسة، والطب، والزراعة، وفي مختلف الجامعات المصرية والعربية، الزملاء والزميلات من الباحثين والباحثات في مختلف مراكز البحوث في مصر، وفي مختلف أرجاء الوطن العربي المعنية بالسلوك الإنساني وعلاقته بالبيئة المحيطة بنا، سواء البيئة الطبيعية، أو الاجتماعية، الزملاء والزميلات من العاملين في مختلف المؤسسات التي تهتم بالبيئة الطبيعية، أو بالتنمية، أو بالتدخل بالتعديل السلوكي نحو البيئة.

تحية تقدير وإعزاز واحترام إليكم جميعاً

يتشرف قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة طنطا، أن يقدم إليكم الإعلان الأول عن عقد مؤتمره الإقليمي الثامن، بعنوان: علم النفس وقضايا البيئة، في الفترة من 16 إلى 18 أكتوبر 2011. وتسعى أسرة أعضاء هيئة التدريس بقسم علم النفس، من خلال موضوع المؤتمر، ومحاوره الفرعية، إلى التواصل مع مختلف الأساتذة، والخبراء والباحثين، في مختلف الجامعات المصرية والعربية، وفي مختلف الأقسام العلمية، ومراكز البحوث، التي تعنى بإبراز الأدوار المهمة للعلم بوجه عام والعلوم الإنسانية (علم الاجتماع، وعلم النفس) في فهم قضايا البيئة، وكذلك دور علم النفس الفاعل في تنميتها، والمحافظة عليها من خلال تنمية الوعي البيئي لدى الأفراد، وإرشادهم عن طريق عدد من البرامج التي تعينهم على تحمل المسؤولية تجاهها، وكذلك الكشف عن الإمكانات الإيجابية للإنسان العربي، بوصفه العامل الرئيسي في استحداث طرق جديدة لتنمية هذا الوعي، بوصفه المستهدف الأول بما سوف يعود عليه من نواح إيجابية في المجال الصحي والنفسي والاجتماعي، نتيجة للمحافظة على هذه البيئة، وتعديل سلوك التعامل معها.

وإذ تتطلع أسرة قسم علم النفس إلى تحقيق هذا التواصل العلمي الحضاري، يطيب لنا ويسعدنا حضوركم ومشاركتكم في فعاليات هذا الحدث.

الأستاذ الدكتور/ خالد إبراهيم الفخراني

رئيس مجلس قسم علم النفس

مقرر عام المؤتمر

مقدمة

تتعرض البيئة في أنحاء شتى من العالم لأخطار حقيقية. وترجع أسباب هذه الأزمة في الواقع إلى سوء أنماطنا السلوكية الراهنة. ويتضح من ذلك أن قضية تلوث البيئة هي قضية سلوكية في المقام الأول، ذلك لأن الإنسان يعتبر المصدر الأول للتلوث.

وتلويث البيئة هو نوع من السلوك كغيره من أنماط السلوك الأخرى له دوافعه ومشيراته، ومن ثم يمكن التحكم فيه والسيطرة عليه وتعديله.

ونتيجة لذلك فقد تزايدت في عصرنا الحاضر الدعوات من جانب المهتمين بالقضايا البيئية والمتخصصين في علم النفس إلى مزيد من البرامج الإرشادية والمناهج الدراسية والمشاركة المجتمعية بهدف تنمية تربية بيئية فعالة بين أفراد المجتمع، بحيث تؤدي في النهاية إلى سلوك إيجابي نحو البيئة. ومن هذا المنطلق كانت الدعوة لهذا المؤتمر.

موضوع المؤتمر: علم النفس وقضايا البيئة

رسالة المؤتمر

أن يكون المؤتمر الإقليمي الثامن لقسم علم النفس، بكلية الآداب، جامعة طنطا، ضمن سلسلة المؤتمرات العلمية التي تعنى بقضايا علم النفس وتطبيقاته في مصر والعالم العربي، وذلك من خلال الحرص على عقده في موعد دوري ثابت، وعن طريق تكوين نسق من معايير التقييم الموضوعية، تظل حاكمة لما يقدم في جلساته، وما ينشر في مجلد بحوثه ودراساته. وإبراز الدور المحوري والجوهري لعلم النفس، كعلم اجتماعي، في تنمية وتحديث المجتمعات العربية، بوجه عام، والمجتمع المصري بوجه خاص، من خلال مداومة تدارس قضايا الإنسان العربي النفسية وما يتعلق بها من مشكلات بيئية، أو اجتماعية، أو اقتصادية.

أهداف المؤتمر:

1. توجيه وعي الباحثين، في مصر والعالم العربي، نحو الاهتمام بالإمكانات النفسية الإيجابية للإنسان العربي، وسبر غورها، على المستويين النظري والتطبيقي، وبيان محدداتها، وكيفية تنميتها وتوظيفها كجزء أساسي للمحافظة على بيئته الطبيعية والاجتماعية.
2. الكشف عن أساليب قياس الإمكانات النفسية الإيجابية لدى الإنسان العربي في مختلف مراحل الحياة، وعبر مختلف السياقات البيئية.
3. استكشاف الآليات الذاتية الإبداعية المرتبطة بارتفاع مستوى الدافعية نحو تغيير

السلوكيات الخاطئة تجاه البيئة.

4 ـ دراسة المفاهيم النفسية المرتبطة بارتفاع مستوى الدافعية نحو تغيير السلوكيات الخاطئة تجاه البيئة.

5 ـ بيان أهمية منظومة القيم الدينية والأخلاقية في المحافظة على البيئة.

6 ـ الكشف عن دور التنظيم والضبط الذاتي في الصحة النفسية للأفراد.

7 ـ إبراز دور الإمكانات الإيجابية في الوقاية من الأمراض النفسية من خلال المحافظة على التوازن البيئي الطبيعي والاجتماعي.

8 ـ بيان أهمية علم النفس الإيجابي وأثره في المحافظة على البيئة.

9 ـ التأكيد على أهمية الدور الذي تلعبه المؤسسات التربوية والتعليمية، وما تحتويه المناهج التربوية في جميع المراحل التعليمية في نشر الوعي البيئي.

محاور المؤتمر:

المحور الأول: قضايا تعريف الوعي

ـ منحى تشكيل السلوك الإيجابي نحو البيئة.

ـ القياس المستند إلى مواطن القوة، في مقابل، القياس المستند إلى كشف العيوب للسلوك الموجه نحو البيئة.

ـ مقاييس تقييم القوى السلوكية والوجدانية لدى الأطفال والشباب وكبار السن نحو البيئة.

ـ مقاييس قوة الأداء الاجتماعي والوجداني للتنمية والمحافظة على البيئة.

ـ قياس عوامل الحماية والوقاية من خطر التعرض للاضطرابات النفسية والمشكلات السلوكية الناجمة عن التغيرات البيئية المحتملة.

ـ تكوين القيم والاتجاهات والسلوكيات الإيجابية نحو البيئة.

المحور الثاني: التركيز على التربية البيئية ووسائل الإرشاد باعتبارهما من وسائل تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة.

مساندة أفراد المجتمع على فهم البيئة ووعيهم بأهمية حمايتها.

ـ تقديم الخدمات الإرشادية التي تسهم في تغيير اتجاهات الأفراد نحو البيئة.

ـ تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة، وتغيير الاتجاهات السالبة نحوها.

ـ دور التفاعل الاجتماعي في زيادة فاعلية العلمية التعليمية في السياق المدرسي والجامعي.

المحور الثالث: آليات تعديل اتجاهات الأفراد نحو البيئة.

ـ الإنسان والبيئة من منظور سيكولوجي.

- التربية البيئية بين تحديات الواقع ومناهج التعليم.
- الانتماء وعلاقته باتجاهات الأفراد نحو البيئة.
- سيكولوجية الرسالة الإعلامية التي تستهدف المحافظة على البيئة.

المحور الرابع: الفروق بين الجنسين في استراتيجيات التكيف الإيجابي للضغوط الناجمة عن التلوث البيئي

- الفروق الفردية بين الذكور والإناث في الاتجاهات نحو البيئة.
- تأثير الثقافة المجتمعية في تشكيل استجابات الأفراد من الجنسين نحو الضغوط الناجمة عن التلوث البيئي.
- الفروق النوعية لمستوى الضغوط الناجمة عن تلوث البيئة لدى الجنسين.
- الفروق في أساليب تعديل السلوك البيئي لدى الجنسين.

شروط المشاركة في المؤتمر

1 - أن تكون البحوث المقدمة للمؤتمر أصلية، وتدخل ضمن محاوره الأساسية المعلن عنها، وألا يكون قد سبق نشرها أو إلقائها في مؤتمرات سابقة.

2 - يراعى في البحث أصول الكتابة العلمية، وكل صفحة زائدة تحسب بعشرة دولارات أميركية للباحثين من خارج الجمهورية.

3 - يكتب البحث على الحاسب الآلي بنظام (IBM) ونوع الخط Simplified Arabic، بحجم 14 للمتن، و16 للعناوين، و12 للهوامش، على أن يكون مقاس الصفحة 17.5◆25 سم، مع ترك الهوامش الافتراضية.

4 - يرسل ملخص البحث إلكترونياً في موعد غايته منتصف شهر يوليو/ تموز 2011 (2011/7/15)، في صفحة واحدة، ولا يزيد الملخص عن 150 كلمة.

5 - يرسل البحث كاملاً في صورته النهائية (إلكترونياً). في موعد غايته منتصف شهر أغسطس/ آب 2011 (2011/8/15).

6 - رسوم الاشتراك لحضور المؤتمر للباحثين من خارج جمهورية مصر العربية 250 دولاراً أميركياً (مئتان وخمسون دولاراً أميركياً لا غير). ورسوم حضور المؤتمر للباحثين من داخل جمهورية مصر العربية 250 جنيهاً مصرياً (مئتان وخمسون جنيهاً لا غير). وتشمل رسوم الاشتراك: استلام المشارك حقيبة المؤتمر، وثلاث استراحات غذاء، وثلاث استراحات شاي، خلال أيام المؤتمر الثلاثة.

7 - رسوم الحضور والمشاركة ببحث (لا يتجاوز 20 صفحة) للباحثين من خارج جمهورية

مصر العربية 450 دولاراً أميركياً (أربعمئة وخمسون دولاراً أميركياً لا غير)، ومن داخل جمهورية مصر العربية 450 جنيهاً مصرياً (أربعمئة وخمسون جنيهاً مصرياً لا غير).

8 ـ أن يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي تطلب منه قبل نشر البحث بمجلد المؤتمر.

9 ـ ترسل البحوث باسم الأستاذ الدكتور خالد إبراهيم الفخراني، رئيس مجلس قسم علم النفس بكلية الآداب جامعة طنطاً، ومقرر عام المؤتمر، على العنوان التالي: قسم علم النفس ـ كلية الآداب جامعة طنطا ـ محافظة الغربية ـ جمهورية مصر العربية. أو ترسل على البريد الإلكتروني:

khalid.fakhrani@gmail.com
fakhrany61@hotmail.com

المؤتمر الإقليمي الثاني لقسم علم النفس بجامعة القاهرة

علم النفس والإمكانات لدى الإنسان العربي

دعوة للمشاركة

جامعة القاهرة ـ كلية الآداب، قسم علم النفس

28 ـ 30 نوفمبر / تشرين الثاني 2011

الزملاء والزميلات.. الإخوة والأخوات أعضاء هيئات التدريس في أقسام علم النفس والاجتماع والخدمة الاجتماعية في مختلف الجامعات المصرية والعربية، الزملاء والزميلات من الباحثين والباحثات في مختلف مراكز البحوث المعنية بالسلوك الإنساني في مصر، وفي مختلف أرجاء الوطن العربي، الزملاء والزميلات من العاملين في مختلف المؤسسات التي تقدم خدمات نفسية، بالإرشاد، أو بالتنمية، أو بالتدخل العلاجي. تحية تقدير وإعزاز واحترام إليكم جميعاً.

يتشرف قسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة أن يقدم إليكم الإعلان الثاني عن عقده مؤتمره الإقليمي الثاني، بعنوان: علم النفس والإمكانات الإيجابية لدى الإنسان العربي، في الفترة من 28 ـ 30 نوفمبر سنة 2011. وتسعى أسرة أعضاء هيئة التدريس بقسم علم النفس، من خلال موضوع المؤتمر، ومحاوره الفرعية، إلى التواصل مع مختلف الأساتذة، والخبراء، والباحثين، في مختلف الجامعات المصرية والعربية، وفي مختلف الأقسام العلمية، ومراكز البحوث، التي تعنى بإبراز الأدوار المهمة للعلوم الاجتماعية بوجه عام، وعلم النفس بوجه خاص، في فهم واقع الإنسان العربي ومستقبله، وكذلك دور علم النفس الفاعل في التنمية الشاملة للمجتمعات العربية، وتحديثها، من خلال الكشف عن الإمكانات الإيجابية

للإنسان العربي، بوصفه العامل الرئيسي في استحداث التنمية والتحديث، وبوصفه المستهدف الأول بهذه التنمية وهذا التحديث.

وإذ تتطلع أسرة قسم علم النفس إلى تحقيق هذا التواصل العلمي الحضاري، يطيب لنا ويسعدنا حضوركم ومشاركتكم في فعاليات هذا الحدث.

الأستاذ الدكتور/ معتز سيد عبد الله

رئيس مجلس قسم علم النفس

مقرر عام المؤتمر

موضوع المؤتمر

علم النفس والإمكانات الإيجابية لدى الإنسان العربي

رسالة المؤتمر

أن يكون المؤتمر الإقليمي لقسم علم النفس، بكلية الآداب جامعة القاهرة، من بين المؤتمرات العلمية التي تعنى بقضايا علم النفس وتطبيقاته في مصر والعالم العربي، وذلك من خلال الحرص على عقده في موعد دوري ثابت، وعن طريق تكوين نسق من معايير التقييم الموضوعية، تظل حاكمة لما يقدم في جلساته، وما ينشر في مجلد بحوثه ودراساته. وإبراز الدور المحوري والجوهري لعلم النفس، كعلم اجتماعي، في تنمية وتحديث المجتمعات العربية، بوجه عام، والمجتمع المصري بوجه خاص، من خلال مداومة تدارس واقع الإنسان العربي ومستقبله.

أهداف المؤتمر

1 - توجيه وعي الباحثين، في مصر والعالم العربي، نحو الاهتمام بالإمكانات النفسية الإيجابية للإنسان العربي، وسبر غورها، على المستويين النظري والتطبيقي، وبيان محدداتها، وكيفية تنميتها وتوظيفها كجزء أساسي من عمليات التنمية الشاملة في المجتمعات العربية وتحديثها.

2 - الكشف عن أساليب قياس الإمكانات النفسية الإيجابية لدى الإنسان العربي في مختلف مراحل الحياة، وعبر مختلف السياقات الإيكولوجية.

3 - استكشاف الآليات الذاتية المرتبطة بارتفاع مستوى الدافعية للتعلم، ومستوى التحصيل الدراسي في مختلف المراحل التعليمية.

4 - دراسة المفاهيم النفسية المرتبطة بالعلاقات الشخصية والاجتماعية الإيجابية.

5 - بيان أهمية منظومة القيم الدينية والأخلاقية في تحقيق مستوى أفضل من التكيف لدى

الإنسان العربي.

6 ـ الكشف عن دور التنظيم والضبط الذاتي في الصحة النفسية للأفراد.

7 ـ إبراز دور الإمكانات الإيجابية في الوقاية من الأمراض النفسية.

8 ـ بيان أهمية العلاج النفسي الإيجابي.

9 ـ التعرف على أساليب واستراتيجيات مواجهة ومعايشة الشدائد والمحن لدى الإنسان العربي في مختلف مراحل الحياة.

محاور المؤتمر

المحور الأول: قضايا تصنيف الإمكانات الإيجابية وقياسها لدى الإنسان العربي

ـ منحى القياس النفسي الإيجابي.

ـ القياس المستند إلى مواطن القوة، في مقابل، القياس المستند إلى كشف العيوب.

ـ القياس المستند إلى مواطن القوة (الثبات ـ الصدق التنبؤي ـ صدق التكوين).

ـ مقاييس تقييم القوى السلوكية والوجدانية لدى الأطفال والشباب وكبار السن.

ـ مقاييس قوة الأداء الاجتماعي والوجداني.

ـ قياس عوامل الحماية والوقاية من خطر التعرض للإضطرابات النفسية والمشكلات السلوكية.

ـ قياس السمات الشخصية الإيجابية لدى الأطفال والمراهقين والراشدين.

المحور الثاني: الإمكانات الإيجابية للإنسان العربي في سياق التعلم والتعليم

ـ مواطن القوة الانفعالية لدى الأطفال والشباب ودورها في زيادة فعالية الأداء الدراسي.

ـ مواطن القوة الدافعية لدى تلاميذ المدارس وطلاب الجامعة في الثقافة العربية.

ـ دور مناهج التعليم ما قبل الجامعي والجامعي في زيادة فعالية مواطن القوة الذهنية لدى الإنسان العربي.

ـ دور التفاعل الاجتماعي في زيادة فاعلية العملية التعليمية في السياق المدرسي والجامعي.

ـ تعليم التفكير(التفكير الناقد ، والتفكير الإبداعي، والتفكير العلمي، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات).

المحور الثالث: الإمكانات الإيجابية للإنسان العربي في المجال الصناعي والتنظيمي

ـ أساليب القيادة ودورها في زيادة الرضا عن العمل وسعادة العاملين.

ـ الحلول الإبداعية للمشكلات والقدرة على اتخاذ القرار في مواقع العمل بالمجتمعات العربية.

ـ التدين وقيم العمل لدى الإنسان العربي.

- العدالة والعمل الجماعي.
- القيادة التحويلية ودورها في زيادة الإنتاج والإنتاجية.
- اتجاهات العاملين نحو التكنولوجيا وثورة المعلومات والعولمة في العالم العربي.
- العوامل المؤثرة في دافعية العمل والأداء الأقصى والابتكار والتجديد.
- المشاركة السياسية للمرأة العربية.

المحور الرابع: الأسرة العربية ومواطن القوة النفسية في الأبناء

- دور القيم الدينية والإخلاقية للأسرة العربية في تطوير الذات لدى الأبناء والحفاظ عليها.
- التعلق الوجداني الآمن بالآباء ودوره في تقوية مؤشرات الإنتماء للوطن لدى الأبناء.
- أساليب التنشئة الوالدية في الأسرة العربية وعلاقتها بكل من الإيثار وسلوك المساعدة والذكاء الوجداني لدى الأبناء.
- التدين وعلاقته بالسعادة الزوجية، والرضا عن الحياة في الأسرة العربية.
- الحب والتعاطف داخل الأسرة العربية ودوره في حماية الأبناء من المخاطر الاجتماعية والاقتصادية.
- دور الأسرة العربية كسياق لغرس ثقافة التسامح، وتحويل المحنة إلى منحة.

المحور الخامس: الفروق بين الجنسين في استراتيجيات التكيف الإيجابي

- الفروق بين الجنسين في استراتيجيات وأساليب مواجهة ومعايشة الشدائد والمحن عبر دورة الحياة.
- الفروق بين الجنسين في مهارات الإدارة الذاتية في مرحلتي المراهقة والرشد.
- الفروق بين الجنسين في أساليب التحكم في الانتباه وأساليب تأجيل الاستجابة.
- الفروق بين الجنسين في اتباع الإستراتيجيات الدينية والروحية في مواجهة ضغوط الحياة وأحداثها.

المحور السادس: الإمكانات الإيجابية ودورها في الوقاية والعلاج من المرض النفسي

- الأمل والتفاؤل وتقدير الذات والحياة النفسية لدى المرضى والأسوياء.
- تنمية الإمكانات الإيجابية كفعل وقائي من الإصابة بالاضطرابات النفسية.
- حرية التعبير ومواجهة الضغوط النفسية.
- التعديل المعرفي الإيجابي لكل من انحرافات التفكير والانحرافات السلوكية.
- العلاج النفسي الإيجابي والاضطرابات النفسية.
- التدين والصحة النفسية.
- السعادة في علاقتها بالصحة والمرض.

شروط المشاركة في المؤتمر

1. أن تكون البحوث المقدمة للمؤتمر أصيلة، وتدخل ضمن محاوره الأساسية المعلن عنها، وألا يكون قد سبق نشرها أو إلقائها في مؤتمرات سابقة.
2. يراعى في البحث أصول الكتابة العلمية، وكل صفحة زائدة تحسب بعشرة دولارات أميركية للباحثين من خارج الجمهورية، وتحسب بخمسة عشر جنيهاً للباحثين من داخل الجمهورية.
3. يكتب البحث على الحاسب الآلي بنظام (IBM) ونوع الخط Simplified Arabic، بحجم 14 للمتن، و16 للعناوين و12 للهوامش، على أن يكون مقاس الصفحة 17.5◆25 سم، مع ترك الهوامش الافتراضية.
4. يرسل ملخص البحث إلكترونياً في موعد غايته منتصف شهر مارس 2011 (2011/3/15)، في صفحة واحدة، ولا يزيد الملخص عن 150 كلمة.
5. يرسل البحث كاملاً في صورته النهائية (إلكترونياً). في موعد غايته منتصف شهر يونيو 2011 (15 .6 .2011).
6. رسوم الاشتراك لحضور المؤتمر للباحثين من خارج جمهورية مصر العربية 250 دولاراً أميركياً (مئتان وخمسون دولاراً أميركياً لا غير). ورسوم حضور المؤتمر للباحثين من داخل جمهورية مصر العربية 250 جنيهاً مصرياً (مئتان وخمسون جنيهاً لا غير). وتشمل رسوم الاشتراك: استلام المشاركة حقيبة أعمال المؤتمر، وثلاث استراحات غذاء، وثلاث استراحات شاي، خلال أيام المؤتمر الثلاثة.
7. رسوم الحضور والمشاركة ببحث (لا يتجاوز 20 صفحة) للباحثين من خارج جمهورية مصر العربية 450 دولاراً أميركياً (أربعمئة وخمسون دولاراً أميركياً لا غير)، ومن داخل جمهورية مصر العربية 450 جنيهاً مصرياً (أربعمئة وخمسون جنيهاً مصرياً لا غير).
8. أن يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي تطلب منه قبل نشر البحث بمجلد المؤتمر.
9. ترسل البحوث باسم الأستاذ الدكتور معتز سيد عبد الله رئيس مجلس قسم علم النفس بكلية الآداب جامعة القاهرة، ومقرر عام المؤتمر. على العنوان التالي: قسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة القاهرة - الجيزة - جمهورية مصر العربية . أو ترسل على البريد الإلكتروني: Psychology_conference2011@hotmail.com

شخصية العدد

الدكتور قدري محمود حفني

(سيرة ذاتية) Curriculum Vitae

Personal Curriculum / Curriculum Personnel/ بيانات شخصية

تاريخ الولادة: 13 اغسطس 1938

البلد / المدينة: القاهرة

Scientific Curriculum / Curriculum Scientifique/ سيرة علمية

Speciality / Spécialité الاختصاص/

* علم النفس /Psychology / Psychologie.

Professional activity / Activité professionnelle الممارسة المهنية/

* خبير استشاري في مجال التدريب 1958.

* معالج نفسي 1987.

* عضو مجلس بحوث العلوم الاجتماعية والسكان، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا 1993.

* عضو مجلس إدارة مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، 1997.

* أستاذ علم النفس المتفرغ بمعهد الدراسات العليا للطفولة – جامعة عين شمس 1998.

* نائب رئيس تحرير مجلة الطفولة والتنمية التي يصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية 2001.

* مستشار المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط 2001.

* عضو اللجنة الاستشارية العلمية لصندوق مكافحة وعلاج إدمان وتعاطي المخدرات، 2001.

* رئيس شعبة التنمية الاجتماعية، مجلس بحوث العلوم الاجتماعية والسكان، 2002.

* أستاذ علم النفس السياسي بمعهد الدراسات والبحوث العربية ـ جامعة الدول العربية ـ القاهرة 2002.

- التدرج الوظيفي

* اختصاصي نفسي للاختيار والتدريب، مصلحة الكفاية الإنتاجية والتدريب المهني، وزارة الصناعة (1958 - 1972).
* مدرس مساعد علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس (1972 - 1974).
* مدرس علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس (1974 - 1979).
* أستاذ مساعد علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس (1979 - 1984).
* أستاذ علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس (1984 - 1986).
* عميد معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس (1986 - 1992).
* رئيس قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بمعهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس (1986 - 1998).

- خبرات مهنية وعلمية متنوعة

* أسس وتولى رئاسة وحدة الدراسات الإسرائيلية بمركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس (1974 - 1977).
* أسس وتولى رئاسة وحدة البحوث النفسية بالمجلس الأعلى للسكان وتنظيم الأسرة (1972 - 1977).
* عمل مستشاراً لمنظمة اليونسيف بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة بدولة البحرين (1977 - 1979).
* شارك في إدارة بحث "رؤى الصراع"، الذي أجرته جامعة نيويورك (1981 - 1982).
* مشرف على قسم الإنسانيات بمعهد بحوث ودراسات البيئة، جامعة عين شمس (1992 - 1998).
* عمل مستشاراً لمنظمة اليونيسيف بالقاهرة، مشروع التربية من أجل السلام (1993 - 1994)
* مصر والمملكة العربية السعودية.
* أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه متخصصة في مجالات الاستشارات والتدريب.

- مجالات الخبرة في التدريب

* تقدير الاحتياجات التدريبية.
* تحليل العمل.

* تصميم الاختبارات والمقابلات النفسية.
* تخطيط وإعداد ومتابعة البحوث النفسية.
* تخطيط وإعداد ومتابعة برامج الاختيار المهني.
* تقديم الاستشارات المهنية وتصميم وتنفيذ برامج التدريب وخاصة في مجالات التفاوض والقيادة والاتصال ومشكلات العمل وإدارة الأزمات.

- ومن أهم المؤسسات وبيوت الخبرة العربية والعالمية التي استعانت بتلك الخبرات:

* الخبراء العرب في الهندسة والإدارة، القاهرة - بيروت - بغداد - أثينا - الجزائر.
* الخطوط الجوية العربية السعودية، جدة.
* الشركة السعودية لتنمية المهارات الإدارية (مهارات)، جدة.
* المؤسسة الثقافية العمالية، الجامعة العمالية، القاهرة.
* المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
* المجلس الأعلى للشباب والرياضة، مركز إعداد قادة الشباب، القاهرة.
* المجلس الأعلى للصحافة، القاهرة.
* المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة.
* المجلس القومي للأمومة والطفولة، القاهرة.
* المجلس القومي للسكان، القاهرة.
* المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل، القاهرة.
* المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة.
* المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة.
* المنظمة العربية للثقافة، جامعة الدول العربية، تونس.
* المركز العربي للتنمية الصناعية، جامعة الدول العربية، الرياض.
* مؤسسة تليسيني إنترناشيونال، القاهرة.
* مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون، الرياض، المنامة، دبي.
* مركز أكسفورد للاستشارات والتدريب الإداري، القاهرة.
* مركز القرار للاستشارات، القاهرة.
* مركز التخطيط، منظمة التحرير الوطني الفلسطينية، بيروت.
* منظمة الصحة العالمية (WHO)، سويسرا - القاهرة.
* منظمة الأمم المتحدة للأطفال (UNICEF) في البحرين، والكويت، ومصر، والإمارات.

* وزارة الإعلام، اتحاد الإذاعة والتليفزيون، لجنة تنمية الكوادر الإعلامية، القاهرة.
* وزارة الإعلام، اتحاد الإذاعة والتليفزيون، لجنة برامج الأمومة والطفولة، القاهرة.
* وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة.
* وزارة الإعلام، مركز الإعلام والتعليم والاتصال، القاهرة.
* وزارة الإعلام، معهد التدريب الإذاعي والتليفزيوني، القاهرة.
* وزارة التربية والتعليم، إدارة رياض الأطفال، دولة الإمارات العربية المتحدة.
* وزارة الثقافة، المركز القومي لثقافة الطفل، القاهرة.
* وزارة الثقافة، صندوق التنمية الثقافية، القاهرة.
* وزارة الثقافة، مركز إعداد القادة الثقافيين، القاهرة.
* وزارة الداخلية، أكاديمية الشرطة، مركز البحوث.
* وزارة الدفاع، أكاديمية ناصر العلوم العسكرية، كلية الدفاع الوطني، القاهرة.
* وزارة الصناعة، مصلحة الكفاية الإنتاجية والتدريب المهني، القاهرة.
* وزارة الصناعة، معهد تدريب المدربين، القاهرة.

- الخبرة الأكاديمية في مجال التدريس الجامعي

* 1974 - 1985، كلية الآداب - جامعة عين شمس.
* أسس علم النفس - القياس النفسي - علم نفس الطفل - تاريخ علم النفس - نظريات علم النفس - المشكلات النفسية الاجتماعية - مناهج البحث - علم النفس الاجتماعي - الأمراض النفسية والاجتماعية - علم النفس الصناعي.
* 1974 - 1975، 2002 معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية.
* فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي، علم النفس السياسي.
* 1979 - 1984، كلية الطب - جامعة الأزهر.

- مناهج البحث

* 1979 - 1984، كلية الآداب - جامعة المنيا (مناهج البحث - نظريات علم النفس).
* 1980 - 1992، كلية البنات - جامعة عين شمس (نظريات الشخصية - نظريات علم النفس).
* 1984 - 1985، كلية الهندسة - جامعة عين شمس (مناهج البحث).
* 1984 - 1985، كلية الآداب - جامعة المنوفية (نظريات الشخصية).
* 1985 - 1986، كلية الآداب - جامعة صنعاء - اليمن (علم النفس الاجتماعي - نظريات

الشخصية).

* 1985 ـ 1986 ، كلية التربية ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض (طرائق البحث ـ الشخصية والثقافة ـ الدوافع).
* 1986، معهد الدراسات العليا للطفولة (القياس النفسي ـ المشكلات النفسية للأطفال ـ مناهج البحث).
* 1988 ـ 1999، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية (علم النفس الصناعي).
* 1992 ـ 1993، كلية الطب ـ جامعة القاهرة (مناهج البحث).
* 1996 ـ 1998، كلية الإعلام ـ جامعة 6 أكتوبر (علم النفس الإعلامي).
* 2002، معهد البحوث والدراسات العربية ـ جامعة الدول العربية (علم النفس السياسي).

الشهادات العلمية/ Scientific titles / Titres scientifiques

* درجة الليسانس الممتازة في علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1958.
* الماجستير في علم النفس بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع والتبادل، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1971.
* الدكتوراه في علم النفس بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالطبع والتبادل، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1974.
* الأوسمة والنياشين، ومظاهر التقدير الأخرى.
* جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية 2000.
* جائزة الدولة التشجيعية في علم النفس 1972.
* وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى1973.
* قامت جامعة عين شمس بإصدار أطروحتي الماجستير والدكتوراه ضمن مطبوعات الجامعة التي يجرى تبادلها بين الجامعات:

دراسة تجريبية لأثر الجمود الإدراكي، والجمود الحركي على التعرض للإصابات في الصناعة، رسالة ماجستير، منشورات جامعة عين شمس 1974.

دراسة في الشخصية الإسرائيلية: الأشكنازيم، رسالة دكتوراه، منشورات مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس 1975.

* أصدر المركز القومي لثقافة الطفل كتيباً تكريماً له بعنوان د. قدري حفني.. ضيفاً على الطفولة، ديسمبر 1992.

الانتماء إلى الجمعيات النفسية/ Membership of societies / Membre des Associations

ـ عضوية الوفود الرسمية

* ممثل مصر في لجنة إعداد وتخطيط البحوث الاجتماعية ـ منظمة الصحة العالمية ـ جنيف 1983.

* عضو وفد مصر إلى مفاوضات السلام في الشرق الأوسط 1991.

* ممثل مصر في الملتقى الأوروبي العربي، طليطلة – إسبانيا، أكتوبر 1994.

ـ عضوية الجمعيات والمنظمات الأهلية

* عضو الجمعية المصرية للدراسات النفسية.

* عضو رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية.

* عضو مجلس إدارة اللجنة العربية لملاحقة مجرمي الحرب.

ـ عضوية اللجان

* عضو لجنة علم النفس والتربية، المجلس الأعلى للثقافة والفنون1981.

* عضو شعبة التنمية الاجتماعية، مجلس بحوث العلوم الاجتماعية والسكان 1990.

* عضو لجنة أولويات التعليم والصحة والتنمية الاجتماعية، المجلس الأعلى للجامعات 1992.

* عضو لجنة ثقافة الطفل، المجلس الأعلى للثقافة والفنون1993.

* عضو لجنة برامج الأمومة والطفولة، مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون 1994.

* عضو شعبة التربية وعلم النفس، مجلس بحوث العلوم الاجتماعية والسكان، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا 1993 ـ 1999.

* عضو لجنة تدريب الكوادر الإعلامية، مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون (1990 ـ 1995).

* عضو اللجنة الدائمة لترقية أساتذة علم النفس والفلسفة، المجلس الأعلى للجامعات (1995 ـ 1999).

* مقرر اللجنة الدائمة لترقية أساتذة علم النفس، المجلس الأعلى للجامعات (1999 ـ 2001).

الأبحاث النفسية Psy Researches (Keywords and summary) / Recherches Psy

ـ أهم الرسائل الجامعية التي تم إنجازها

يبلغ مجمل الرسائل التي تم إنجازها عبر مسيرته العلمية ما يزيد عن 125 رسالة علمية بين الماجستير والدكتوراه.

وقد تعددت التخصصات الأكاديمية التي تنتمي إليها تلك الرسائل لتشمل إلى جانب علم النفس ـ وهو التخصص الرئيسي ـ الإعلام، والطب النفسي، وطب الأطفال، والهندسة المعمارية،

حيث يكون التخصص النفسي مطلوباً كتخصص فرعي.

ولقد تعددت كذلك المؤسسات الأكاديمية التي منحت تلك الدرجات العلمية لتشمل إلى جانب كليات الآداب، والبنات، ومعهد الدراسات العليا للطفولة، ومعهد الدراسات والبحوث البيئية بجامعة عين شمس، كلية الإعلام بجامعة القاهرة، وكلية الآداب بجامعة المنيا، وكليتي الطب والبنات بجامعة الأزهر.

ويتمثل الجوهر البشري للمدرسة العلمية التي تشكلت عبر السنوات، ومن خلال تلك الرسائل في كوكبة من الخبراء المتخصصين الذين بلغ بعضهم درجة الأستاذية، والذين يعملون في مختلف المؤسسات، ومراكز البحوث الأكاديمية في مصر والعالم العربي، ومنهم، وفقاً للترتيب الأبجدي للأسماء، ومع حفظ الألقاب:

* أحمد مصطفى العتيق، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس.
* أسماء غريب، كلية البنات، جامعة عين شمس.
* اعتماد خلف، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
* العارف بالله الغندور، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
* إلهامي عبد العزيز محجوب، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
* آمال حسن هلال، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
* بركات حمزة، كلية الآداب، جامعة المنيا.
* حسن عبد الفتاح الفنجري، كلية التربية بالوادي الجديد، جامعة أسيوط.
* حسني الجبالي، كلية التربية النوعية بالدقي.
* خالد أحمد عبد الجواد، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة الزقازيق.
* راجية قنديل، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.
* زينب محمد زين العايش، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
* سامية سامي عزيز جيد، معهد الدراسات العليا للطفولة.
* سلوى حسني العامري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
* سلوى محمد عبد الباقي، كلية التربية، جامعة حلوان.
* سليم الشايب، كلية التربية، جامعة القناة.
* سميحة نصر عبد الغني، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
* سمير عبد الفتاح، كلية الآداب، جامعة المنيا.
* سمير قوته، مركز غزة للصحة النفسية، غزة.
* سيد بهنسي حسن، كلية التربية النوعية بالعباسية.

* طريف شوقي، كلية الآداب، جامعة المنيا.
* عادل كمال خضر، كلية الآداب، جامعة الزقازيق.
* عادل محمد محمد المدني، كلية الطب، جامعة الأزهر.
* عبد المنعم شحاتة محمود، كلية الآداب، جامعة المنيا.
* عزة عبد الغني حجازي، كلية البنات، جامعة عين شمس.
* عفاف عبد العليم يوسف القاضي، كلية الآداب، جامعة المنوفية.
* علي عادل الشكعة، جامعة النجاح، نابلس.
* عيسى عبد الله عيسى جابر، كلية المعلمين، الكويت.
* غادة فرج حافظ الدري، معهد الدراسات العليا للطفولة.
* فؤاد كامل، كلية الطب، جامعة الأزهر.
* فؤاد محمد علي هدية، معهد الدراسات العليا للطفولة.
* فاتن عبد الرحمن محمد، معهد الدراسات العليا للطفولة.
* فتحي محمد الشرقاوي، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
* كمال البنا، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة القاهرة، فرع الفيوم.
* مايسة نصر فريد السيد عربيي، معهد الدراسات العليا للطفولة.
* مجدي حسن محمود، كلية التربية، جامعة القاهرة، فرع الفيوم.
* مجدي كرم الدين على ضيف، معهد الدراسات العليا للطفولة.
* محسن العرقان، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
* محمد أحمد محمد شلبي، كلية الآداب، جامعة المنيا.
* محمد محمد سيد خليل، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
* محمد سفيان أبو نجيلة، الجامعة الإسلامية، غزة.
* محمود غلاب، كلية رياض الأطفال بالدقي.
* نجمة الخرافي، كلية الآداب، جامعة الكويت.
* هالة الجرواني، كلية رياض الأطفال بالإسكندرية.

ولعله من الأفضل عرض الرسائل المنجزة مصنفة حسب مجالاتها، وذلك على الوجه التالي:

أولاً: رسائل تناولت أبعاداً مختلفة من الصراع العربي الإسرائيلي.

* علي عادل الشكعة، دراسة في الشخصية الفلسطينية: دوافع واتجاهات بعض العينات الفلسطينية نحو الهجرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1978.

* سلوى حسنى العامري، تصورات بعض المثقفين المصريين لخصائص بعض الجماعات القومية واتجاهاتهم نحو هذه الجماعات، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1983.
* سمير رمضان قوته، إجهاد التحضر والتوتر النفسي عند اللاجئين الفلسطينيين بقطاع غزة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس1985.
* العارف بالله محمد حسن الغندور، العلاقة بين نوعية الاتجاه وحجم المعلومات ومصدرها: دراسة سيكولوجية في الحرب والسلام، رسالة دكتواره، كلية الآداب، جامعة عين شمس1986.
* علي عادل الشكعة، تغير القيم الاجتماعية والتوافق النفسي عند الشباب الفلسطيني في جامعات الضفة والقطاع، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1986.
* عفاف عبد العليم يوسف القاضي، دراسة سيكولوجية في رؤى الصراع العربي الإسرائيلي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1988.
* محمد جواد محمد الخطيب، العلاقة بين مستوى القلق والتحصيل الدراسي لدى المراهقين الفلسطينيين، وتقييم برنامج إرشادي للتخفيف من حدة القلق، رسالة دكتواره، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.
* اعتماد خلف معبد، صورة البطل المقدمة للطفل المصري في مجتمع الحرب والسلام، رسالة دكتواره، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.
* أسماء غريب، التربية السياسية في أدب الأطفال، دراسة مقارنة بين مصر وإسرائيل، رسالة ماجستير، قسم تربية الطفل، كلية البنات، جامعة عين شمس 1993.
* أسماء غريب، الصراع العربي الإسرائيلي وأدب الأطفال: دراسة مقارنة بين دول المواجهة وإسرائيل، رسالة دكتوراه، قسم تربية الطفل، كلية البنات، جامعة عين شمس 1995.
* طه أحمد حسين المستكاوي، صورة الإسرائيلي كما يدركها المصريون: دراسة نفسية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1995.
* إسماعيل عيد إسماعيل الهلول، قيمة الحياة لدى الطالب الفلسطيني: دراسة ناقدة لنموذج حاجات ماسلو، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس 1999.

ثانياً: رسائل تناولت أبعاداً مختلفة للعلاقة بين القرية والمدينة

* سلوى محمد عبد الباقي، دراسة تجريبية عن الاتجاهات العامة للقرويين نحو تنظيم الأسرة وإمكانية تغييرها، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة الأزهر 1976.

* محمد محمد سيد خليل، الفلاح المصري: دراسة في شخصية الجماعة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1979.

* عماد الدين سيد نصير، أثر الهجرة من الريف إلى المدينة على الصحة النفسية، رسالة ماجستير، كلية الطب، جامعة الأزهر 1982.

* محمد محمد سيد خليل، العلاقة المتبادلة بين القرية والمدينة: دراسة في التفاعل النفسي الاجتماعي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1982.

* محمد أحمد عويضة، دراسة عن استخدام المناقشات الجماعية في قياس اتجاهات القرويين نحو تنظيم الأسرة، رسالة ماجستير، كلية الطب، جامعة الأزهر 1983.

* محمد عبد الواحد رياض، قياس اتجاهات طلاب الطب نحو مشاكل شباب الريف، رسالة ماجستير، كلية الطب، جامعة الأزهر 1984.

* فؤاد كامل، القيادات المحلية لجماعات تفاعلية كوسيلة للتثقيف الصحي، رسالة دكتواره، كلية الطب، جامعة الأزهر 1984.

* محمد أحمد محمد شلبي، الفروق بين أطفال الريف والحضر في الأداء على اختبارات الاستعدادات العقلية والدافعية للإنجاز والمهارة النفسحركية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا 1985.

* نادية حسن عبد الفتاح الصافوري، المكونات العاملية لشخصية الطفل المصري في الريف والحضر، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1992.

* هناء السيد محمد علي، التليفزيون والتنشئة الثقافية لطفل الرياض بالريف: دراسة مقارنة برقية مصرية، رسالة دكتوراه، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة 1993.

* محمود علي محمود، سرعة الإدراك البصري لدى أبناء الريف وأبناء الحضر داخل مدينة المنيا وعلاقته بالذكاء، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا 1995.

ثالثاً: رسائل تناولت أبعاداً مختلفة من التفاعل الاجتماعي

* فيصل إبراهيم العلاف، علاقة المستوى التعليمي بالاتجاهات نحو بعض القضايا الاجتماعية المعاصرة في القطر العربي السوري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1980.

* رامز محمد طه، دراسة التعبير بالرسم في إطار الجماعة، رسالة ماجستير، كلية الطب،

جامعة الأزهر، 1984.
* عادل كمال خضر، دراسة رسم الطفل لنفسه مع الأقران كدلالة على مدى التكيف الشخصي والاجتماعي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1986.
* عزة عبد الغني حجازي، الإدراك المتبادل بين ثلاث شرائح ثقافية وموقفها من بعض قضايا المجتمع، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس 1983.
* بركات حمزة، تصور طالب الجامعة للمستقبل: دراسة سيكولوجية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1988.
* السيد أحمد علي القط، دراسة في ديناميات العلاقات بين الجماعات، رسالة دكتوراه، كلية الطب، جامعة الأزهر 1988.
* تيسير مفلح الرحيم الكوافحة، صعوبات التعلم والعوامل المرتبطة بها في المرحلة الابتدائية الأردنية، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1990.
* سليم عودة الرفيف الزيون، العوامل المؤثرة في كفاءة المرشد التربوي في المرحلة الثانوية في الأردن، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1991.
* علي فالح حمد هنداوي، التنشئة الوالدية والسلوك الاجتماعي للأبناء: دراسة نفسية اجتماعية، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1991.
* حسني أحمد الجبالي، أثر التعزيز البديل على التعليم وإكساب القيم التربوية عند الأطفال، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1991.
* مصطفى محمود عبد الهادي حوامدة، التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها بأنساقهم القيمية: دراسة مقارنة بين الذكور والإناث لدى عينة من طلاب الأردن، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس1991.
* سليم محمد سليم الشايب، العلاقة بين الابتكار وبعض المتغيرات الشخصية والبيئية، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الإنسانية، معهد الدراسات والبحوث البيئية1991.
* صلاح السرسي، الآثار النفسية لغياب النموذج الأبوي: دراسة في عملية التنشئة الاجتماعية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1991.

* ماهر عبد اللطيف أحمد راشد، دراسة تمهيدية لسلوك الأطفال المبتسرين وتأثير انفصال الأم عن طفلها، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1992.
* محمد عاصم سالم إبراهيم، دراسة مقارنة لبعض السمات النفسية لسلوك الطفل في الأحياء الحضرية المتخلفة وغير المتخلفة، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإنسانية، معهد الدراسات والبحوث البيئية 1994.
* محمود عبد الرحمن أبو رحاب، دراسة في دينامية الوعي بمشكلة الأمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1994.
* أشرف حكيم فارس، الانتباه وحل المشكلات وعلاقتهما بالألفة لمصادر الضوضاء، دراسة تجريبية لبعض المشكلات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا 1995.
* هالة إبراهيم محمد الجرواني، إصابات أطفال ما قبل المدرسة، وطرق الوقاية منها، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1995.

رابعاً: رسائل تناولت أبعادا مختلفة من ظاهرة العنف

* السيد أحمد على القط، دور الضحية وأسرتها في التهيئة لتعرضها للعدوان الجنسي، رسالة ماجستير، كلية الطب، جامعة الأزهر 1982.
* سميحة نصر عبد الغني، الشخصية العدوانية وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1983.
* فؤاده محمد علي هدية، سيكولوجية العدوان لدى المراهقين: دراسة عن العدوان وعلاقته بالاختلاط في المدارس الثانوية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1983.
* عدنان عاشور، ظاهرة الاغتصاب الجنسي: دراسة إكلينيكية، رسالة دكتوراه، كلية الطب، جامعة الأزهر 1984.
* شكري عبد العظيم حسن، السجن: دراسة في ديناميات الجماعة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1984.
* سميحة نصر عبد الغني، السمات الشخصية المميزة للعدوانيين وأنساقهم القيمية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1986.
* شكري عبد العظيم حسن ، تأثير العقوبة السالبة للحرية على البناء النفسي للمسجون، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1986.
* عزة حسين زكي، برنامج إرشادي لمواجهة مشكلة العدوانية لدى المراهقين الجانحين،

رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.

* محمود غلاب، طاعة السلطة: دراسة تجريبية على طلاب الجامعة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1989.

* هدى أحمد الضوي، الكثافة العددية وعلاقتها بالميل العدواني لدى الأطفال، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا 1994.

خامساً: رسائل تناولت أبعاداً مختلفة من ظاهرة الانتماء

* العارف بالله محمد حسن الغندور، سيكولوجية الانتماء: دراسة لجماعة صوفية مصرية راهنة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1983.

* فتحي محمد الشرقاوي، دراسة في سيكولوجية التعصب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1984.

* محمد عاطف كامل محمد، دينامية العلاقة بين المهنة وخصائص الشخصية: دراسة في الشخصية العسكرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1985.

* آمال حسن هلال، السمات الشخصية المميزة للفتيات المحجبات، وأنساقهن القيمية: دراسة مقارنة بالفتيات غير المحجبات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1986.

* فتحي محمد الشرقاوي، الأبعاد النفسية للمشاركة الشعبية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1986.

* إلهامي عبد العزيز محجوب، الانتماء للأسرة وعلاقته بأساليب التنشئة الاجتماعية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1987.

* محمد عبد الحميد الغرباوي، دور الصحافة المصرية اليومية في التنشئة السياسية للمراهقين: دراسة تطبيقية على تلاميذ المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.

* إبراهيم فالح على جميعان، مدى تحقيق برامج الأطفال في التليفزيون الأردني للحاجات النفسية والاجتماعية للأطفال الأردنيين في سن 9 ـ 12 سنة، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1990.

* عصام حسين أحمد حسين، إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصري، رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس1991.

* أسماء عبد العال محمد عبد العال الجبري، تصميم برنامج لإكساب أطفال ما قبل المدرسة مهارات التعاون، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1991.

* إيمان أحمد خضر، الانتماء في برامج التليفزيون المصري، رسالة ماجستير، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1993.

* حسن عبد الفتاح حسن حسنين الفنجري، سيكولوجية الانتماء الإسلامي: دراسة في الشخصية والتنشئة الاجتماعية، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1994.

* نهلة سيد أحمد محمد، العوامل النفسية والتربوية المرتبطة بعدم تقبل الأطفال لدار الحضانة، رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1995.

* وليد كامل على الليثي، اتجاهات المراهقين نحو البرامج الدينية بالتليفزيون المصري، رسالة ماجستير، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1995.

* هبة محمد عبد المنعم رمضان، صورة مصر عند فئات من المراهقين، رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1995.

* طارق جودت محمد نايل، العلاقة بين الاختلاط في التعليم والتعصب الجنسي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1995.

سادساً: رسائل تناولت أبعاداً مختلفة من ظاهرة الاتصال

* عاطف أحمد علي، دراسة قضايا الطفل في بعض الصحف اليومية، رسالة ماجستير، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1987.

* السيد بهنسي حسن، وسائل الإعلام المحلية ودورها في تزويد الطفل المصري بالمعلومات، رسالة دكتوراه، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.

* طه محمد بركات، دور الإعلام الإذاعي (إذاعة وتليفزيون) في التنشئة الاجتماعية للأطفال في مرحلة التعليم الأساسي، رسالة دكتوراه، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1991.

* سمية سعد الدين الوليلي، تصميم صحيفة تلبي احتياجات أطفال المدارس الإعدادية ، رسالة ماجستير، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس1991.

* فاتن عبد الرحمن محمد الطنباري، صورة المراهق في الصحف القومية: دراسة تطبيقية، رسالة دكتواره، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1991.

* سيدة حامد عبد العال، صورة الطفل في الأدب العربي، رسالة دكتوراه، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1992.

* ثروت فتحي كامل، صورة الطفل المصري في الصحافة القومية والحزبية: دراسة مقارنة لجريدتي الأهرام والوفد في الفترة من 1988 و1991، رسالة دكتوراه، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة 1993.

* خالد أحمد عبد الجواد، تأثير مشاهدة الأفلام السينمائية المصرية على انحراف الأحداث: دراسة تحليلية وميدانية، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة 1994.

*لمياء رشدي أحمد، مجلات الأطفال المترجمة في مصر والتبعية الإعلامية، رسالة دكتوراه، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة 1994.

سابعاً: رسائل تناولت أبعادا مختلفة من صحة الطفل

* لبنى السيد عبد المجيد شريف، العوامل المسببة لأمراض سوء التغذية عند الأطفال في نهاية فترة الرضاعة ودون السن المدرسي في مصر، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1988.

* سامية عبد الواحد بصيلة، التغيرات التي تحدث في الأملاح المرارية في بعض أمراض الجهاز الهضمي للأطفال مع مراعاة ظروف البيئة المصرية، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1990.

* ساهر عبده جبر، الانتباه ونقص الحديد في أطفال المدارس المصريين، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1990.

* غادة فرج حافظ الدري، دراسة للتطورات الحديثة في مرض البول السكري عند الأطفال من حيث التغيرات التي تحدث في هرمونات الغدة الدرقية وأساليب التغذية، وإصابات الكلية، والعوامل النفسية والأسرية المؤثرة على الطفل المصاب بهذا المرض، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1993.

* شريف حافظ أحمد شريف، الأفلاتوكسينات في سوء التغذية البروتيني الطاقي، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1994.
* مايسة نصر فريد فريد السيد عربيي، التقييم النفس اجتماعي لحالات الكبد المزمن لدى الأطفال، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1994.

ثامناً: رسائل تناولت أبعاداً مختلفة من ظاهرة العمل

* طريف شوقي، أبعاد السلوك القيادي وعلاقتها بكفاءة أداء العمال الصناعيين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا 1985.
* عبد المنعم شحاتة محمود، بعض الخصائص المعرفية والوجدانية للأزواج وعلاقتها بتقبلهم أفكاراً خاصة بعمل المرأة خارج المنزل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنيا 1985.
* سمير محمد عبد الفتاح، العلاقة بين الحوادث وإصابات العمل والتكوين النفسي لكل من المنبوذ والنجم كما تبينها المكانة السوسيومترية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1986.
* فؤاده محمد علي هدية، قيمة العمل لدى المرأة المصرية المعاصرة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1988.
* نادية رشاد سعد الدين الضبع، عمالة الأطفال وعلاقتها بالتوافق النفسي، رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1993.

تاسعاً: رسائل تناولت الإعاقة والاضطراب النفسي

* مجدي حسن محمود، دراسة لبعض متغيرات الشخصية لدى المصابين بالصرع، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1985.
* نجمة يوسف الخرافي، دراسة في سيكولوجية عصاب الوسواس القهري في دولة الكويت، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1985.
* حسني أحمد الجيالي، دراسة مقارنة لمستوى القلق عند الأطفال المكفوفين والمبصرين، رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.
* عيسى عبد الله عيسى جابر، دراسة ميدانية لبناء برنامج إرشادي لعلاج أطفال مضطربين سلوكياً عن طريق اللعب، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.

* أشرف عبد الرؤوف عثمان، مرض الصرع في مرحلة الطفولة، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1989.
* محمد خالد محمد المنباوي، دراسة الأطفال المتخلفين نسبياً، وما يصاحبهم من تغيرات نفسية وسلوكية، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1990.
* مجدي كرم الدين على ضيف، برنامج إرشادي متكامل لعلاج الأطفال الذين يعانون من ضعف السمع، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1990.
* مي يحيى توفيق الرخاوي، بعض المتغيرات المرتبطة بالمظاهر والأعراض الوسواسية لدى الأطفال المترددين على العيادة النفسية، رسالة ماجستير، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1992.
* عادل سعد خليل حرب، دراسة مقارنة لبعض الخصائص المعرفية والاجتماعية للأطفال المتخلفين عقلياً والأطفال غير المتخلفين، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1992.
* خالد حسين مصطفى طمان، التغيرات السلوكية في الأطفال مرضى الصرع، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1993.
* زينب محمد زين العايش، مدى فعالية العلاج بالمعنى كأسلوب إرشادي في تخفيض بعض الاضطرابات السلوكية في مرحلة المراهقة، رسالة دكتواره، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، 1993
* محمد أحمد عبد الحميد عبد الهادي، أثر تلوث البيئة بالرصاص على ذكاء الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإنسانية، معهد الدراسات والبحوث البيئية 1994.
* سامية سامي عزيز جيد، تقييم الاضطرابات النفسية لدى المعوقين عقلياً وعائلاتهم، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة 1995.
* سعد عبد المطلب عبد الغفار، التوافق الشخصي والاجتماعي لدى الأطفال المصابين بشلل الأطفال، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1995.

عاشراً: رسائل تناولت المرأة

* محمد عبد الله بدوي، دراسة في ختان الإناث، رسالة ماجستير، كلية الطب، جامعة الأزهر 1984.
* سلوى محمد عبد الباقي، صورة المرأة المصرية: دراسة في تحليل مضمون بعض البرامج الإذاعية، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة عين شمس1981.
* عادل محمد محمد المدني، العلاجات الشعبية في مجال العقم عند النساء، رسالة دكتوراه، كلية الطب، جامعة الأزهر، 1983.
* علا مصطفى إبراهيم مصطفى، التغيرات النفسية المصاحبة لمرحلة البلوغ في البنات المصريات، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1991.
* ليلى عمر عبد الحي زبير، دراسة المعتقدات والممارسات المتعلقة بصحة الطفل بين الأمهات في مصر والمملكة العربية السعودية، قسم الدراسات الطبية، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1992.
* ليلى سليم رزق الله، تأثير ختان البنات من الناحية الاجتماعية والسيكولوجية والطبية، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس 1995.

حادي عشر: رسائل تناولت موضوعات متنوعة

* عادل محمد محمد المدني، نظرة إلى العلاجات الشعبية للضعف الجنسي عند الرجال، رسالة ماجستير، كلية الطب، جامعة الأزهر 1980.
* سمير محمد عبد الفتاح، سيكولوجية المسنين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1988.
* عبد العزيز باتع محمد، دراسة تجريبية للفروق الوظيفية بين نصفي المخ في إدراك المثيرات اللفظية وغير اللفظية باستخدام طريقة الإسماع الثنائي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1988.

المقالات العلمية/ Papers (Keywords and summary) / Publications et communications

- الأعمال المنشورة

تضم قائمة الأعمال المنشورة العديد من الكتابات بين مؤلف ومترجم بين كتاب وبحث ومقال، باللغتين العربية والإنكليزية. وتغطى تلك الأعمال مجالات: التاريخ الاجتماعي لعلم النفس، والتنشئة الاجتماعية، وعلم النفس الصناعي، ومشكلة الأمية، والقياس النفسي، والمراهقة،

والصراع العربي الإسرائيلي، والتدريب الإداري، وتنظيم الأسرة، ومشكلات الطفولة.

وتتمثل أهم تلك الأعمال فيما يلي:

* سيرجيون أنجلش وجيرالد بيرسون، مشكلات الحياة الانفعالية، ترجمة بالاشتراك، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1959.
* "أزمة الإنسان الحديث، تأليف: تشارلز فرنكل"، عرض نقدي، المجلة، القاهرة، العدد 98، فبراير 1965، 108 ـ 110.
* "سيكولوجية التفكير، تأليف: روبرت طومسون"، عرض نقدي، المجلة، القاهرة، العدد 106، أكتوبر 1965، 114 ـ 118.
* "إخفاق التحليل النفسي من فرويد إلى فروم، تأليف : هازي ك. ويلز"، عرض نقدي، المجلة، القاهرة، العدد 108، ديسمبر 1965، 119 ـ 123.
* هـ.ج.أيزنك، الحقيقة والوهم في علم النفس، ترجمة بالاشتراك، دار المعارف، القاهرة 1969.
* ف. إنجلز، حرب الفلاحين في ألمانيا، ترجمة بالاشتراك، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1970.
* ف. لينين، تشخيص الرومانسية الاقتصادية، ترجمة بالاشتراك، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة 1970.
* "حول التفسير النفسي للتاريخ"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد 60 ، فبراير 1970، 24 ـ 31.
* "رأي في نشأة علم النفس"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد 26، أبريل 1970 ، 42 ـ 31.
* "نظرة مادية إلى نشأة علم النفس"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد 64، يونيو 1970، 30 ـ 40.
* "علم النفس بين الطبقية والموضوعية"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد 68 ، أكتوبر 1970، 13 ـ 22.
* "الدراسات النفسية بين التشابه والاختلاف"، الطليعة، القاهرة، ديسمبر 1970، 82 ـ 88.
* "علم النفس الصناعي والصراع الطبقي"، الفكر المعاصر، القاهرة، العدد 76 ، يونيو 1971، 10 ـ 15.
* تجسيد الوهم: دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية، مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية، القاهرة، 1971 (الكتاب الفائز بجائزة الدولة التشجيعية لعام 1972).

* "موقف ثوري في علم النفس الأمريكي: فيتنام" ، الطليعة، القاهرة ، يناير 1972، ص 62 ـ 67.
* "قراءة سيكولوجية لنماذج من الأدب الإسرائيلي المعاصر"، دراسات اشتراكية، القاهرة، أغسطس 1972، 137 ـ 140.
* "المراهقة.. هل هي أزمة؟"، الصحة، القاهرة، أغسطس 1972، 32 ـ 33.
* "الشباب.. ما هي مشكلته؟"، الصحة، القاهرة، أكتوبر 1972، 16 ـ 19.
* ب. ك. أنوخين، "العقل الطبيعي والعقل الصناعي وكيف يتكونان" ، ترجمة، العلم والمجتمع، القاهرة، العدد 14، مارس 1974، 50 ـ 71.
* بول روبنسون، اليسار الفرويدي: ولهلم رايش وجيزا روهايم وهربرت ماركوز، مراجعة وتقديم، دار الطليعة، بيروت 1974.
* روبين كلارك، "الحاجة الملحة لتكنولوجيا بديلة"، ترجمة، العلم والمجتمع، القاهرة، العدد 15، يونيو 1974، 12 ـ 31.
* دافيد ديكسون، "بعض التأملات النقدية فيما وراء ظهور العلم والفن"، ترجمة، العلم والمجتمع، القاهرة، العدد 16، سبتمبر 1974، 76 ـ 99.
* دراسة تجريبية لأثر الجمود الإدراكي والجمود الحركي على التعرض للإصابات في الصناعة، منشورات جامعة عين شمس، 1974.
* "حول التكوين السيكولوجي للفلاح المصري"، دراسات، القاهرة، العدد 7، أبريل 1974، 1- 15.
* "الشخصية الإسرائيلية وفكرة العودة"، المدير العربي، القاهرة، العدد 47، أبريل 1974، ص79 ـ 80.
* "تأملات سيكولوجية حول حرب أكتوبر"، حرب أكتوبر: دراسات في الجوانب الاجتماعية والسياسية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة 1974، 97 ـ 115.
* "الشخصية الإسرائيلية وقضايا الصراع"، المجمع المصري للثقافة العلمية: الكتاب الرابع وأربعون، القاهرة، 1974، 139 ـ 153.
* "بحث في بعض الخصائص والاتجاهات لعينة من طلاب الجامعة المصريين"، بالاشتراك، دراسات سكانية، القاهرة، العدد 20 مايو 1975، 1 ـ 71.
* "الأصول الطبقية لعلم النفس المعاصر: الأزمة الراهنة وجذورها"، دراسات عربية، بيروت، نوفمبر 1975، 62 ـ 75.

* "الحرب والسيكولوجية الإسرائيلية" ، قضايا عربية، بيروت، العدد 8/7، أكتوبر ونوفمبر 1975، 25 ـ 71.
* مويسى ماركوف، "العلم ومسئولية العلماء"، ترجمة، العلم والمجتمع، القاهرة، العدد 20، سبتمبر 1975، 34 ـ 41.
* جاكلين جويلارد، "تبسيط العلم: حرفة جديدة طورها الرجال والنساء معاً" ، ترجمة، العلم والمجتمع، القاهرة، العدد 21 ، ديسمبر 1975، 108 ـ 123.
* ستيفان بنديك، الإنسان والجنون: مذكرات طبيب أمراض عقلية، ترجمة بالاشتراك، دار الطليعة، بيروت، 1975.
* "اتجاهات الدعاة الرسميين وغير الرسميين في مجال تنظيم الأسرة: دراسة مقارنة"، بحث بالاشتراك، دراسات سكانية، القاهرة، العدد 32، مايو 1976، 1 ـ 51.
* ميروسلاف سوكوب، الثورة العلمية والتقنية والبرنامج الشامل لنزع السلاح، ترجمة، العلم والمجتمع، القاهرة، العدد 24 ، سبتمبر 1976، 140 ـ 153.
* "ديناميات العنف الجماهيري في إطار الخصائص النفسية والتاريخية للشخصية المصرية"، العنف التلقائي الجماهيري في المجتمع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1976، 131 ـ 153.
* "الآثار النفسية للحرب على التجمع الإسرائيلي"، الندوة الدولية لحرب أكتوبر، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة، القاهرة، 1976، 63 ـ 76.
* "استمرار تفش الأمية في البلاد العربية: محاولة تشخيصية"، بحث بالاشتراك، ندوة خبراء عرب لدراسة الأمية في إطار برنامج المواجهة الشاملة في الوطن العربي، الجهاز العربي لمحو الأمية، بغداد 1976.
* "نحو مفهوم جديد للأمية بوصفها مشكلة حضارية"، مؤتمر الإسكندرية الثالث لمحو الأمية، الجهاز العربي لمحو الأمية، بغداد 1976.
* "الوسائل التعليمية، والخصائص النفسية لتعليم كبار السن"، حلقة تطوير أسلوب استخدام الوسائل التعليمية في مجال محو الأمية وتعليم الكبار، مركز تدريب قيادات تعليم الكبار لدول الخليج، البحرين 1978.
* القياس النفسي، دار فينوس للطباعة والنشر، القاهرة 1978.
* علم النفس ومشكلات مجتمعنا: السكان والأمية والجريمة، دار فينوس للطباعة والنشر، القاهرة 1978.
* تاريخ علم النفس: محاولة اجتهادية، دار فينوس للطباعة والنشر، القاهرة 1978.

* شباب عجوز : دراسة في سيكولوجية السابرا ، مكتب شريف للطباعة والنشر، القاهرة، 1978.
* ك. هول وج. لندزي ، نظريات الشخصية، ترجمة بالاشتراك، الطبعة الثانية، دار التابع للنشر، الكويت، 1978 ، (الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971).
* احتياجات الجيل الجديد في البحرين، ثلاثة أجزاء، المجلس الأعلى للشباب والرياضة بدولة البحرين، ومنظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف) 1979.
* دينامية اختيار المثل الأعلى من الشباب ، المؤتمر الدولي الرابع للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية، مارس 1979.
* "التجمع الإسرائيلي بين الحق العربي والحقيقة العلمية والفكر الصهيوني"، قضايا عربية، بيروت، السنة السادسة ـ العدد السابع، نوفمبر 1979، 205 ـ 228.
* "تصدير: التجريبية.. ومدرسة عين شمس في علم النفس"، جون جاردنر، وصوفيا كامنسكا، تجارب أساسية في علم النفس التجريبي، دار التوفيق للطباعة والنشر، القاهرة 1980.
* "أنماط الوعي والسلوك لدى الفلاحين المصريين تجاه تنظيم الأسرة" دراسات سكانية، القاهرة، إبريل 1981، 1 – 33.
* "المصريون ونظرتهم إلى الفلاحين: دراسة في شخصية الجماعة" ، المؤتمر الدولي السابع للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية، القاهرة، إبريل 1982.
* علم النفس ومشكلات المجتمع : نحن والفلاح والمشكلة السكانية، بالاشتراك ، دار فينوس للطباعة والنشر ، القاهرة 1982.
* "تحليل مضمون محاضر اجتماعات اللجنة الاستشارية في الوحدة المحلية بكرداسة ـ محافظة الجيزة"، دراسات سكانية، القاهرة، سبتمبر 1983.
* "Perceptions of Egyptian – Israeli relations: A preliminary report", MEI annual conference, Washington, D.C. September 30, 1983.
* "رؤى الصراع العربي الإسرائيلي: (1) العلاقات المصرية الإسرائيلية"، الأخبار، القاهرة، 1983/10/11.
* "رؤى الصراع العربي الإسرائيلي: (2) تصورات الحل النهائي للصراع العربي الإسرائيلي"، الأخبار، القاهرة، 1983/10/18.

* "رؤى الصراع العربي الإسرائيلي: (3) تصورات المصريين والإسرائيليين حول علاقاتهم الراهنة"، الأخبار، القاهرة 1983/11/1.

* "رؤى الصراع العربي الإسرائيلي": (4) الخلافات الداخلية والوحدة القومية"، الأخبار، القاهرة، 1983/12/6.

* "المنسقون: دراسة في مشروع السكان والتنمية" ، دراسات تحليلية، المجلس القومي للسكان، القاهرة، 1984.

* حول التاريخ الاجتماعي لعلم النفس، دار فينوس للطباعة والنشر، القاهرة، 1984.

* مدى استفادة الشباب من المؤسسات الشبابية الرياضية القائمة بدول مجلس التعاون الخليجي، ثلاثة أجزاء، مجلس التعاون لدول الخليج العربي ومركز البحوث التربوية بجامعة الملك سعود، الرياض، 1985 (المستشار العلمي للبحث).

* "علاجاً لظواهر العنف الفردي"، الأهرام، القاهرة ، 1985/3/25.

* "دفاعاً عن المراهقة وعن المراهقين: محاكمة ظالمة وقضاه مدانون"، صباح الخير، القاهرة، 1985/5/2، 38 ـ 39.

* "ملامح البطل في السينما المصرية"، الإنسان المصري على الشاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، 52 ـ 34.

* "التنشئة الاجتماعية للطفل العربي بين الوحدة والتعدد"، مجلة النيل، القاهرة، العدد 28، نوفمبر 1986، 61 ـ 67.

* "الصراع الحضاري داخل المجتمع الإسرائيلي" ، نظرة جديدة في التحالف الصهيوني الإمبريالي، وجيه حسن قاسم (أبو مروان)، دار البيادر، القاهرة، 1987، 5 ـ 25.

* "فونت... فيلسوفاً، وسياسياً، وعالماً"، مجلة علم النفس، القاهرة، العدد الأول، يناير 1987، 43 ـ 46.

* " A study of some personality variables among Egyptian epileptics", (Co-author). The Egyptian Journal of Psychiatry, Vol. 10, 1 & 2, April – October 1987, 103 – 114

* "سينما الأطفال وعلم النفس" ، الفن الإذاعي، العدد 116 ، يناير 1988 ، 46 – 54.

* Cairo, June – The state of Egyptian Children, (co-author), CAPMAS & UNICEF, 1988.

* "تساؤلات حول كلية معلمات رياض الأطفال الجديدة" ، الأهرام، القاهرة ، 18 أغسطس 1988.

* "أطفالنا ورؤى المستقبل"، الأهرام، القاهرة، 30 يناير 1989.

* "سيكولوجية الاتصال: الاتصال الشخصي بين الداعية، والدعوة، والجمهور"، الدورة

التدريبية في إدارة مشروعات الإعلام السكاني، المجلس القومي للسكان، القاهرة، مارس 1989.

* "سيجموند فرويد والصهيونية"، شؤون فلسطينية، مايو 1989، 73 ـ 81.

* "سيكولوجية المكان"، ندوة المأوى والصحة والأسرة، مركز بحوث الإسكان، القاهرة، 2 أكتوبر 1989.

* "الطفولة العربية.. والمستقبل"، ندوة نحو استراتيجية رعاية الطفولة، منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف)، بغداد، أكتوبر 1989.

* "الاتصال الشخصي ضرورة إنسانية" مجلة النيل، القاهرة، العدد 39، أكتوبر 1989، 50 ـ 56.

* الإسرائيليون.. من هم؟ دراسات نفسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989.

* الكتب المرشدة لمشرفة الحضانة، بالاشتراك، منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف)، القاهرة، 1989.

*دراسة في الشخصية الإسرائيلية: الأشكنازيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1989 (الطبعة الثانية، دار الشايع للنشر، الكويت، 1978، الطبعة الأولى: مركز بحوث الشرق الأوسط ـ جامعة عين شمس، 1975).

* حقائق للحياة، بالاشتراك، منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف)، القاهرة، 1990.

* "الأطفال والكوارث: رؤية نفسية اجتماعية"، المؤتمر الدولي لإدارة الكوارث، أكاديمية البحث العلمي بالاشتراك مع مكتب الأمم المتحدة لإغاثة الكوارث، القاهرة، سبتمبر 1990.

* مواجهة آثار حرب الخليج على الطفل العربي في خطوط المواجهة: رؤية نفسية، الندوة العلمية للمجلس العربي للطفولة، القاهرة، مارس 1991.

* "قضيتنا هي الوحدة الوطنية، وليست الفتنة الطائفية"، الأهالي، القاهرة 2 مايو 1991.

* "بطارية الاختبارات النفسية للخطوط الجوية العربية السعودية"، 1992.

* "حول السلام الهجومي الأكتوبري"، الأهرام، القاهرة، 1992/1/6.

* "علم النفس وإدارة الأزمات" ، المؤتمر الدولي السابع عشر للإحصاء وعلوم الحاسب وتطبيقاته العلمية والاجتماعية، القاهرة، إبريل 1992.

* "عيد تحرير سيناء : وقفة أمام الجذور"، الأهرام، القاهرة، 1992/4/25.

* "التخطيط لخدمات الطفولة في ضوء البحث العلمي وتحديد الأولويات"، ملتقى العمل الخليجي حول رعاية الطفولة، مجلس التعاون الخليجي، دبي، 21 ـ 23 سبتمبر 1992.

* "A country called Jerusalem", Al Ahram weekly, 22-28, Oct., 1992.
* "الجولة السابعة للمفاوضات: محاولة لاستشراف المستقبل"، الأهرام، القاهرة، 1992/10/25.
* "حول الصورة الإدراكية للعامل المصري: دراسة نظرية"، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، يناير 1993
* "العنف السياسي وأطفالنا"، الأهرام، القاهرة، 93/7/5.
* "حول الأسباب النفسية لفقدان الشهية لدى الأطفال: أفكار للمناقشة"، ندوة مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، 16 نوفمبر 1993.
* "سيكولوجية المستقبل"، دورة تدريب القيادات الإعلامية، مؤسسة فريدريش ناومان، القاهرة، 16 نوفمبر 1993.
* "الطفل والثقافة الشفهية أفكار أولية"، ندوة النهوض بأدب الأطفال، جمعية الرعاية المتكاملة ومركز توثيق أدب الأطفال ومنظمة اليونيسيف، 22 نوفمبر 1993.
* الخطة القومية الشاملة لثقافة الطفل العربي، بالاشتراك، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ديسمبر 1993.
* "سيكولوجية التفاوض"، محاضرة عامة الجمعية المصرية للدراسات النفسية، غير منشورة، 2 ديسمبر 1993.
* "مقياس أحادية الرؤية"، بالاشتراك مع أ. د. رشدي فام منصور، مكتبة الأنجلو المصرية، 1994.
* "الطفولة والعنف والإعلام"، ندوة: حول حق الطفل في إعلام رشيد، وزارة الشؤون الاجتماعية، 29 يناير 1994.
* "ندوة مناقشة اتفاق غزة وأريحا"، بالاشتراك، 25 ـ 26 سبتمبر 1993، مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس، فبراير 1994.
* "مفهوم الأمية: محاولة لإعادة النظر"، ندوة الأمية وعلاقتها بالمشكلة السكانية، الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار، 23 ـ 24 مارس 1994.
* "الإعلانات التليفزيونية، والأسرة المصرية... أفكار للمناقشة"، لجنة برامج الطفولة، مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون، بحث غير منشور، أبريل 1994.
* "حول تقييم برامج التدريب.. أفكار للمناقشة"، لجنة تدريب الكوادر ـ مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون، بحث غير منشور، أبريل 1994.

* "سيكولوجية الجماعات وقياداتها"، دورة تدريب القيادات الإعلامية، مؤسسة فريدريش ناومان، 6 يونيو 1994.
* "صورة المواطن القادر على مواجهة تحديات المستقبل"، ندوة لجنة ثقافة الطفل، المجلس الأعلى للثقافة، 25 يونيو 1994.
* "تساؤلات حول إنشاء قناة مصرية تليفزيونية خاصة للأطفال"، مهرجان سينما الطفل - القاهرة، بحث غير منشور، سبتمبر 1994.
* "دور الصورة القومية في التفاعل الثقافي الاجتماعي"، الملتقى الأوروبي العربي، طليطلة - إسبانيا، أكتوبر 1994.
* "السلام الهجومي بين المقاطعة والتطبيع"، الأهرام، القاهرة، 1994/11/8.
* "أطفالنا والعنف والمستقبل"، مؤتمر كلية الآداب - جامعة المنيا، 18 ديسمبر 1994.
* "العنف السياسي: رؤية نفسية"، ظاهرة العنف السياسي من منظور مقارن، أعمال الندوة المصرية - الفرنسية الخامسة، القاهرة 19- 21 نوفمبر 1993، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، 1995.
* "قضية التحيز في علم النفس: ملامح من سيرة ذاتية"، إشكالية التحيز، تقديم وتحرير عبد الوهاب المسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، الجزء الثاني.
* "حول مفهوم التسامح: أفكار للمناقشة"، الندوة الوطنية حول تعليم التسامح من خلال المدارس المنتسبة لليونسكو ، اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة، القاهرة، 25 ـ 27 مارس 1995.
* "الزراعة وثقافة الفلاحين: رؤية ناقدة"، الندوة الدولية حول الثقافة والزراعة، منظمة اليونسكو، القاهرة، 21 ـ 24 مايو 1995.
* "حول الحاجة إلى ميثاق أخلاقي للمهن التربوية والنفسية" ، ندوة نحو ميثاق أخلاقي لممارسة المهن التربوية والنفسية، المجلس الأعلى للثقافة - لجنة التربية وعلم النفس، القاهرة، 1 يونيو 1995.
* "الداعية السياسي، وقضايا الاتصال"، أمانة الشباب - الحزب الوطني - القاهرة، بحث غير منشور، 1995/7/26.
* "الاغتيال ومراجعة الأولويات داخل إسرائيل"، الأهرام، القاهرة، 1995/11/7.
* "اغتيال رابين: كيف شارك القتيل في إعداد قاتله"، الأخبار، القاهرة، 1995/11/8.
* "الحرب الأهلية في إسرائيل"، روز اليوسف 1995/11/13.
* "أحادية الرؤية.. المفهوم والقياس"، بالاشتراك مع رشدي فام منصور، المجلة المصرية

للدراسات النفسية، المجلد السادس، العدد 14 ، يناير 1996.
* حول الانتقال من مفهوم الدولة اليهودية الصهيونية إلى مفهوم الدولة الإسرائيلية، حلقة دراسية حول "تحولات المجتمع والدولة في إسرائيل"، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق - بيروت، مارس 1996.
* "الناجون من الهولوكوست الصهيوني"، روز اليوسف، 1996/5/20.
* No longer the promised land", Al Ahram weekly, 20-26, June 1996"
* "دعوة جديدة لعقد مؤتمر باندونج" ، الأهرام ، القاهرة ، 1996/8/19.
* "تصورات مستقبلية لتعزيز حقوق الطفل العربي" ، ندوة حقوق الطفل العربي، المركز القومي لثقافة الطفل، القاهرة ، من 23 إلى 25 نوفمبر 1996.
* "الاختراق الإعلامي في مجال التربية: تعقيب على بحث"، أعمال ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، من 23 إلى 24 نوفمبر 1996.
* "إشكالية التوجهات الصهيونية والأيديولوجية الإسرائيلية في أساليب التفاوض في ظل حكومة الليكود"، ندوة الاستراتيجية العربية المنتظرة تجاه التهديدات الإسرائيلية لدول المنطقة (الطوق) في حالة انهيار اتفاقيات السلام، أكاديمية ناصر العسكرية العليا: مركز الدراسات الاستراتيجية، مارس 1996.
* "إسرائيل من الداخل"، ندوة المستقبل العربي، العدد 221، بيروت، يوليو 1997.
* موضوعات في علم النفس والإعلام 1998.
* "علم النفس والسياسة: في قضايا الصراع الدولي، الأهرام، 1998/3/18.
* "حول إدارة العلاقات العربية الإسرائيلية"، الأهرام ، 1998/3/25.
* "وجهة نظر في الأوضاع الراهنة لأطراف الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي: ممسكران وأطراف خمسة"، الأهرام، 1998/10/28.
* "وجهة نظر في الأوضاع الراهنة لأطراف الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي: التناقضات الداخلية في المعسكرين المتواجهين"، الأهرام 1998/11/4.
* "دعوة للحوار: علم النفس والفلسفة.. والمؤسسة الأكاديمية في بلادنا"، الأهرام، ملحق الجمعة، 1999/2/26.
* "الانتخابات القادمة في إسرائيل: تغير الخريطة السياسية"، الأهرام، 1999/2/10.
* "دعوة للحوار: علم النفس، والفلسفة.. والمؤسسة الأكاديمية في بلادنا"، الأهرام، ملحق الجمعة، 1999/2/26.
* "تمايز العلوم شرط لتكاملها"، الأهرام، ملحق الجمعة، 1999/5/7.

* "احتمالات مفتوحة لـ"إسرائيل واحدة"، الأهرام، 1999/5/26.
* "بل خاتمة المطاف في العقل العربي"، الأهرام، 1999/10/27.
* "ثقافة الطفل العربي"، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، العدد الصفري، نوفمبر 1999
* "العرب... وتحرير جنوب لبنان:.. بدلاً من المعارك الفكرية الكئيبة"، الأهرام 2000/6/14.
* "مخاطر خلط أوراق الغضب وعناوين الأهداف"، الأهرام 2000/11/1.
* لمحات من علم النفس: صورة الحاضر وجذور الماضي، الهيئة العامة للكتاب، 2000.
* "حسابات العنف الإسرائيلي ضد انتفاضة "الاعتدال الفلسطيني"، الأهرام 2001/1/17.
* "حسابات رؤية اليمين الحاكم لإسرائيل الآن"، الأهرام 2001/2/14.
* "الطفل والإدارة الذكية للصراع"، مجلة خطوة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، مارس 2001.
* "شارون يخترع الخطر"، الأهرام، 2001/5/16.
* "الفرجة لا تكفي.. ولا الغضب أيضاً"، الأخبار، 2001/5/18.
* "مشكلات الخلط بين المقاومة وأساليبها"، الأهرام، 2001/5/30.
* "سيكولوجية التفاوض"، أعمال المؤتمر الدولي للعلوم الاجتماعية وتنمية المجتمع، الكويت، 10 .2001/4/12.
* "التحديات التي تواجه الأمة، ودور تربية الطفل في مواجهتها"، أعمال مؤتمر دور تربية الطفل في الإصلاح الحضاري، مركز دراسات الطفولة بجماعة عين شمس بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، 27 ـ 29 يونيو 2001.
* "أسامة بن لادن: أسطورة الابن الضال، ملف الأهرام الاستراتيجي، السنة الثامنة، العدد 86، فبراير 2002.
* الطفل العربي والانتماء القومي، جامعة الدول العربية، أبريل 2002.
* "جدلية الذات والآخر في مصر: في مهب رياح الثورة والهزيمة والبترول"، أعمال ندوة جدلية الذات والآخر في الثقافة العربية، وحدة الدراسات الإنسانية والمستقبليات، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 10 .11 أبريل 2002.
* "شارون.. من هو؟.. وماذا يريد؟"، وجهات نظر، السنة الرابعة، العدد الأربعون، مايو 2002.
* "مستقبل ثقافة الطفل في عالم متغير"، ندوة ثقافة الطفل العربي والألفية الثالثة، المجلس العربي للطفولة، القاهرة، 15 ـ 17 يونيو 2002.

* "ناصر والآخر"، ندوة احتفالية ثورة يوليو، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 20 ـ 22 يوليو 2002.
* "أحداث 11 سبتمبر تأثيرها علي الصراع العربي الإسرائيلي معدوم"، الجمهورية، 12 ب 2002.
* "الصراع العربي الإسرائيلي مثالاً: هل حصل تغير جوهري في مواقف أمريكا وإسرائيل"، الأهرام، 25 سبتمبر 2002.
* "المدنيون من هم؟ محاولة للتعريف من وجهة نظر نفسية"، الملتقي الدولي حول الآثار النفسية الناتجة عن الاحتلال والاعتداء علي المدنيين"، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ومنظمة الصحة العالمية ـ المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، القاهرة، 22 ـ 24 أكتوبر 2002.

محمد أحمد النابلسي

الحرب النفسية في العراق

متابعة للجوانب النفسية في الحرب
الأميركية على العراق

إن القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب وأسرارها وصفقاتها الخفية.

مكتبة العدد

الكتاب: الفرويديون الجدد.. محاولة لاكتشاف الحقيقة.

الكاتب: إريك فروم.

ترجمة: محمد يونس.

إصدار دار الفارابي - بيروت.

لسوف يذكر التاريخ أن القرن العشرين هو القرن الذي جرت فيه الهبّات الاجتماعية الكبرى، وأنه قرن الصراع الأيديولوجي العميق. ففي عالمنا المعاصر يجري نضال لا هوادة فيه بين الأيديولوجيتين البرجوازية والشيوعية، وهو نضال يعكس في عالم الأفكار عملية التحول التاريخية من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

ويحاول المنظرون الليبراليون البرجوازيون، وذلك على العكس مما يفعله المعادون للشيوعية الذين تعادي مبادئهم النظرية النظام الرأسمالي بشكل صريح، والذين يهدفون إلى التزييف المتعمد لأفكار الماركسية اللينينية، أن يقدموا أنفسهم على أنهم الراديكاليون الذين ينتقدون المجتمع الرأسمالي، ويكيلون له التقريع، ويطرحون الخطط المختلفة "لعلاجه"، أو " تغييره ثورياً". إن المنظرين الليبراليين البرجوازيين يجدون أنفسهم رغماً عن إرادتهم في عداد المعادين للشيوعية ما داموا يطرحون خططهم الإصلاحية الاجتماعية المجردة والخيالية لتغيير الرأسمالية، كبديل للبرنامج الماركسي لإعادة بناء العالم على أساس ثوري، ذلك البرنامج المختبر جيداً، والمؤسس على أساس علمي. أما بالنسبة للاتجاه المنتشر بينهم إلى حد بعيد لاستخدام الماركسية لتحقيق أغراضهم الخاصة، مكيفين إياها بحيث توافق النظرة البرجوازية للعالم، فإنهم في هذا السبيل يعملون بتوافق تام مع المراجعين اليمينيين.

ونتيجة للطبيعة المعقدة والمتناقضة للموقف النظري والاجتماعي الذي يتبناه المفكرون البرجوازيون الليبراليون من ناحية، ونقدهم الاجتماعي الأصيل للمجتمع البرجوازي من ناحية أخرى، ونتيجة لتقاربهم مع نزعة معاداة الشيوعية، وجناح المراجعة اليمينية، وكذلك للرواج

الكبير لآرائهم وأفكارهم بين قطاعات معينة من المثقفين البرجوازيين واليسار المتطرف الشاب، فإن تقويماً نقدياً ماركسياً لأفكار البرجوازيين الليبراليين من الزاوية العلمية والأيديولوجية يعتبر في غاية الأهمية في الوقت الراهن.

وإنه لمن الهام بصفة خاصة في هذا السبيل أن نمعن النظر في الآراء الفلسفية والسياسية لعالم الاجتماع والنفس الأميركي إريك فروم، أحد مؤسسي الاتجاه الفرويدي الجديد في التحليل النفسي.

إن آراء فروم الاجتماعية والفلسفية تمثل واحدة من النظريات الإنسانية المجردة التي تظهر في الغرب وتكتسب شعبية، بوصفها فروعاً لنوع من التعاليم الدينية الفلسفية التي تمثل انعكاساً واضحاً وأكيداً للآراء التي تعتنقها البرجوازية الصغيرة والمتوسطة، وانعكاساً لأمزجة ونظرة القطاعات الأساسية من المثقفين البرجوازيين، ذات النزعة التحررية والديموقراطية، أو من الشباب المساند لحركة اليسار الجديد. ففلسفة فروم الاجتماعية تشكل الأيديولوجية المصاغة نظرياً لتلك القطاعات من المجتمع البرجوازي التي تشعر بالحاجة للتغيير، بيد أنها لا تملك أموراً عن السبل أو الأساليب الواقعية لتحقيق مثل هذا التغيير.

لقد لعب معهد الدراسات الاجتماعية في فرانكفورت، حيث كان فروم أحد العاملين فيه من 1929 إلى 1932، دوراً مؤثراً في بلورة آراء فروم الفلسفية الاجتماعية، فقد تشكلت هناك ما يسمى بمدرسة فرانكفورت في علم الاجتماع، واتخذت منها اسمها. إن فلسفة فروم الاجتماعية تقدم لنا انعكاساً أميناً من عدة جوانب للأبحاث الفلسفية التي شغلت أذهان ممثلي هذه المدرسة (التي تضم عدداً من الأسماء اللامعة، مثل ماكس هوركهايمر، وتيودور أدورنو، وهربرت ماركوز)، اللذين سعوا إلى إضفاء الطابع الليبرالي على الماركسية عن طريق المزج بينها وبين الهيغلية الجديدة، والوجودية، والفرويدية، وتطلعوا إلى اكتشاف "الوسط الذهبي"، أي الطريق الثالث في الفلسفة.

ولقد أصبح فروم معروفاً كمتخصص في تطبيق التحليل النفسي على دراسة القضايا الاجتماعية بعد صدور كتابه الأساسي "الهروب من الحرية" في سنة 1941، الذي أصبح من أكثر الكتب رواجاً.

في هذا الكتاب حاول أن يتتبع تطور الحرية والوعي الذاتي للفرد من العصور الوسطى إلى عمرنا. ولقد عرض في هذا الكتاب بالذات لأول مرة الأفكار الأساسية للفلسفة الاجتماعية للفرويديين الجدد. أما المبادئ الأساسية فقد صاغها بعد ذلك في أعماله التالية: الإنسان لذاته (1947)، المجتمع العاقل (1955)، فن الحب (1956)، هل يسود الإنسان؟ (1961)، مفهوم

الإنسان عند ماركس (1961)، خارج قيود الوهم (1962)، قلب الإنسان (1964)، وغير ذلك.

ولم يصبح إريك فروم مشهوراً نتيجة لفحولة مؤلفاته الأكاديمية العديدة في حقل الفلسفة والاجتماع وعلم النفس وعلم الأخلاق النظري والدين فحسب، بل أيضاً في ضوء نشاطاته الواسعة النطاق في الشؤون العامة. فنقده المرير للإنسانية النظام الرأسمالي وقتال الولايات المتحدة في فيتنام، وحملاته في سبيل السلام ونزع السلاح الشامل، في كل من الصحافة والاجتماعات العامة والمظاهرات، جذب انتباه دائرة واسعة من التقدميين في الولايات المتحدة وكل مكان.

إن فروم باحث ليبرالي محصور ضمن إطار التفكير البرجوازي، ذو أفكار اجتماعية ونظرية متناقضة للغاية تشتمل على عناصر من النظرية الاجتماعية التقدمية جنباً إلى جنب مع النظرة المثالية الميتافيزيقية الفلسفية للعالم، وذات اتجاه سلبي تجاه الاشتراكية في الممارسة العملية ومرحلة التطور اللينينية في النظرية الماركسية.

وتختلف الفلسفة الاجتماعية عند فروم عن نظيرتها عند زملائه في أنها قد نشأت على الأساس الأيديولوجي للفرويدية، إحدى المتطورات الثقافية المنتشرة على نطاق واسع في القرن العشرين، في الوقت الذي خضعت فيه لتأثير فلسفة ماركس.

ويسعى فروم إلى أن "يقيم مركباً"، من الفرويدية والماركسية، مخضعاً هذه الأخيرة لتفسير أنثريولوجي، ومن ثم فهو يشوه بعمق جوهرها. إن فروم يتابع، من خلال مجهوداته لتطبيق بعض أفكار التحليل النفسي عند إيضاحه للعمليات والظواهر الاجتماعية، الاتجاه الاجتماعي الفلسفي الذي مهد له فرويد الطريق في الأصل في كتاباته في علم النفس الاجتماعي والأخلاق والدين، وغير ذلك من الموضوعات.

وفي الوقت الذي تمر به المدارس البرجوازية التقليدية في الفلسفة بأزمة متعاظمة، وحيث أن هناك اهتماماً متعاظماً بالماركسية، أحرزت الأفكار الفلسفية والسياسية التي طرحتها مدرسة فرانكفورت في علم الاجتماع تقدماً ملموساً في السنوات الراهنة، تاركة بصماتها على الأفكار الفلسفية والسياسية للمثقفين البرجوازيين وبعض قطاعات الشباب في البلاد الرأسمالية اليوم. ويفيد التحليل النقدي للفلسفة الاجتماعية عند فروم في تحديد الأوهام والأخطاء النظرية والاجتماعية التي تستهوي المثقفين الليبراليين البرجوازيين في الوقت الراهن. وحتى نفهم جوهر الأفكار الفلسفية والسياسية لفروم من المفيد أن ندرس الأفكار والنظريات التي شكلتها قبل الشروع في تحليل أفكار فروم الخاصة.

الكتاب: عولمة التعذيب. خفايا سجون الديموقراطية الأميركية.

الكاتب: محمد الحوراني.

عرض: أحمد عمر.

إصدار مركز الراية للتنمية الفكرية. دمشق.

عرف التعذيب عبر العصور، لكنّ الولايات المتحدة الأميركية التي تزعم الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم، وتدعي نشر رسالة الديموقراطية والحرية من خلال تقريرها السنوي عن حقوق الإنسان، تقوم هي نفسها بانتهاك حقوق الإنسان، وتمارس أبشع أنواع التعذيب في سجونها الطائرة والسابحة والماكثة، مثل غوانتانامو، وباغرام، وأبو غريب، وبقية "البقع السوداء"، و"قبور الملح"، والسجون السرية في أوروبا الشرقية، وهي سجون ترمي باتفاقية جنيف عرض الحائط، كما تقول منظمة هيومان رايتس ووتش.

تعريف العولمة كما يراه محمد عابد الجابري: تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه، وهو الولايات المتحدة الأميركية بالذات، على بلدان العالم أجمع، ودليل عولمة التعذيب الأميركي (حقوق التوزيع والنشر لأميركا). إن مسؤولين عرباً كباراً دافعوا عن تردي حقوق الإنسان في بلادهم بالقول إن أميركا رافعة شعار الحرية تفعل ذلك! ويلاحظ الجابري بروز ظاهرتين جديدتين بعد هجوم الحادي عشر من سبتمبر: الأولى هي ظاهرة توظيف الأميركيين والأوربيين شعار حقوق الإنسان سلاحاً أيديولوجياً ضد الخصم، والثانية هي ظاهرة المنازعة في عالمية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باسم الخصوصية الثقافية.

الغريب أن كل ما تقوم به أميركا "يقع ضمن الإطار الذي كفله القانون"، كما صرحت كونداليزا رايس، وبحسب "آلان السنر"، مراسل رويترز، في كتابه "بوابات الظلم"، أن تكاليف إدارة السجون الأميركية تتجاوز 75 مليون دولار سنوياً، في حين أنّ ميزانية التعليم لا تتجاوز 42 مليون دولار!! وعليه فقد غدت صناعة الإصلاحيات ولوازمها قطاعاً منتجاً ورابحاً هاماً في أميركا! وطبعاً لا بد لهذه الصناعة من تدريب كوادر من المتوحشين لرعاية "ثقافة القسوة".

يعيد محمد الحوراني أسباب ارتفاع المسجونين في أميركا لفلسفة "القسوة على الجريمة" الأميركية، حيث تضاعف منذ السبعينيات عدد السجناء الجنائيين أربع مرات (حالياً أكثر

من ثلاثة ملايين)، لتكون غالبية المسجونين من صغار متعاطي المخدرات من أميركا اللاتينية والأصول الأفريقية، ومن الملفت أن نسبة المسجونين المسلمين تفوق أتباع أية ديانة أخرى بعد أحداث الهجوم السبتمبري الذي قوّض البرجين التوأمين.

لا ريب أن الإدارة الأميركية حاولت قدر الإمكان الالتزام الشكلي بالقانون الأميركي بعدم ممارسة تعذيب الإرهابيين "على أراضيها، وأن هذه الانتهاكات تتناقض مع رسالة وزير لخارجية الأميركي شارل آدم سميث إلى كارل ماركس، والتي نصت على المساواة بين البشر والدول، فكيف الحال إذا ذهبت إلى التفنن بممارسة التعذيب في سجونها، فمنظمات حقوق الإنسان رصدت 160 لوناً من التعذيب كان ضحاياه 300 عراقي وأفغاني، للحصول على معلومات في أسرع وقت ممكن، وصلت إلى تدنيس القرآن، وانتهاك العرض، والإطعام بالقوة عبر الأنف، والمنع من النوم، وتجاوزت استحصال الاعترافات إلى الترفيه عن النفس والتسلية!

طبع في أميركا عام 1963 كتاب "كوبارك" لتعليم فنون التعذيب، ويبدأ بعبارة "حتى تكون محققاً جيداً". يؤكد الكتاب أن أفضل وسائل التعذيب هي أن يقوم معتقل بتعذيب آخر، أو تعذيب نفسه، وهو المنهج الذي تم تدريسه لضباط الاستخبارات، ورجال مكافحة الثورات في أميركا اللاتينية، وقد تم اتباعه بكتاب آخر بعنوان "التدريب لاستغلال القدرات البشرية"، الذي سحب في عهد بوش من الأسواق بعد ترويجه في عهد ريغان. من الجدير بالذكر أن "مجلس الإشراف على الاستخبارات" أقرّ في عام 1996 بأنها تسامحت مع الابتزاز والانتهاكات البدنية والاعتقال الزائف.

لا ريب أن أميركا ليست أول دولة تمارس التعذيب، فقد استعرض المؤلف ألواناً من التعذيب عبر العصور، عند الرومان، ومعسكرات الاعتقال الألمانية، ومحاكم التفتيش الرهيبة، واليابان، وفيتنام، والعرب، والذي يظهر أنه ارتبط بأفراد، ولم يتحول إلى منهج وسياسة إلا حديثاً.

يرفض الباحث الإشاعة القائلة بحكر التعذيب على حكومات العرب والمسلمين، فمن المعروف أن الغرب هو الذي يصدر أدوات التعذيب الحديثة، وأهم هذه الأدوات هي "المخلعة" الإغريقية، والحصان" الموروث من محاكم التفتيش، و"السلم" الإسباني، و"الإطار" الألماني، و"اللولب الإبهامي" الأسكوتلندي، و"الحذاء" الضاغط الإسباني.

يعتمد الباحث على شهادات ناجين من غوانتانامو ليستنتج أن كثيراً من عناصر الموساد يشاركون في التحقيق والتعذيب، رغم أن المعتقلين لا يعرفون هويات المحققين، بدليل رفرفة العلم الإسرائيلي على بعض الثكنات في غوانتانامو، وأسماء معظم المحققين التوراتية.

الغريب أن فعل التعذيب يأخذ أسماء رومانسية وشعرية ذات صفة جمالية، ففعل التعذيب في الأرجنتين اسمه الرقص، وفي الفيلبين يعرف بحفلة عيد الميلاد، وفي اليونان اسمه حفلة الشاي. والأنين الناتج عن فعل التعذيب يعرف في البرازيل باسم "الهاتف"، وفي فيتنام اسمه "رحلة في الطائرة"، وفي بلد عربي يتجنب الباحث ذكر اسمه تقية؛ بساط الريح.. وترد الباحثة الألمانية حنا أرندت غياب ضمير المعذبين إلى عنصر طاعة السلطة بداية، ثم إلى آلية نفسية تعكس الغريزة، وتنكر مكانة الضحايا الإنسانية، وتحولهم إلى رموز.

يحض الباحث على مناهضة التعذيب متذكراً كتاب عالم الرياضيات فيري سيزار (عن الجرائم والعقاب)، الذي يتساءل عن جدوى التعذيب والعقاب، مقدماً حججاً رياضية على النحو التالي: هل يجب معرفة قوة عضلات المتهم وأعصابه، ولاسيما إذا كان بريئاً، ومعرفة حجم الألم المطلوب تحمله؟ وقد أدى شجب فولتير للتعذيب، وضرورة اعتراف المتهم بجريمته إلى منع التعذيب في بروسيا 1740 إلى أن وقعت في مدينة ستراسبورغ الاتفاقية الأوروبية لمنع التعذيب عام 1987، وقادت منظمة العفو الدولية حملة ضد التعذيب سنة 1998، كما أفضى انكشاف انتهاكات أبي غريب إلى اضطرار أميركا إلى إرسال فريق من ثلاثين مندوباً برئاسة المستشار جون بيلنجر للمثول أمام لجنة مناهضة التعذيب بالأمم المتحدة في جنيف، وقد أبدى الفريق قدراً من المكر والصفاقة يعكس تراجع المبادئ والقيم الأميركية على حساب توظيف أساليب التضليل والخداع للرأي العام في محاولة للجم المعارضة الشعبية، مما أدى إلى إعلان بعض المفكرين والساسة تشكيكهم برغبة الولايات المتحدة في نشر ثقافة الديموقراطية في العالم.

الكتاب: ليليت والحركة النسوية المعاصرة.

الكاتب: حنا عبود.

عرض: أحمد عمر.

إصدار مركز الراية للتنمية الفكرية - دمشق.

قصة ليليت (أمازونة ما بين النهرين)، أو أفروديت اليونانية، أو فينوس الرومانية، هي حكايتها مع القطب الآخر، أسطورتها هي أسطورة الحفاظ على حقوق المرأة والرجل معاً. فالمطالبة بالحقوق هي مطالبة بالحرية. ولدت ليليت في الألف الثالث قبل الميلاد في البانثيون السومري. اسمها يعني الهواء والنفس والروح والليل، الذي اقترن باسمها فصار اسمها يدل، بعد

سيطرة السيادة الذكرية، على العنف والظلام، فانقلبت سمعتها من مربية أطفال إلى قاتلة. ثم ارتبطت بالشجرة المحرمة والأفعى والبومة، التي انقلبت رموزها أيضاً، فالأفعى رمز الشفاء صارت رمزاً للفناء، والبومة التي ترمز للحكمة صارت ترمز للخراب.

لكن ليليت تختلف عن الأمازونات في البحر الأسود في أنها تستخدم العاطفة عوضاً عن السيف، وهي زمنياً أقدم من الأمازونات، كما أنها تجمع القدسية إلى الدنيوية. بحلول العهد الأبوي نفاها الذكر من عرشها قرب المهاد الطفولية إلى المقابر. وبالرغم من بطش الرجل بها، بقيت تحمل معالم الربة في كل آثارها الباقية: وجه جميل وقد ممشوق، وحوض واسع، ونظرة حنون.

يرى السرد اليهودي أن ليليلت هي الزوجة الأولى قبل حواء، أي أنها كانت ملتصقة بآدم التصاقاً، وفي ألف بائية ابن سيراخ توضيح لرفض ليليت الجنة، وهو امتناعها لطلب آدم بالاضطجاع. رفضها يبين تمسكها بالكرامة التي لا يوجد لها مثيل في آداب العالم. تروي السرديات اليهودية حكاية فرار ليليت إلى البحر الأحمر، وتشكيل رب اليهود لجنة من الملائكة لإقناعها بالعودة إلى آدم، فلم تنجح. وسارت إشاعات بأن ليليت تقتل الذكور قبل اليوم الثامن، أي قبل الختان اليهودي. إنها صورة الشيطان المؤنثة، فقد أضيفت تعويذة في العصور الوسطى تقول: يا آدم وحواء أبعدا ليليت عن أطفالنا ونسائنا، فظهرت ليليت "الصقوبة" (العاهرة) التي شاعت منذ القرن الثالث عشر، وصقوبة SUCCUBA تعني (الاضطجاع تحت) وهي انتقام لآدم من ليليت الأولى التي عصته، الحرب على السيادة. ثم تلتها صورة ليليت الدراكولا التي شاعت في ما بعد في السينما. تفسر السرديات غيرة الذكر منها لمعرفتها اسم الله الخفي السري، أو الأعظم، فلا يوجد مخلوق عرف اسم الله سوى المرأة بحسب الأساطير اليهودية والفرعونية، فإيزيس (ليليلت المصرية) تعرف اسم الله، وهي أسطورة تدل على محاولة المرأة استعادة سلطتها المفقودة، دليل ذلك زي رجال الدين النسائي الذي يدل على سلطتها القديمة.

تروي القبالة اليهودية أن آدم كان مزواجاً، على عكس الكاهن اليهودي مير، الذي يعتقد أنه كان تقياً، وأنه اعتزل العالم 130 سنة صائماً نادماً على الذنب، ولا توجد علامات سردية على توبة ليليت المتكبرة. وتروي "الزوهار" اليهودية أن ليليت قابلت الله، وهي سرديات تدل على تقديس المرأة اليهودية للربة ليليت. المانوية الفارسية تشير إلى ليليت أيضاً، فالزنبق هو الاسم الفارسي لها، وتأخذ وردة مريم العذراء اسماً آخر في الكوميديا الإلهية لدانتي هي وردة "الفردوس الناصعة البياض".

في اليونانية تأخذ ليليت اسم إليثيا، وتوجد دلائل قديمة على عبادة الربة إيليثيا أمنيسوس في جزيرة كريت، أما في ليبيا فتأخذ ليليت اسم ليا ابنة بيلوس، التي تعاملها الميثولوجيا اليونانية المتأخرة معاملة قاسية، بتصوير جذعها والأطراف على شكل أفعوان، وثدييها على شكل ضروع جاموس، وتطلق عليها لقب "آكلة لحوم البشر". رومانسية جون كيتس تتغنى بأفعى تقع في حب شاب جميل، فتتحول إلى حسناء فتان، وتظهر ليا الليبية في أحد المواقع النسوية المعاصرة على شكل خنثى.

وفي إحدى قصائد اليونانية "سافو" تأخذ ليليت اسم غيلو (الغول) التي تخطف الأطفال. في كل التاريخ القديم العفريت الذي يخطف الأطفال أنثى؟ وهذه دلالة على أن ملكية الأطفال كانت الموضوع الأول في مرحلة انتقال سلطة الأم إلى سلطة الأب. ليلى تشير إلى ليليت العربية، الذي ظل اسمها يتردد حتى أواخر العصر الأموي، وفي العصر العباسي تراجع أمام اسم زمرد. تغيّر تسريحة الجواري إلى الغلمانية لم يغير لحن أغنية يا ليل يا عين الذي ظل مستقراً.

في الغرب اجتاح اسم ليليت أوروبا كلها، فأغنية لحن المهد هي "لولابي" مشتق من اسمها. والسيريناده هي واحدة من أغاني المهد التي تشير إلى سيرينات الإغريق اللاتي كن يغوين البحارة بغنائهن الساحر، إلا إذا سدّوا آذانهم بالشمع كما في أسطورة الأوديسة. تشير أسطورة ساحرات سالم التي تعود إلى عام 1692 إلى أن اسم الساحرات ارتبط بالنساء. الاتهامات الظالمة التي لم تثبتها المحكمة الأميركية لم تغير صورة الساحرات الإناث في مدينة سالم الأميركية.

أهم تأويلات ليليت هو التأويل الجنسي الذي يقول بأن الجنس الأول كان خنثى، وبانفصال ليليت عن آدم بدأت ملحمة الدم البشرية. التأويل الفولكلوري لا يفلسف الأمور، ويقرّ بواقعية الأسطورة، ويضع التعاويذ والرقى على أسرة الأطفال وعتبات البيوت لدرء خطر ليليت الشريرة. التأويل القبالي اليهودي يجعل ليليت تجسيداً لبابل الخطيئة، مدينة العهر والفسق والتطاول على الله. التأويل النفسي الفرويدي يعزو إلى المرأة عقدة خصاء بسبب فقدانها عضو الذكورة، بينما يركز يونغ على القول بالأم الكبرى، أما بيير داكو فيقول بأن الرجل يمثل الخارج، أما المرأة فتمثل الداخل.

التأويل اللغوي عمل انقلاباً على سلطة الأم بحيل لغوية، فزوج الربة صار رب الربة. كلمة "إيلوها" التوراتية تعني الربة، وقد صارت "إيلوهيم"، قُلبت إلى رب الربة، وهي تعني حرفياً زوج الربة؟ وفي مصر الرب "سيت" إله العاصفة والصحراء يعني السيدة. لقد سطا على اسم ليليت المصرية بلا خجل.

ساعدت فلسفات "الوثنية الجديدة" على عودة ليليت إلى العالم المعاصر، وقيام الحركات النسوية؟ ولولا الثورة الصناعية لما سمعنا صوت المناضلة النسوية ماري ولستو نكرافت، وبيان حقوق المرأة الذي ظهر في عام 1792، ويذهب ماكس فيبر إلى أن المتدينين البروتستانت بترسيخهم علاقات الإنتاج الرأسمالية أعادوا المرأة من حيث لا يقصدون.

أما في الآداب الفولكلورية فترتبط المرأة بالحرب (حروب طروادة من أجل هيلينا)، وتدل التواريخ على أن المرأة مُنعت من المشاركة في الألعاب الأولمبية في العصر الذكوري، ولم تعد تشارك إلا حديثاً في عام 1912. وفي الآداب الحديثة يعتقد الباحث أن القصيدة كانت "قصداً" للذهاب إلى مكان الربة المقدسة ("والحبيب يزار" كما يقول جرير)، ويعتقد أيضاً أن كسبها المعركة من جديد يتم على حساب موقعها في الأدب، ودليل ذلك كتاب "مدينة السيدات" لكريستين دي بيسان في بداية القرن السادس عشر، وكتاب "أهالي بوسطن" لهنري جيمس ما بين 1885 ـ 1886، ورواية "المنذرين" لسيمون دي بورفوار. وربما كانت الفلسفة الماركسية أقوى الفلسفات التي انتصرت للمرأة في سبيل تحريرها كأداة إنتاج من يد البورجوازي، ولا تختلف الفوضوية عن الماركسية سوى برؤيتها في أن الإرادة الحرة هي التي تصوغ مجمل النظام الاجتماعي الحر. ولم تقصّر فلسفات كانط وكونت وهيغل ونيتشه وفرويد في الترحيب بعودة ليليت.

وظهرت أسماء في النشاط النسوي الحديث مثل كاتي ميليت (السياسة الجنسية 1970) وناقدات أمثال كارولين هلبورن، وساندرا جلبرت، وسوزان غوبار، وأنيت كولدوني، وأدريان ريتش، في أميركا، وقدمت الأسترالية جيرمين غرير ما يشبه الأيديولوجيا في كتابها (الأنثى المخصية 1970)، وفي فرنسا استبدلت مارغريت دورا، وهيلين سيكسو، عبارات FIRE MAN بدلاً من FIRE FIGHTER. وأنشأت الحركة النسوية المعاصرة مصطلحات جديدة في مجلتها مثل MS معارضة مصطلح MRS. واستعارت الحركة النسوية من الإسبانية كلمة "ماشيزمو" التي تعني المذكر كشتيمة. وفي الفلسفة اللغوية اقترحت سالي ميلر غيرهارت حملة ضد التستوستيرون (الهرمون المذكر) داعية إلى يوتوبيا أمازونات معاصر.

إن أغنية المهد (ياليل ياعين) هي أغنية ليليت الأم التي تتعدد أسماؤها: ليال، لولا، لوليتا، ليلي، ليليان، ليلى.. ويعتبر رسم اليد التي تتوسطها عين على وسائل النقل، والأبواب العربية، والخرزات الزرقاء، امتداداً لليليت سومر وأكاد.

تنحصر أسلحة الحركات النسوية المعاصرة في سلاحين: أولهما العودة إلى الأديان القديمة، فمئات المواقع النسوية تستعير أسماء الربات القديمة الوثنية، مثل ليليت، وعشتار، وإينانا،

وأناهيد.. والسلاح الثاني هو الجنس، أقوى أسلحة المرأة، ويجري باستعادة بابو (ممثلة الدعارة في فوست غوته) وإيزومي اليابانية (في الأساطير اليابانية تنبت حقول الأرز بضحكاتهن الماجنة) من أجل تجديد الحياة لا من أجل متعة الرجل. يبدو أن صراع الأنوثة والذكورة مستمر إلى الأبد.

ملف العدد

الثورات العربيـة

جماعة من الباحثين

الثورات العربية

جماعة من الباحثين

أعمومة

السياسة فن ماكر، طالما رفض التحول إلى علم. ولا تصدقوا بحال مصطلحات "علم السياسة"، والعلوم السياسية"، وما بينهما. ومن مكر السياسة تسللها إلى العلوم الإنسانية، والنفسية خصوصاً، وتسخيرها لخدمة السياسة ومشاريعها. وعندما نهرب من هذا المأزق، أو نتهرب منه، نجد أنفسنا في قلب السياسة.

هل تذكرون أن بداية خلاف لمحاور العربية انطلقت من انشطار المؤتمر العربي للطب النفسي قبل أن يبدأ من الخلاف حول الحرب على غزة؟

بدايتنا كانت من خلال الدعوة لسيكولوجيا نفسية وعلوم نفسية عربية تنطلق من الوقائع البيئية والثقافية العربية، ومن الأنثروبولوجيا المميزة للشخصية العربية. ولم يكن التصدي لدعوتنا هذه علمياً، أو ثقافياً، أو حتى صحافياً، بل كان سياسياً خالصاً، فتجاهلناه ما أتيح لنا التجاهل، رغم أثره في بيئتنا اللبنانية المتوترة، وهو ما يعرفه جيداً عديد الزملاء العرب. وتابعنا لغاية مجيء "المسيح الكاذب" بوش الابن الذي قسم العالم إلى محورين، واحد للشر، وآخر للخير، لنجد أنفسنا في محور الشر لمجرد انتمائنا للطرف السلبي في معادلة صدام الحضارات، وهربنا إلى الأمام عبر كتاباتنا في مجال الطب النفسي السياسي، وأحياناً عبر مقالات جدلية تجاري وقائع الأسر العقلي في محاولة للخروج منه.

بعض منا ينتقد غيابنا عن نشاطات وفعاليات الاختصاص في الفترة الأخيرة، وعذرنا أن التسمم السياسي تسرب إلى مجمل هذه النشاطات، بما فيها التحرك لعلاج مصدومي غزة، وغيرهم من المصدومين النفسيين العرب.

المشهد كان مخيفاً، وفيما كنا نتجادل حول التفاصيل والقشور، كان مشروع تغيير

الخارطة العربية، وحلف بغداد الجديد، جار على قدم وساق، على دماء الملايين من العراقيين والفلسطينيين واللبنانيين والصوماليين والسودانيين، وباقي العرب.

نأمل أن يكون هذا المشروع قد لفظ أنفاسه الأخيرة، أو أنه يلفظها في هذه الفترة، لأن نجاحه سيؤسس لصراعات أهلية عربية تمتد لقرن مقبل على الأقل. انظروا إلى الفتن المذهبية التي وصلت لصدام المالكية مع الإباضية في الجزائر لتدركوا هول التفجير الاصطناعي للأحقاد التاريخية المفترض خمودها.

بناء عليه، فإننا لم نقصد السلبية، أو نتقصدها، عندما دعونا للحفاظ على استقرار العالم العربي، ولو بحالته الراهنة المتناقضة، لأن أي تغيير سياسي في أية دولة عربية سيصب في مصلحة المشروع الأميركي المتوحش، وهذا الموقف وقائي، وليس سياسياً.

الثورات العربية في تونس ومصر خصوصاً بينت عدم صوابية موقفنا، إذ أثبتت هذه الثورات قدرتها على التغيير بدون الإخلال بالنظام، ودون إراقة الدماء، ودون تقديم هدية الفوضى للخارج. والفوضى هي مصدر رعبنا، خاصة عندما تأتي نتيجة للتحريض، فالتحريض لا يجلب إلا الفوضى، وهو يعمق الشقاق داخل البلد المعني، ويشطر فئاته، مهيئاً الأجواء للصدامات، وربما الحروب الأهلية.

وعلى أمل انطلاقة سيرورة ما بعد صدمة مشروع الشرق الأوسط الكبير، وعلى أمل ألا نصنع شقاءنا بأيدينا، فنكمل صراعاتنا بما يدعم إعادة إنعاش هذا المشروع، ورجاؤنا ألا يصل الشقاق السياسي العربي إلى عقر دار الاختصاص، وحسبنا أننا لم نشارك في هذا الشقاق بعد اعترافنا بعجزنا عن منعه.

الآن ماذا يمكن لاختصاص الطب النفسي والعلوم النفسية أن يفعله في مواجهة ديموقراطية الرغيف، وحرية المهاجر، وكرامة الخاضع للاحتلال، وغيرها من المفارقات التي تشكل ظواهر تغري بالبحث والدراسة، لكنها تطرح جدلية تتعلق بأخلاقيات الاختصاص. فإذا ما لجأنا لمبدأ "الفائدة في مواجهة المخاطرة" فإننا نقع في المحظور السياسي منذ طرح العناوين، بل ومنذ طرح الأسئلة. وإليك مثال ندرة البلدان العربية التي تجري فيها الانتخابات وفق المفاهيم الغربية، وأقل منها البلدان التي تقوم فيها الحكومات بممارسة دور السلطة التنفيذية، والأخيرة هي لبنان والعراق والسلطة الفلسطينية، والعنوان الذي يطرح نفسه: "ما هو دور الرغيف في انتخابات البلدان الثلاث؟"، أما السؤال فهو عن "مقدار الثقة بسيرورة الانتخابات في هذه البلدان؟". العنوان والسؤال، وبالتالي التفسيرات ممنوعة ومحظورة تحت طائلة "الحرم البطريركي".

إلا أن مجرد البحث في هذه المواضيع يقودنا، ومعنا الجمهور، إلى تنشيط الذاكرة

القريبة، وفي محتواها برلمانات عربية عديدة تحظى بشهادة الجودة ـ الآيزو الأميركية، وذلك انطلاقاً من تطابقها مع المواصفات الأميركية للديموقراطية المتجاهلة للهويات الحضارية، ومعها التراث والقيم والشخصية الثقافية، وهو ما يفسر اختيار المشاريع الأميركية لسماء من قاع المجتمع، كونه المكان الذي ينتج منفذين لهذه الشروط. والموضوعية العلمية تقود أي باحث موضوعي لإعلان عدم أحقية هذه الأسماء بمناصبها، عبر الجزم الموضوعي بعدم عدالة انتخابات تجرى في مثل هذه الظروف، وتحت هذه الشروط والتدخلات.

لقد غادرنا السيد بوش مخلفاً وراءه كوارث امتدت من العراق، إلى جواره، ومن الجوار إلى أرجاء وطننا العربي، وهاهو السيد أوباما يقول لنا "سوري"، ويكفينا ذلك، فهو يعد بالانسحاب من العراق.

ولكن من يعالج المصدومين العراقيين، وآثار الصدمة والترويع الممتدة إلى أرجاء المنطقة؟ ومن قال إن الكوارث توقفت؟ وفي ظل أية ديموقراطية يتم العلاج؟ وهل تدخل الوقاية من الحروب الأهلية ضمن الاختصاص؟ إنها الأسئلة المحظورة إذ يحق لنا فقط أن نتكلم عن التطرف الديني الإسلامي، وعن الحريات بمفهومها الأميركي، كما عن المعاناة الناجمة عن السن، أو الخاصة به، بالإضافة إلى النظريات الخالصة.

منذ فترة، ونحن لا نجد من يسمعنا، ولا من يكترث لتحذيراتنا، ونواصل السؤال "من يغلق صندوق الشرور والفتن "صندوق باندورا" التي فجرت في مجتمعاتنا منطلقة من العلوم النفسية الموظفة في خدمة السياسة؟ وهل يمكن تفجير التناقضات الجمعية دون دراسة العقل الجمعي؟

فهل نعدد الحروب الأهلية السافرة، أم المستترة، أم المهددة بالاندلاع؟ أم ندعو لإطفاء الفتن العامة، أم البينية العربية، أم المذهبية، أم الطائفية؟ وقبلها، هل نعالج الضحايا الذين يعدون بالملايين، أم نتخذ الموقف الوقائي من الكوارث القادمة؟ أم نقبع في أبراج الاختصاص العلاجية، ونكتفي بعلاج من يعتبرون مرضى، ونحن لم نعد قادرين على تمييزهم؟

القاعدة تقول: إنه في زمن الكوارث على الاختصاص النفسي أن يترك لممثلي الأمن والنظام مهام طمأنة الجمهور وإشعاره بالأمان، فالأمان هو العلاج الجمعي في هذه الحالات.

ولكن، ماذا نفعل ونحن نشهد ممثلي الأمن وهم يعمقون مشاعر القلق والكارثة لدى الجمهور؟ وفي بعض الحالات يستضيفون أطباء نفسانيين على الفضائيات لإقناع الجمهور بأن كارثته كبيرة وغير ممكنة التجاوز، وأن عليه أن يضاعف قلقه كي يدافع عن مستقبل جماعته واستمرارها!

في الثمانينيات، علقت عضوية الاتحاد السوفياتي في الجمعية العالمية للطب النفسي لأسباب

تافهة بالمقارنة مع إساءة الاستخدام العربية الحالية للاختصاص واليوم، لا نجد أية مراجعة أخلاقية لتوظيفات الاختصاص، حتى بات الاختصاص أداة لتوليد مشاعر الكراهية البينية، وتفجير تناقضات الجماعات، ووضعها في حالة مواجهة. ونعني أنفسنا من سرد الأمثلة، كونها خاصة في كل بلد عربي على حدة.

لهذا نستمر في إطار المسموح، مبتعدين عن المحظورات، في انتظار كوارث جديدة قادمة بعد أن فتح مجرم حرب صندوق باندورا، وبعد أن ينجو خليفته بعبارة "سوروري" ها نحن ننسحب، ولتستمر الشرور والكوارث من بعدنا". وقبل قبول الاعتذار نود أن نقول بأننا ندرك أن "قادة المجتمع" المتخلفين عن فترة مجرم الحرب بوش يشكلون المقدمة الحقيقية للاعتذار الأميركي، فهل يعتذرون؟!

الإعتذارات مستبعدة بعد أن لحس الرئيس أوباما كل وعوده للعرب، ومعها وعود خطابه في القاهرة، مضيفاً لكل ذلك استخدام الفيتو ضد مشروع إدانة الاستيطان الإسرائيلي، وغيرها من خطوات التراجع التي تؤكد أن أوباما قال كلمة "سوروري" للعرب والمسلمين على سبيل اللياقة، وليس على سبيل الاعتذار.

في ما يلي نعرض لمنتخبات من القراءات النفسية للثورات العربية المنطلقة من تونس ومصر لتبلغ أطراف الوطن العربي وقلبه. ونعرض في ما يلي للقراءات التالية:

1. حول قابلية الدول العربية لحضانة الثورات.
2. ثورة 25 يناير ومكامن الخطر.
4. انهيار الأنظمة السياسية يحتم مراجعة الأنظمة الفكرية.
5. اليقظة العراقية.... هل اكتملت شروطها؟!
6. مصر تعيد للعروبة ألقها.
7. مفهوم الهوية من منظور النظرية النفسية التحليلية.
8. الخير والعزة والسداد للشعوب العربية البطلة.

حول قابلية الدول العربية لحضانة الثورات

د. محمد أحمد النابلسي

رئيس المركز العربي للدراسات المستقبلية

http://mostakbaliat.com/

رصد المزاج العام عملية تقع على الحدود بين السياسة والعلوم الإنسانية، وبخاصة علم النفس وعلم الاجتماع. فيما نفضل شخصياً اعتبار هذه العملية واحدة من وجوه استغلال السياسة للعلوم الإنسانية، وعملية الرصد هذه تجري عادة بطريقة آلية روتينية إلا أنها تطرح ضرورة التعمق في متابعتها للرأي العام في الحالات المفصلية كمثل تعرض المجتمع لمواجهات داخلية، أو خارجية، تتطلب تضحيات الجمهور، والتأكد من ملكيته للدوافع المؤكدة لاستعداده لتقديم تضحيات مماثلة.

الثورات العربية المتلاحقة بينت تعكر المزاج العام في هذه الدول، وربما تعكر المزاج العربي العام بدليل تلاحق التحركات وانتشارها الوبائي السريع في غالبية الدول العربية، إذا لم نقل كلها. كما أن اندفاع الشارع العربي لتأييد هذه الثورات يؤكد تعكر المزاج العام لهذا الشارع، وصولاً لتبنيه مبدأ التغيير بعض النظر عن تهديدات الفوضى التي قد تصاحب، أو تعقب التغيير.

الأنظمة العربية كافة تبحث هذه الأيام عن الوسائل الأكثر فعالية لرصد المزاج العام لجمهورها، وأهم منها تشخيص قابلية النظام لحضانة ثورة قد تؤدي إلى نهايته وسقوطه، ذلك أن وسائل الرصد التقليدية لتوجهات الرأي العام ومزاجه لم تعد صالحة في هذه اللحظة السياسية العربية التي تشهد انفعالات تطلق معها القناعات الضمنية التي يخفيها هذا الجمهور عادة، ما يجعلها خارج مجال رؤية وسائل الرصد التقليدية.

المسألة هنا تدخل في إطار الطب النفسي العسكري والأمني، وتقتضي استقراء تجارب هذا الفرع على ضوء معرفة مكتملة بأنثروبولوجيا الدول العربية المعنية، حيث المراكز الأميركية التي تتولى أغلب عمليات الرصد هذه جاهلة تماماً لهذه المعطيات الأنثروبولوجية، وهو جهل أكدته التجربة الأميركية في العراق.

البعد الثالث. الزاوية الميتة

في هذه الحالات الانفعالية الجماهيرية تضمحل أهمية النتائج القائمة على الرصد ثنائي البعد القائم على مبادئ ثنائيات العنف/ الضحية والنظام/ التمرد، وغيرها من الثنائيات، إذ

تحتاج الدراسات لأوضاع مماثلة إلى البعد الثالث الذي يجعلها مكتملة وقادرة على إظهار الرؤية الهولوغرافية لهذه الأوضاع. ويتمثل هذا البعد الثالث بأسلوب معايشة الجمهور للحظة السياسية ـ الاقتصادية المنتجة للأحداث. إنها الزاوية الميتة (المسافة غير المرئية في مرآة الرصد) التي يتم تجاهلها في العادة.

هنا تعجز أساليب الرصد التقليدية عن مقاربة هذا البعد الثالث، الذي نعطي عليه مثالاً أحد أهم الأحجيات العلمية التي طرحت على صعيد الطب النفسي العسكري، حيث سجّل الأطباء الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى ردود فعل كارثية لدى الجنود الألمان من نوع الهيستيريا، ومنها داء الارتجاف الهيستيري، أما في الحرب العالمية الثانية فقد سجل هؤلاء الأطباء ردود فعل كارثية سيكوسوماتية لدى الجنود الألمان من نوع القرحة وارتفاع ضغط الدم، وغيرها من ردود الفعل السيكوسوماتية. وطرح السؤال هنا: لماذا تبدلت ردود فعل الجندي الألماني، واختلفت بهذه الصورة؟

واختلاف ردود الفعل أمام الكارثة يعكس اختلاف معايشة الجنود لضغوط الكارثة المتمثلة بالحرب، وخطر الموت خلالها، واختلاف المعايشة في هذه الحالة هو تحديداً ما نقصده بالبعد الثالث.

لقد سجلت الملاحظات الطبية انتشار داء الارتجاف الهيستيري بين الجنود الألمان خلال الحرب العالمية الأولى، بحيث كان يعفيهم عن مواصلة القتال، فيما أثبتت الفحوصات الطبية الدقيقة غياب أية خلفية عضوية لهذا الارتجاف. وبينما كان الأطباء العسكريون الألمان يتوقعون مواجهة داء الارتجاف مجدداً في أوساط جنودهم، فوجئوا بغياب هذا العارض نهائياً في مقابل ظهور أمراض واضطرابات من النوع النفس ـ جسدي بين الجنود، وهي إصابات يمكن تبريرها بالشدة المصاحبة للمعارك.

بعد دراسات مقارنة معمقة تبين للأطباء النفسيين العسكريين أن مستوى التحشيد القومي في الحرب الأولى كان ضعيفاً، وأن الجنود لم يكونوا محرجين من الانسحاب من ميدان المعركة لأي سبب كان، أما في الحرب الثانية فقد كان مستوى الاندفاع القومي عالياً، ما جعل الجنود يخجلون من الانسحاب، ويتحملون شدائد المعارك لغاية إصابة بعضهم بردود الفعل الجسدية الناجمة عن هذه الشدائد، ذلك أن الجنود الألمان دخلوا الحرب الثانية لإزاحة الظلم اللاحق بألمانيا نتيجة معاهدة فرساي، مع ملاحظة أن الفارق بين الحربين كان عقدين من الزمن فقط، حيث شاركت أعداد كبيرة من الجنود الألمان في الحربين معاً، لكن المختلف هنا كانت معايشة هؤلاء الجنود لظروف الحرب، واقتناعهم بمبرراتها وضرورتها.

مثال آخر على أثر معايشة اللحظة الاقتصادية ـ السياسية هو الاتحاد السوفياتي، ومعه أوروبا الشرقية التي شهدت نهاية ثمانينيات القرن العشرين تبدل اللحظة الاقتصادية ـ السياسية، فانفجرت فيها الصراعات، وانتشرت حركات التمرد والثورات الملونة. ومع تسجيلنا لأهمية دور المخابرات الأميركية في تحريك هذه الثورات ودعمها، فإننا نلاحظ أن هذا التدخل كان متواجداً بصورة أكثر كثافة خلال في السنوات السابقة، لكنه لم يكن يتمتع بالفعالية، وإنما هو استمد فعاليته من تغيرات اللحظة الاقتصادية ـ السياسية، ومعها تغيرات أساليب المعايشة لدى شعوب تلك البلدان.

وتأكيدنا على هذا المثال يعود إلى محاولة اختصار البعد الثالث، وتجنب الخوض فيه عبر طرح نظرية الدومينو السياسي، التي تبين أنها صالحة للتطبيق في الحالة المعروضة، كون جميع الثورات الملونة اتجهت نحو أنظمة تعتمد نظام حكم عقائدي بعد سقوطه، وهو ما لا ينطبق مثلاً على الدول العربية، حيث يشكل الإسلام أحد ركائزها السياسية غير القابلة للتجاوز، عداك عن الاختلاف الجذري في التوجهات السياسية للأنظمة العربية الحاكمة.

التصنيف الهولوغرافي للكيانات العربية

لو دققنا النظر لوجدنا أن الاضطرابات السياسية في المنطقة العربية انطلقت من الكيانات التي ظهرت كنتيجة مصطنعة للحرب العالمية الأولى (بلاد الشام التاريخي ولبنان أضعف حلقاتها). فالتغيرات الجغرافية التي حصلت عقب هذه الحرب لم تكن مجرد تغيير في اللحظة الاقتصادية ـ السياسية، بل كانت تغييراً مصطنعاً في تاريخ الزمن، دون أن يعني ذلك أن بلدان التوازن والازدهار العربية في منأى عن الاضطرابات السياسية في المستقبل، خاصة وأن الاستعمار ترك معظم الدول العربية دون تحديد دقيق لحدودها البرية والبحرية، بحيث تبقى الخلافات الحدودية مصادر تهديد دائم لاستقرار هذه الدول.

وما يصح في المنطقة العربية يصح على مناطق العالم، بما فيها الولايات المتحدة الأميركية، إذ إن حوادث لوس أنجلوس (1991) ولغاية حوادث سينسيناتي (2001) هي إنذارات باحتمالات نشوب الاضطرابات السياسية لغاية الحرب الأهلية الأميركية إذا ما تغيرت اللحظة الاقتصادية ـ السياسية الراهنة في أميركا. وبالعودة إلى المنطقة العربية يمكن توزيع كياناتها السياسية على الفئات التالية:

أ ـ الكيانات المنفصمة Schizoide: وهي الكيانات التي تعاني تناقضات عرقية و/أو دينية و/ أو فكرية. وهي تهدد بانفجار نوبات عنف من نوع الشيزوفرانيا الاقتصادية ـ

السياسية المتمثلة بتفاوت تمييزي بين فئاتها المتناقضة، وهو تفاوت يتعلق بالحقوق والواجبات ومستويات الدخل، ويمكنه أن يؤدي إلى نشوب الحروب الأهلية وعمليات العنف والاغتيالات، وغيرها. وتصنف في هذه الفئة كل الدول التي سبق لها وأن شهدت حروباً أهلية، بما فيها تلك المؤدية لتوحيد هذه الدول (لبنان وسوريا واليمن والجزائر والأردن والسعودية والبحرين عربياً والولايات المتحدة وإيرلندا وبلجيكا عالمياً).

ب ـ الكيانات الانهيارية Depressive: وتعاني من تهديد هويتها وشخصيتها القومية مما يدفعها إلى اليأس، بحيث يمكنها أن تعمل على إيذاء ذاتها والآخرين بطريقة عشوائية، وصولاً لقيام الأفراد بارتكاب أعمال انتقامية ضد العدو المفترض حسب اللحظة الاقتصادية ـ السياسية. وهي حالة العراق بعد الاحتلال، كما ينطبق هذا التصنيف على مصر تحت إدارة مبارك التي تبنت توجهات سياسية تهدد الهوية المصرية، فتجلى تمرد الأفراد عبر أيمن الظواهري وأتباعه من مواطنيه ليعود فيتجلى في الثورة المصرية التي هدفت إلى تثبيت الهوية المصرية، وهو ما تؤكده توجهات قيادات هذه الثورة، كما تصنف ثورة تونس، ومعها دول موريتانيا والمغرب وجزر القمر، في هذه الفئة.

ج ـ الكيانات الهوسية Manic: حيث يتظاهر الصراع من خلال هوس التطرف القومي، أو العرقي، أو الديني، هذا الهوس الذي يتفشى بداية في مجموعات صغيرة نسبياً قابلة للاتساع، وهذه الكيانات تملك القوة غير العادية التي يتمتع بها المهووس. ورغم تعددية الكيانات العربية القابلة للتصنيف في هذه الفئة إلا أن الإحباطات العربية المتوالية والحصار الاقتصادي المفروض على هذه الكيانات، وانفتاح بعضها اللامشروط على السياسات الأميركية، يؤجل تصنيف أي كيان عربي في هذه الفئة، غير أن اندلاع الثورة الليبية، وسلوك النظام إزاءها، يوحي بالعودة لتصنيف ليبيا ضمن هذه الفئة الهوسية.

د ـ الكيانات الهيستيرية Hysteric: حيث لا خلفيات أمراضية حقيقية، وإنما هو الصراع على السلطة، أو على السيطرة على المنافسين الآخرين، وعلى مقدراتهم، وتدرج في هذه الفئة بلدان مجلس التعاون الخليجي باستثناء السعودية والبحرين. وتتنافس على صدارة هذه الفئة كل من دولة قطر وإمارتي دبي وأبو ظبي.

في هذه الحالة علينا أن لا نهمل مسألة الإغواء الهيستيري، ونجاحاته في السيطرة على الآخرين، حيث يمثل اليمن الموحد الحالي أحد أهم الأمثلة العربية على هذه الكيانات، كما أن علينا ألا نهمل احتمالات بداية الذهان تحت ستار الهيستيريا، بمعنى تحول

الكيان اليمني الموحد من هيستيري إلى واحدة من الفئات سابقة الذكر.

تشخيص قابلية الدول لحضانة الثورات

يقودنا التصنيف المعروض أعلاه إلى طرح ملاحظات مبدئية عديدة في عملية "تشخيص قابلية الدول العربية لحضانة الثورات"، وهذه الملاحظات هي التالية:

1 ـ ضرورة التشخيص التفريقي بين كل من الحالة السعودية والبحرينية، وبينهما وبين كل من الإمارات والكويت وقطر، بما يعني وجود اختلافات بنيوية بين هذه الدول يستتبع اختلاف قابليتها لحضانة الثورات الداخلية الافتراضية.

2 ـ قابلية بعض الدول العربية للمراوحة بين فئة تصنيفية وأخرى، اعتماداً على سلوك نظامها السياسي الحاكم، كما بحسب انتمائه للجماعات المتناقضة المكونة للدولة.

3 ـ عدم قابلية قائمة من الدول العربية لحضانة الثورات الافتراضية، بحيث يتحول أي تحرك سياسي فيها إلى صراع بين مكوناتها المتناقضة، حيث نلاحظ تحول الثورة البحرينية إلى المذهبية، والثورة اليمنية، ومثلها الليبية، إلى القبائلية. وهذه الملاحظة تسمح باستبعاد الدول المدرجة في فئة المنفصمة، وهي لبنان وسوريا واليمن والجزائر والأردن والسعودية والبحرين، لكن مع الإشارة إلى أن مناعة هذه البلدان تجاه الثورات الافتراضية لا تعني مناعة أنظمة الحكم فيها تجاه الاضطرابات السياسية الأخرى.

أما عن بقية عناصر التشخيص التفريقي لقابلية حضانة الثورات الافتراضية فهي:

1 ـ تحديد البنية الأنثروبولوجية الأساسية للدولة المعنية مع تعريف عناصر الاختلاف بين جماعاتها المكونة، من عناصر طائفية، أو مذهبية، أو عرقية، أو قبائلية، أو غيرها.

2 ـ تحديد التوجهات السياسية الاعتيادية للدولة المعنية، بما يتضمن تحديد تموقعها في التوازنات الجيوسياسية القائمة في المنطقة.

3 ـ تحديد اتجاهات إعادة تموقع الدولة في التغيرات الطارئة مؤخراً على التوازنات الجيوسياسية في المنطقة، وتحديداً الموقف من الاندفاعة الجيوسياسية التركية الأخيرة في المنطقة، باعتبار هذه الاندفاعة أحد المولدات الرئيسية للثورات العربية، عبر إحيائها للطموحات الكامنة في الشارع العربي.

4 ـ تحديد علائم السلوك السياسي الراهنة ورصد حدوث متغيرات سريعة طارئة في هذا السلوك، مثال ذلك متغيرات سلوك النظام المصري في الفترة الأخيرة مضافة لمتغيراته السابقة، وأيضاً انقلاب السلوك السياسي الليبي المفاجئ تجاه الولايات المتحدة والغرب عموماً.

5 ـ نمطية علاقة النظام الحاكم في الدولة بجمهوره ومقدار مجاراته لتوجهات الشارع العربي، حيث تعتبر سيولة التواصل بين الحاكم والمحكوم عنصر مناعة وقائية، وحيث تعتبر مسايرة النظام لمشاعر الشارع العربي جواز مرور للقبول العربي بالنسبة لمواطني الدولة. وتزداد أهمية هذا القبول العربي الأوسع في حالة الدول العربية الفقيرة التي يتوزع مواطنوها للعمل في دول عربية أخرى. مثال ذلك تحميل نظام مبارك مسؤولية ازدراء المصريين العاملين في الدول العربية (سواء بسبب لا شعبية مواقف النظام، أو بسبب إهماله الدفاع عن حقوق مواطنيه). وهي مسؤولية شكلت أحد محركات الثورة المصرية، التي ظهرت آثارها قبل تنحي مبارك عبر تغيير لهجة الشارع العربي إزاء مصر والمصريين.

الاستراتيجية العلاجية الوقائية من الثورات

لابد لهذه الاستراتيجية من أن تستند إلى معرفة وثيقة بهيكلية الاضطراب السياسي وعلاقتها بالثغرات الهيكلية في النظام السياسي، وكذلك علاقتها باهتزاز هيبة النظام، وتعرضه لوضعيات التنازل القسري والتهديد الخارجي، وغيرها من عوامل المساس بهيبة النظام وإظهار عجزه بما يفقده القدرة على طمأنة الداخل بتأمين حمايته وحماية البلد ومواطنيه، ونختصر خطوات الاستراتيجية المقترحة على الوجه التالي:

- مشاعر الاضطهاد الشعبي، وهي أولى المظاهر التي تستوجب العلاج، إذ تنطلق الاحتجاجات ضد النظام من تعميم وضعية الضحية بين مواطني الدولة المعنية، وهي وضعية بارانويائية بمعنى الكلمة، تترافق مع المشاعر الاضطهادية التي تدفع بشارع الدولة المعنية نحو توقع الأسوأ لمصير بلاده ومصيره الشخصي. هذا وتتضاعف انعكاسات هذه المشاعر وقدرتها على التسبب بالاضطراب السياسي، بقدر كونها مشاعر واقعية تعكس معاناة الجمهور الفعلية من أوضاع حياتية ومعنوية صعبة وممكنة التوصيف بأنها اضطهادية.
- تفاقم رغبات الانتقام الشعبية والانتقام هو ردة الفعل الطبيعية للمظلوم تجاه الظالم حتى في الحالات التي يكون فيها الظلم متخيلاً وغير واقعي.
- مشاعر الهشاشة النفسية والاجتماعية، حيث الإحساس بالتهديد، ومعه الشعور بالاضطهاد والاستهداف، الأمر الذي يشعر الشخص بتعجيل موته، فتنفجر لديه الوساوس المرضية، لكنه يعجز عن تعقيلها بإدراك طبيعتها الوسواسية، فيتحول خوفه

من المرض إلى خوف من الجنون، ثم يتراوح المريض بين الخوف من الموت والخوف من الجنون. هذه الهيكلية الأمراضية المختصرة هي التي نصادفها في عيادة الصدمة، أما عن تعقيداتها فهي متشعبة، ويمكننا اختصارها بـ:

أ ـ تعقيدات سيكياترية: تتظاهر على الصعيد الجمعي، عبر الانتشار الوبائي لظواهر غير مألوفة في المجتمعات المعنية، كمثل ظواهر انتشار إدمان المخدرات والمسممات، وظواهر السلوك الغرائزي الخارج على مألوف التحفظ الاجتماعي المعتاد، وظاهرة الدعارة الحلال، وغيرها.

ب ـ تعقيدات سيكوسوماتية: وتتظاهر بضغوط غير مألوفة على الخدمات الطبية مصحوبة بشكاوى أمراضية غير اعتيادية، وغير مصنفة في إطار المراجعات الطبية التقليدية.

ج ـ تعقيدات اجتماعية: تتظاهر بحالة التململ وعدم الرضى عن مستوى الرعاية والأمن الاجتماعيين، مصحوبة بكشف حساب قديم عن حالات الظلم الاجتماعي والفساد، مع لامبالاة فردية تجاه المسؤوليات الفردية، والاستعداد لإزاحة التهم عن مسبيها الحقيقيين نحو السلطة، باعتبارها اللاعب العاجز في مواجهة المسببين الحقيقيين.

بهذا ننهي حديثنا عن المواقف الاعتيادية والمفاجئة لضحايا الصدمة والتغييرات الاجتماعية الناجمة عن الصدمات المعنوية الجماعية التي تمس بالمجتمعات وبهيكليتها، ونحن نتساءل عن مدى التزامنا بالقسم الأبقراطي، وعن الضوابط الأخلاقية القابلة للتعميم، والتي تحدد دور الطبيب النفسي في حل الصراع، وفي التدخل في الحالات الكارثية.

انهيار الأنظمة السياسية يحتم مراجعة الأنظمة الفكرية

البروفيسور: مروان دويري
admin@marwandwairy.com

لا يستطيع أحد أن يدعي أنه استطاع التنبؤ بانهيار الأنظمة العربية على الشكل والتوقيت الذي نشاهده في هذه الفترة. إذن، فإن الأنظمة النظرية التي قرأنا بواسطتها المجتمعات والأنظمة السياسية العربية كانت عاجزة على فهم وتنبؤ السيرورات السياسية والاجتماعية. وعليه، فإننا مطالبون اليوم بمراجعة وتعديل الأنظمة النظرية لتستطيع قراءة وتنبؤ الأحداث، وقادرة على التوجيه إلى سبل التأثير على السيرورات الاجتماعية والسياسية.

"السلطة البطركية" أمام "سلطة الشعب":

يكاد يكون إجماع في الأدبيات التي درست وحللت المجتمع العربي على أن السيرورات السائدة فيه هي سيرورات تحركها سلطة "أبوية" غالباً ذكورة في الأسرة والحزب والمجتمع والدولة. طبعاً لم يكن باستطاعة هذه النظريات التنبؤ بما سيحدث من سقوط الأنظمة السياسية البطركية القامعة اليوم، والتي هي سيرورات ثورية شعبية دون قيادة، أو سلطة بطركية. ثورة عارمة، لكنها غير منفلتة، بل خاضعة للانضباط الذاتي لكل فرد مشارك فيها، وجميعهم يسيرون نحو هدف واحد. الانضباط الذاتي قاد جماهير هذه الثورة نحو الهدف، وكان هذا الانضباط أقوى من الضوابط الخارجية التي وضعتها الأنظمة السياسية على مدار عقود من الزمن. عجز النظرية البطركية عن التنبؤ بوقوع هذه الثورات يحتم علينا مراجعة هذه النظرية.

من المبكر طبعاً "تأبين" النظرية البطركية، إذ إن السيرورات البطركية مازالت فاعلة في مجتمعنا، لكن الجديد هو أن ندرك أنه بالإمكان وقوع سيرورات ثورية فردية، أو جماعية، تتحدى وتهدد المؤسسات البطركية. ومن شأن مثل هذا الإدراك أن يجعل السلطات البطركية تعيد حساباتها، وبالتالي سلوكها، من جهة، ويجعل الناس تتجرأ أكثر على تحقيق ذواتها الفردية والجماعية متحدية السلطة البطركية في الأسرة والمدرسة والعمل والحزب والدولة، من جهة أخرى.

"الظروف القاهرة" أمام "الإرادة":

هنالك نمط سائد لدى الناس يعزون فيه سبب معاناتهم لظروف قاهرة في البيت والمجتمع والدولة، وهكذا يبقون في حالة عجز دون ممارسة سيادتهم على نفوسهم لاختيار الطريقة التي يريدون فيها مواجهة هذه الظروف بواسطتها. وهذا النمط من التفكير يستبعد دور الإرادة والإيمان بقدرات الفرد أو الناس في التغيير. وإذا عدنا للثورات التونسية والمصرية والليبية نجدها تحركت ليس بفعل تغيير غير عادي في الظروف، إذ لم يقع أي حدث مؤسس للثورة التونسية، وبعدها المصرية والليبية، وغيرها. التغيير الأساسي الذي وقع هو تغيير في الوعي الذي شمل إيمان الناس بقدرتهم على التغيير، وجرأتهم على تفعيل إرادتهم، واستعدادهم لدفع ثمن هذا القرار. طبعاً لا يمكن التغاضي عن تراكم أثر الاضطهاد والقمع على مدار عقود، أو التغاضي عن تأثير نجاح الثورة التونسية على بقية الثورات، لكن الأثر التراكمي كان قائماً قبل سنة، وقبل عقد من السنين أو أكثر، ومع هذا لم تقع الثورات حينها. ودون التقليل من

أهمية القمع المتراكم، لابد لنا أن ندرك أن هنالك "أداة"، أو طاقة، منسية عادة، اسمها "الإرادة"، أو السيادة على الذات. أقول منسية، لأنها كانت قائمة قبل سنة، وقبل سنين، وكان بالإمكان تفعيلها وإحداث الثورة في وقت مبكر، إلا أن الشعب لم يكن يعي قوة إيمانه وإرادته.

حين نعود ونتذكر قوة هذه الإرادة أمام أي مأزق نواجهه في حياتنا الشخصية والاجتماعية والسياسية نستطيع عندها الاهتداء إلى بدائل مواجهة جديدة وفعالة لهذه الظروف التي اعتبرناها قاهرة. حالة العجز ليست حالة موضوعية، بل ذاتية تتعلق بقراءتنا لواقعنا وبقراراتنا. وحين يدرك معلمو المدرسة أنهم يملكون إرادة، ويكونون جاهزين لتحمل نتائج قراراتهم، ودفع الثمن، تتحول الظروف القاهرة التي يشكون منها إلى ظروف خاضعة لإرادتهم، وحين يدرك مواطنو بلدة معينة أنهم يملكون إرادة، ويكونون مستعدين إلى دفع الثمن، عندها يستطيعون تغيير واقع بلدتهم، وحين ندرك نحن المواطنين العرب في إسرائيل أننا أسياد أنفسنا، ونملك إرادة، ومستعدون لدفع ثمن قراراتنا، عندها نستطيع قهر الواقع السياسي وتغييره.

ثورية "الأحزاب" أمام ثورية "الناس":

طالما اعتقدنا أن التغيير يحدث من خلال أحزاب ثورية تحشد الجماهير خلفها من أجل إحداث تغيير في النظام، وطالما انتظرنا تحرك الأحزاب، ولم تتحرك، وبقينا في امتعاضنا. هذه قناعة يجب إعادة النظر فيها على ضوء ما يحدث في العالم العربي، ليس أن أحزاب المعارضة في تونس ومصر لم تكن وراء التغيير، بل كانت أحزاباً إصلاحية، وجزءاً من النظام السائد، ولم ترتق إلى مستوى تطلعات الجماهير، كانت الأحزاب قيادة مذنّبة للجماهير، ولم تكن في الطليعة.

إذا نظرنا إلى دور الأحزاب العربية نراها أيضاً لا ترتقي لمستوى تطلعات الناس، كونها تسبق الناس في شعاراتها، لكنها تتخلف وراءهم في فعلها. دون إلغاء دور الأحزاب، علينا أن نعيد النظر في التعويل المفرط عليها، وعدم انتظارها لتتحرك، بل نتيح لأنفسنا أفراداً وجماعات وجمعيات أن نتحرك في مختلف الدوائر المحلية والقطرية.

"المختلف عليه" أمام "المشترك المتفق عليه":

ما جعل الثورات العربية تنجح هو أن الناس غلّبت القضية العامة المشتركة، إسقاط النظام، على جميع الخلافات الفئوية والأيديولوجية والشخصية. في واقعنا العربي في إسرائيل

تصرف طاقات هائلة على الاختلافات والخلافات بين الأحزاب وبين الفئات والطوائف كلها على حساب القضية المشتركة العامة. يجري استعمال الديموقراطية والحق بالتعبير في الأساس لمقارعة الآخر الأقرب بدل استعمال هذا الحيز للتحالف مع الطرف الأقرب من أجل القضايا المشتركة ومقارعة الآخر الأبعد.

على التيارات المتصارعة في العالم العربي أن تغلب القضية المشتركة فوق كل الخلافات والتمايزات، وتنحية المصالح الحزبية والفئوية والشخصية جانباً.

"قوة السلاح" أمام "قوة الحق والأخلاق"

ما شاهدناه في تونس ومصر وليبيا هو انتصار لجمهور أعزل من السلاح، لكنه مدجج بالحق والأخلاق والإصرار. لقد رأينا مثل هذه المعادلة في الانتفاضة الأولى أيضاً. هنالك ضرورة لدمج فكرة "قوة الحق والإصرار الفعال" ضمن منظومة تفكيرنا لكي ندرك أن المعركة لا تتطلب دائماً مواجهة السلاح بالسلاح، بل أحياناً يمكن مواجهته باللاسلاح، والإصرار الإنساني الفعال على الحق، والاستعداد لدفع الثمن. وفي كثير من الأحيان يكون هذا الأسلوب هو الأنجع في مقاومة السلاح، بل وأحياناً، وفي غياب توازن بين القوى العسكرية للفريقين، تكون مقاومة السلاح بالسلاح عملية تضر بالفريق الأضعف. إن ما شهدناه في الدول العربية يحتم علينا إعادة النظر بمفهوم "المقاومة"، دون التقليل من أهمية ودور من يطلق على مشروعه مشروع المقاومة، علينا أن ندرك أن المقاومة غير المسلحة تكون أحياناً هي المقاومة الحقيقية المجدية.

"قضايا الخبز" أمام "قضايا الحريات":

بالرغم من الظروف الاقتصادية التي عانت منها الشعوب العربية نتيجة الأنظمة القامعة، إلا أن المطلب الأساسي الذي طرحته الشعوب العربية هو مطلب الحرية: إسقاط النظام والمشاركة في اتخاذ القرار. لا أعتقد أن التغيير الثوري كان يمكن أن يحصل لو انحصر مطلب المتظاهرين بتحسين ظروفهم المعيشية. كذلك هذا أمر جديد يجب أن يدخل منظومة تفكيرنا. الحرية ليست فقط أداة لتحقيق المطالب المعيشية، بل هي قيمة ومطلب أعلى لا يمكن للحياة الكريمة أن تتم بدونه.

إذا أدخل الأهل والمربين مفهوم الحرية إلى منظومة تفكيرهم عندها يدركون أن دورهم لا ينتهي بتوفير الحاجات المادية لأبنائهم، أو لطلابهم، بل يشمل توفير الحرية، وتمكين الأبناء

والطلاب من ممارسة سيادتهم على نفوسهم.

أخيراً، لا توجد إجابات بسيطة لمآزق الناس، ولمواجهة الاضطهاد والقمع، لكن من المهم أن ندرك أن أمام كل مأزق، أو اضطهاد، هنالك أكثر من بديل للمواجهة، منها البدائل التي استخدمت حتى الآن، ومنها بدائل أخرى استخدمت ونجحت مؤخراً في تونس ومصر وليبيا، وغيرها. علينا أن ندرك أن التحرك الشعبي التلقائي دون قيادة بطركية، ودون انتظار الأحزاب، وتفعيل الإرادة والسيادة على الذات، وإدراك قوة الحق والأخلاق، والتمسك بالحق، والإصرار الفعال، والاستعداد لدفع الثمن، وتغليب القضية المشتركة على القضايا المختلف عليها، كلها بدائل واردة، وتكون فعالة في ظروف معينة، وقد رأيناها فعالة عندما أسقطت أنظمة قمعية غاشمة.

ثورة 25 يناير ومكامن الخطر

د. قدري حفني
kadrymh@yahoo.com

بعد أن قامت ثوار 25 يناير بمفاجأة الجميع بثورتهم التي شملت العديد من شوارع وميادين المدن المصرية؛ اجتذب ميدان التحرير الأضواء بعد أن اجتذب الكتلة الأكبر من شباب الغضب في القاهرة، وأصبح بمثابة المركز الذي تمتد فروعه في بقية ميادين المدن المصرية؛ وأخفقت محاولات إخلاء الميدان بالعنف، وسقط عديد الشباب الثائر قتلاً بالرصاص، أو بالعصي، وتدافعت قنوات الإعلام على تنوع توجهاتها لنقل ما يجري في ذلك الميدان المركزي، ولم يعد مهرب من أن يفرض ميدان التحرير نفسه على كافة القوى السياسية المصرية، حيث لم يعد مقراً لشباب الثوار فحسب، بل أصبح قبلة القوى المصرية السياسية، بل والسلطة المصرية بوجهها السياسي متمثلاً في الوزارة، ومؤسسة رياسة الجمهورية، وكذلك بوجهها العسكري متمثلاً في الجيش المصري؛ فضلاً عن أنه أصبح ملجأ لكل ألوان الطيف من المظلومين المصريين، وما أكثرهم.

شاهدنا ممثلي القوات المسلحة المصرية يخطبون في جماهير المعتصمين، وشاهدنا رموز السلطة المصرية السياسية تدعو مجموعات من شباب المعتصمين للحوار، فيتركون ميدان

التحرير ليعودوا إليه، ورأينا بعيوننا بعضاً من هؤلاء الشباب يتحدثون في أجهزة الإعلام، معبرين عن مطالبهم بطلاقة سياسية تستلفت النظر، وشاهدنا وفود الأحزاب ولجان الحكماء وعديد الشخصيات العامة يحرصون قبل توجههم للحوار، أو التفاوض مع السلطة، أو حتى قبل إعلانهم لرفض ذلك الحوار، على أن يؤكدوا بالصوت والصورة أنهم قد تواجدوا بشكل ما في هذا الميدان الذي أصبح بمثابة بوابة العبور ذهاباً وإياباً لمن يريد ممارسة السياسة العملية في مصر. وليس أدل على ذلك من توجه الدكتور عصام شرف رئيس الوزراء الجديد إلى ميدان التحرير، معلناً للثوار أنه يستمد شرعيته منهم.

ولم يكن شيئاً من ذلك ليحدث لولا أن استمرت الحشود في الميدان لا تبرح ولا تتفكك، ولم يكن بد والأمر كذلك لمن لا يريد استمرار تلك الثورة من التحول إلى محاولات التشويه الفكري لما جرى في الميدان، وأخذت حلقات مسلسل ذلك التشويه تتوالى:

أولاً: محاولة اختزال الثورة بادعاء أنها "ثورة الشباب" فحسب، وأنهم ليسوا سوى مجموعة من الشباب الصغار الأبرياء الطيبين. ويكفي المرء أن ينظر ولو من بعيد إلى صور الثوار المحتشدين في ميدان التحرير ليتبين أنهم ليسوا كذلك: لقد بدأ هؤلاء الشباب الثوار الدعوة للثورة، ولكن من لبوا الدعوة كانوا يمثلون كافة أطياف المجتمع المصري من مختلف الفئات العمرية، ومن ثم فإن اختزال الثورة في طابعها الشبابي يجافي الحقيقة والحق معاً: إن مطالب الثوار المعلنة على الكافة لم تتضمن مطلباً واحداً يخص الشباب وحدهم، فضلاً عن أنهم في مطالبتهم بتنحي الرئيس السابق لم ينزلقوا إلى تلك الحجة الساذجة بالربط بين المطلب والتقدم في السن، بل ربطوه بحق بتفشي الفساد والظلم، وانعدام العدالة الاجتماعية. ولعل طلائع ثوار 25 يناير قد كانوا على وعي بحقيقة أن مظلة "الشباب" كمرحلة عمرية تشملهم كما تشمل غيرهم، وأنها سوف تنسحب عنهم وعن غيرهم بتقدمهم في العمر، فضلاً عن أنه لا أحد يستطيع أن يجرد ضباط أمن الدولة والأمن المركزي، وغيرهم من براعم رموز الفساد من "شبابيتهم".

ثانياً: اتهام الثوار بأنهم تسببوا في إرباك المرور، وفي تعطيل مصالح الناس، وتعطيل عجلة الإنتاج، رغم أن هؤلاء الثوار قد اختاروا لتظاهراتهم الأسبوعية يوم الجمعة، وهو يوم الإجازة الذي تتعطل فيه المصالح رسمياً، وذلك على غير ما جرت عليه العادة في المظاهرات المصرية، ومن ثم ينبغي البحث الجدي عن النسبة الحقيقية للمصانع المعطلة، والأسباب الحقيقية لتعطيل الإنتاج.

ثالثاً: اتهام الثورة بأنها السبب في اختفاء الشرطة، ومن ثم في انفلات الأمن، ورغم أن أحداً لا ينفي أن اختفاء الشرطة يشجع المجرمين على ممارسة جرائمهم، ولكن هل كان من شعارات ثوار 25 يناير، وعلى رأسها هتافهم "سلمية سلمية" الدعوة إلى إلغاء الشرطة؟ أم أن ذلك الانسحاب

مازال لغزاً تبحث جهات التحقيق عن فك طلاسمه حتى الآن؟ ومازلنا في انتظار تحقيق جاد لكشف المسؤولين عن محاولات الترويع الإعلامي التي مازال بعضها مستمراً، وكذلك كشف المسؤولين عن محاولات البلطجة المنظمة التي شهدناها. ولنا أن نتساءل في النهاية، ترى هل كان الأمن على خير ما يرام قبل ذلك؟ وهل نسينا ترويج أجهزة الإعلام طوال السنوات الماضية لما أسمته "ظاهرة التحرش الجنسي"، وأيضاً "ظاهرة البلطجة والخروج علي القانون".

رابعاً: الحديث عن "دكتاتورية ميدان التحرير"، وكيف أنه في ظل تلك الدكتاتورية يتم إقصاء وتخوين الرأي الآخر. لقد شاهدنا في ميدان مصطفى محمود متظاهرين يحملون صور الرئيس السابق، ويعلنون احتجاجهم على تشويه صورته، ويدينون صراحة "شباب التحرير"، ولم نر "دكتاتورية ميدان التحرير" تدفع بالبلطجية وراكبي الجمال لتفريقهم، ولم نشهد "قوات أمن ميدان التحرير" تختطف قادتهم، وتلقي بهم إلى حيث يعجز رئيس وزراء مصر عن الاستدلال عن مكان احتجازهم أياماً طوالاً، كما حدث بالنسبة للناشط وائل غنيم. تلك هي الدكتاتورية الإقصائية التي ذاق مرارتها أبناء جيلي، والتي يعرفها العالم أجمع؛ أما ما يمارسه الجميع من رفض وإدانة للأفكار المخالفة فهو جوهر الديموقراطية.

خامساً: الزعم بأن شيئاً جوهرياً لم يتحقق حتى الآن، فقد سقط رأس النظام، ولكن النظام مازال قائماً، بل زعم بعضهم أن الرئيس السابق مازال يمارس سلطاته من مدينة شرم الشيخ؛ إنه الخلط بين قيام الثورة كحدث تاريخي، وبين تحقيق أهدافها وتجاوز ما يعترضها من عثرات باعتبار ذلك عملية مستمرة. إننا ما زلنا نتذكر ما وقع في مصر صباح 23 يوليو 1952، وكيف دخل ذلك اليوم التاريخ باعتباره يوم ثورة يوليو. ومن عاصروا ذلك اليوم يعرفون يقيناً أن السلطة الملكية ظلت في مواقعها على قمة البلاد، وأن الملك ظل في السلطة رسمياً حتى وقع وثيقة التنازل باعتباره فاروق الأول ملك مصر والسودان في 26 يوليو، وأنه لم يتنازل عن سلطته آنذاك لمجلس قيادة الثورة، بل لولي عهده الأمير أحمد فؤاد الثاني، وظلت مصر ملكية حتى 18 يونيو 1953، حين أعلنت الجمهورية. ومع ذلك ظل يوم 23 يوليو، وبحق، هو يوم الثورة، حين سمع المصريون من الإذاعة المصرية البيان الأول للقيادة، والذي لم يشر من قريب، أو بعيد، للإطاحة بالنظام الملكي، وأن عملية تثبيت الثورة والقضاء علي أعدائها استمرت رغم ما شابها من تجاوزات دموية حتى السادسة من مساء 11 فبراير، لحظة تنحي الرئيس السابق، حين قامت ثورة 25 يناير لتبدأ معها مسيرة تصديها لأعدائها. ورغم تلك الحقائق التاريخية فمازال بعضهم يترددون، بل ويحجمون عن استخدام تعبير ثورة 25 يناير 2011، والتي تطور شعارها بسرعة خارقة ليصدر بيانها الأول من ميدان التحرير يحمل عدداً

من المطالب على رأسها "الشعب يريد إسقاط النظام"، مما أجبر الرئيس السابق على التنحي.

سادساً: بدأت محاولات شق صفوف الثوار بالتخويف من الديموقراطية، إذ بدأت الأصوات ترتفع محذرة من التسرع في إجراء الانتخابات بدعوى أن الشعب غير جاهز لممارستها. إن مثل ذلك القول قد يكون مقبولاً في ظل قيام انقلاب عسكري "ثوري" يعتبر نفسه الطليعة التي عليها إعادة بناء الشعب وحمايته من الانحراف يميناً، أو يساراً، وإعداده لممارسة الديموقراطية في زمن قادم لا يعلمه سوى قادة الانقلاب الثوري، ولكن كيف يستقيم ذلك مع القول بأن الشعب المصري أنجز ثورة سلمية غير مسبوقة في تاريخ الثورات، ولكن سرعان ما ينكشف المستور عن تصور مؤداه أن الانتخابات "المتسرعة" لن تسفر سوى عن فوز الإخوان المسلمين والحزب الوطني. ومثل هذا القول يثير عدداً من التساؤلات: ألم يكن شباب الإخوان المسلمين ضمن ثوار 25 يناير؟ هل يجوز أخلاقياً، أو وطنياً، أو سياسياً أن ندعو الثوار إلى الانقلاب على بعضهم؟ ترى هل تأجيل إجراء الانتخابات يعطي الفرصة للأحزاب "الثورية" الجديدة فحسب لمد جذورها وتحسين مواقفها، أم أنه يتيح الفرصة نفسها للجميع، بما فيهم الحزب الوطني؟ ترى هل المطلوب أن نبدأ ممارستنا للديموقراطية بممارسة الفرز والحرمان من ممارسة الحقوق السياسية، ورفع شعار "إقصاء أعداء الثورة"، ذلك الشعار العفن الذي ترعرعت في ظله كافة انحرافات أجهزة القمع الأمني؟ ترى هل يمكن النظر إلى الانتخابات القادمة من المنطلقات الفكرية القديمة ذاتها؟ هل نتصور أن نسبة المقبلين على التصويت ستظل على هزالها؟ ألا نضع في الاعتبار أن إقرار مبدأ التصويت بالرقم القومي سوف يدفع بكتلة ضخمة غير مسبوقة ممن لهم حق التصويت إلى المشاركة للمرة الأولى؟ هل من المتصور عودة ظاهرة التزوير المركزي للانتخابات من جديد؟ كيف؟ ولصالح من؟ فضلاً عن أنه من حقائق علم النفس السياسي أن فوز الجماعة الأكثر تنظيماً في الانتخابات مرهون بضعف الإقبال على تلك الانتخابات، وكلما ارتفعت نسبة المصوتين كانت صناديق الانتخابات تعبيراً صادقاً لتوزيع القوى النسبية.

اليقظة العراقية... هل اكتملت شروطها؟!

قراءة سيكولوجية

د. فارس كمال نظمي
fariskonadhmi@hotmail.com

يشهد المجتمع العراقي اليوم، بحركته الاحتجاجية السلمية المتنامية، انتقالاً سريعاً ومثيراً من حالة "الحرمان النسبي المتناقص" Decremental Relative Deprivation إلى حالة الحرمان النسبي المتصاعد" Progressive Relative Deprivation. وهذا إيذان موضوعي ببدء خروج هذا المجتمع من عنق زجاجة الرضوخ السلبي لنتائج العنف السياسي بعهديه البعثي والتأسلمي، نحو أفق الثورة المدنية الإصلاحية. وهو خروج جرى كبحه وتأجيله طوال السنوات الثمانية الماضية، بتأثير سياسة تفتيت الهوية الوطنية التي انتهجها الاحتلال الأميركي عبر تكنيكي "الطائفية" و"الإرهاب". أما المدة المتوقعة لإنجاز هذا الخروج فقد تطول، أو تقصر، بحسب ديناميات ومسارات المواجهة المرتقبة بين المجتمع والسلطة. ولنوضح أولاً ما المقصود بهذين الحرمانين.

الحرمان النسبي المتناقص، بمفهومه العام، هو شعور الفرد بالاستياء نتيجة إدراكه للتفاوت بين ما يحصل عليه فعلاً هو أو جماعته الاجتماعية من موارد حياتية (كالدخل المعيشي، وفرص التعليم، والخدمات الصحية، والبنى التحتية، والسكن، والمكانة الاعتبارية في المجتمع، والدعم الحكومي ممثلاً بالضمانات الاجتماعية)، وبين ما يتوقعه أو يعتقد أنه يستحقه (أو تستحقه جماعته) من تلك الموارد، أي أنه حرمان ينتج من تقويم الفرد لواقعه نسبةً إلى المتوقع والمستحق. وقد حافظ العراقيون على حد أدنى ثابت نسبياً من التوقعات بشأن حقوقهم، في وقت كانت فيه مواردهم الحياتية تتدهور باضطراد، بل إن سقف هذه التوقعات انخفض بمرور الزمن، من حلم الحرية والرفاهية لحظة انهيار النظام السابق 2003م، إلى المطالبة بحد أدنى معقول من الأمن والكهرباء وفرص العمل، وهذا ما يدعى بـ"الحرمان النسبي المتناقص": أي أنه مشاعر الاستياء التي نشأت لدى العراقيين نتيجة تدهور أوضاعهم الحياتية بسبب الاحتلال، وتقويض وظيفة الدولة في توفير النظام والأمن الاجتماعي، في وقت ظلت توقعاتهم ورؤيتهم عن استحقاقاتهم ثابتة نسبياً، أو متناقصة.

وقد كان من بين أهم نتائج هذا الحرمان تدمير مشاعرهم بالكرامة والعزة والطمأنينة والفاعلية، وحشرهم جميعاً في إطار متين من اليأس والاغتراب عن وجودهم الاجتماعي

والإنساني، فضلاً عن تحويل قطاعات مهمة ومنتجة من المجتمع إلى شرائح رثة عاجزة عن امتلاك وعي متقدم بمعنى الحياة وغاياتها، تحركها دوافع العنف والعجز وقيم القبح والعدمية، تبرر مظلوميتها بمسلمات "قدرية" نابعة من فتاوى كهنوتية أنتجتها أشد المناطق ظلمة وخواءً في العقل البشري.

أما الحرمان النسبي المتصاعد، والذي نشهد انبثاقه اليوم في العراق، فينطوي على زيادة كبيرة في التوقعات تتزامن مع نقصان مستمر في الموارد والحقوق. ويعزى ارتفاع سقف التوقعات، أو المستحقات، التي بات العراقيون يؤمنون بمشروعية امتلاكهم لها، إلى ما قدمته الثورتان التونسية والمصرية (ديسمبر 2010، يناير 2011) من نموذجين ملهمين لفاعلية الاحتجاج الجمعي Collective protest، وقدرته خلال أسابيع على تحقيق توقعات ومستحقات طال انتظارها لعقود من الزمن.

ولذلك اندفع العراقيون اليوم، ومعهم عدد من شعوب الشرق الأوسط، نحو نمذجة التجربة المصرية بوجه خاص، لجمالية أدائها، وكفايتها التنظيمية، وقطافها السريع لأهدافها. إنها العدوى السلوكية الجمعية ليس بتأثير التماهي اللاعقلاني الأعمى بالحدث، ولكن في إطار الإيمان العقلاني بأن الاحتجاج الجمعي يمكن أن يفضي إلى إمكانية تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية القائمة، وبأن الكلف الناتجة عن التقاعس تفوق الكلف الناتجة عن التحرك. يضاف إلى ذلك اعتقاد ليس جديداً أصبح متداولاً بين أعداد غير قليلة من العراقيين بعدم شرعية أوضاعهم، وبأن النظام السياسي الحالي هو المسؤول عن استمرارها، إذ اتضح بزوغ هذا الاعتقاد لأول مرة خلال "انتفاضة الكهرباء" التي اندلعت في حزيران 2010م في بغداد ومدن عراقية أخرى، ثم توقفت بسبب افتقارها إلى العنصر الأساسي المائل اليوم، وهو اعتقاد الفرد بفاعليته السياسية، وإيمانه بأن تغيير الأوضاع بات ممكناً.

وإذا كان التحليل السيكوسياسي يعزو اندلاع الثورتين الفرنسية 1789م، والروسية 1917م، والحرب الأهلية الأميركية (1861 - 1865)م إلى "الحرمان النسبي المتصاعد" بجذره الطبقي المباشر، فإن الوقائع الحالية في تونس ومصر واليمن وليبيا وإيران، تشير إلى أن البعد الطبقي بات جزءاً محدوداً من بنية أكبر هي: الوعي المدني "السلمي بضرورة وحتمية التغيير السياسي والاجتماعي، بمعنى أن الحرمان النسبي من الحريات قد فاق بتأثيره الحرمان النسبي من موارده العيش في تلك البلدان، إلى حد أن بعض الباحثين أطلق على الحدث المصري تسمية "ثورة الطبقة الوسطى"، فيما سمى التغير في تونس بـ"ثورة عقول لا ثورة بطون". أما الحركة الاحتجاجية المتنامية اليوم في العراق، فيبدو أنها تجمع في دوافعها المحركة بين

أزمتي العقول والبطون سوية، مع أرجحية واضحة لأزمة البطون، إذ تترافق شعارات مطلبية عن الخدمات والبطالة والبطاقة التموينية، وتتعالى الدعوات إلى صيانة الحريات العامة والخاصة، ونزع العمامة عن رأس الدولة، إلى جانب الدعوات لدعم الأرامل والأيتام والمهجرين وسكان العشوائيات.

وباختزال أشد، فإن احتجاجات اليوم تستمد وقودها المحرك من تفاعل مشاعر المظلومية الاجتماعية والحرمان الاقتصادي بمشاعر التحرر العقلي وما يصاحبها من مخاوف حقيقية، من أدلجة الدولة، وأسلمة الحياة المدنية، بعد أن جرى تديين السلطة في بلد تحكمه العلمانية المجتمعية المتسامحة. إن امتزاج العاملين الاقتصادي (الأساسي) والثقافي (الثانوي) لإنتاج هذه الحركة الاحتجاجية، يعني خروجاً من عقم الهويات الفرعية المتناحرة، إلى جدوى الهوية المدنية الوطنية الموحدة بوصفها حلاً لاستعادة احترام الذات الاجتماعية التي تضررت طويلاً بفعل الاستبداد والإفقار والحرمان والإذلال والاحتلال، وتسييس الدين وتشويه فكرة الوطن في الذاكرة الجمعية. فالهوية الاجتماعية (وطنية - دينية - عرقية - طائفية - عشائرية) تعيد تصنيف ذاتها بحسب الموقف الذي تجد نفسها رهينة بتطوراته، أي أنها ليست موسومة بسرمديتها الهوياتية الثابتة، بل تتبع في تقلباتها مجريات التطورات الموقفية المحيطة بها. ولذلك فمن المتوقع أن بزوغ العقل الجمعي الاحتجاجي في العراق سيعني نهوضاً دراماتيكياً للهوية الوطنية ببعديها المدني المجتمعي والإنساني المتحضر، وأفولاً سريعاً لمشاعر التشرذم الديني والطائفي والعرقي التي أنتجها: "فرسان" المنطقة الخضراء والبيت الأبيض.

يستمد هذا التوقع رؤيته التفصيلية من دراسة ميدانية واسعة أجريتها في العام 2009م على عينة من العاطلين العراقيين عن العمل، نشرت تفاصيلها في كتابي "المحرومون في العراق"، إذ توصلت آنذاك عبر تحليلات إحصائية مستفيضة إلى الاستنتاج الاستشرافي الآتي: (في ضوء خلفية سوسيو - سياسية قاسية، ممثلة بخطر التفكك المجتمعي من جراء العنف السياسي، تمر به جماعة حضارية قديمة كالعراق، قد يبرز ميكانزم نفسي وقائي هو تنامي الهوية الوطنية لدى المحرومين، إذ تمارس هذه الهوية وظيفة تكيفية مزدوجة هي: حماية تقديرهم لذواتهم الاجتماعية من جهة، وتنظيم جهودهم لممارسة الاحتجاج الجمعي من جهة أخرى. فقدرتنا على التنبؤ بسلوك الاحتجاج الجمعي السلمي تشتد على نحو خاص لدى ذوي الهوية الوطنية القوية).

واليوم أؤكد من جديد أن الاحتجاجات الحالية والمرتقبة إذا كان لها أن تستمر وتحقق أهدافها حتى نهاية الشوط، فإنها تستمد طاقة استمراريتها من بزوغ الهوية الوطنية للمحتجين، إذ سيندفعون لتصنيف ذواتهم بوصفهم "عراقيين" كلما انخرطوا بشكل أوسع وأعمق في

نشاطاتهم الاحتجاجية السلمية من تظاهرات واعتصامات وإضرابات. إنه انسلاخ من الشرنقة الثيولوجية الخانقة، وإعادة اكتشاف الذات الاجتماعية في رحاب المشاعر المدنية المنعشة. فالجماهير السجينة تستطيع على الدوام أن تعيد اكتشاف انتمائها إلى المكان والزمان اللذين طال تغريبهما عنهما، فقط حينما تريد استعادة شعورها بالكرامة الجمعية، وهذا ما تحققه فكرة "الوطن" إذا ما جرى تمثلها عاطفياً وسلوكياً. الاحتجاج الجمعي يعني تطهراً لاشعورياً من كل: "الآثام" حتى الفردية منها، ويعني أيضاً الإمساك العقلاني من جديد بدفة المصير المجتمعي الذي طال ارتهانه بيد السلطة اللاعقلانية!

الثورات والانتفاضات ما هي إلا لحظات تدفق نفسي غامر يؤدي إلى فعل جمعي يريد تغييراً مجتمعياً جوهرياً يقطع الصلة بماضٍ بائس، بعد أن استكملت الشروط السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية دورها المتريث في الإعداد لهذا التغيير. إن أهم عوامل القوة والاستمرارية التي تتمتع بها الحركة الاحتجاجية العراقية السلمية تتمثل (كما أسلفت) بذلك الإيمان المستلهم من الثورتين التونسية والمصرية بأن إمكانية التغيير أصبحت في متناول الجماهير إذا ما تحركت بتصميم نحو أهدافها، وإن أرباح الاحتجاج تفوق تكاليفه في كل الأحوال ما دام هناك ندم جمعي على "خطأ" خياراتهم في الانتخابات النيابية الأخيرة. كما يستمد المحتجون قوتهم من وعيهم العارم بالحقانية ومشروعية الغضب، وبالرغبة المحتقنة لرد الإهانة التاريخية التي لحقت بهم، واستعادة اعتبارهم في وطنهم، فضلاً عن اندماجهم في "هوية موحدة" عابرة للدين والطائفة والطبقة والأيديولوجيا، وما تمتلكه حركتهم من كارزما جمعية مدنية مصدرها التواصل الاجتماعي بنوعيه التقليدي والإلكتروني دونما شخصنة سياسية ضيقة يمكن أن تثير الشكوك وهواجس التخوين. فالمراقب قد يستغرب كيف أمكن لمشروعية الحراك الشعبي الناقد أن تخطف كل الأبصار خلال أيام، وأن تصبح في قلب الحدث، فيما أمست العملية السياسية الطائفية في هامشه، محاولةً اللهاث وراء عنفوان الناس المحرومين وهتافاتهم البليغة.

أما عوامل التعويق، أو الإجهاض، المحتملة، فتتمثل في التشرذم الراهن في رؤى المحتجين حول أهداف حركتهم وغاياتها، وفي غموض الخطوات التي ستعقب الخطوة الأولى، وفي اختلافهم حول مدى شرعية السلطة القائمة، وفي نزوع فئات منهم لاستنساخ التجربة المصرية حرفياً دونما إبداع تقتضيه نسبيات الوضع العراقي. والأهم من كل ذلك عدم وجود نظام سياسي متكامل الأركان بالمعنى المؤسساتي يستطيع المحتجون أن يوجهوا اعتراضاتهم الموحدة نحوه، فالحكومة القائمة لا تمثل بنية سياسية متينة، بل سلطة متعددة الهويات

ينخرها الفساد السياسي والمالي. ولذلك فإن عجزها المتوقع (وليس عدم رغبتها) عن تنفيذ فوري لأي مطلب أساسي يرفعه المحتجون (ربما باستثناء خفض رواتب كبار موظفي الدولة، وإقالة بعض المحافظين والمجالس المحلية كأكباش فداء) سيفرض قيوداً نفسية على استمرارية الحركة. فالتغير المنشود يتحقق فقط حينما يستطيع الطرف المحتج التأثير بنيوياً في خيارات الطرف الآخر وقراراته، غير أن تصلب شرايين الحكومة وعجزها البنيوي والوظيفي قد يدفع الحركة الاحتجاجية إلى الإحباط والنكوص، أو تفرض عليها خيارات فوضوية، أو دموية جديدة ليس العراق المبتلي أصلاً بحاجة لها، سيما إذا حدث انشقاق أو انهيار في الأجهزة الأمنية، أو إذا جرت الاستعانة بميليشيات تنتمي إلى بعض مكونات السلطة لشق صفوف الحركة، أو قمعها بالقوة المسلحة.

وفي كتابه "النظام القديم والثورة الفرنسية"، قدم "دي توكفيل" Tocqueville (1805 - 1859) صياغة نفسية لمضمون العلاقة بين الحرمان والاحتجاج بقوله: "إن المظالم التي يمكن تحملها بصبر لكونها غير قابلة للتجنب، تصبح غير قابلة للتحمل حالما تطرأ في أذهان الناس فكرة الهروب منها". وبالتأكيد فقط استيقظ العقل الجمعي العراقي أخيراً بنسبة مهمة بعد أن طرأت لديه فكرة مواجهة المظالم أياً كانت نتائجها. أما اكتمال شروط هذه اليقظة وتبلورها إلى سلوك جمعي ناضج وقادر على إحداث التغيير المنتظر فسيظل مرهوناً بالممارسة الميدانية المستمرة للفعل الاحتجاجي السلمي، إذ لا يكتمل الوعي المعارض جنينياً إلا في رحم التجربة الشعبية الحية، حذفاً وتعديلاً وتطويراً، وهي تجربة قد لاحت خطوطها العريضة للتو في العراق، إذ يخطو المجتمع الرهينة خطوته الأولى خارج قبضة خاطفيه!

الخير والعزة والسداد للشعوب العربية البطلة
ولشبابها الثائر الباسل ولثرواتها المجيدة الخالدة

الغالي أحرشاو
شعبة علم النفس، جامعة محمد بن عبد الله
فاس. المغرب

الواقع أن أهم ما يمكن استخلاصه مما حدث ويحدث وسيحدث في الأيام المقبلة، هو أن البلاد العربية بغالبية شعوبها قد انخرطت فعلاً في مرحلة تاريخية جديدة، قوامها استرجاع الكرامة، وتحقيق الحرية، وممارسة الديموقراطية. إنها باختصار شديد مرحلة الانتفاضة والتمرد على الأنظمة الديكتاتورية القمعية، مرحلة الانعتاق من الاستبداد والقضاء على الفساد، مرحلة الصحوة الشبابية الواعية والثورة الشعبية الهادفة. هذه خلاصات وأوصاف أضحت تؤكدها وقائع ملموسة وممارسات يومية في كثير من الأقطار العربية، وفي مقدمتها ما جرى ويجري في تونس ومصر واليمن والبحرين وليبيا وسلطنة عمان.

وإذا كان من المنطقي أن يساهم أطباء وعلماء النفس العرب في مقاربة هذه المرحلة الجديدة، ويسائلون كغيرهم من المهتمين والمتخصصين أحداثها ودلالاتها الضمنية والصريحة، ويستنطقون ظواهرها ومظاهرها السوية والشاذة، ويشخصون تصرفات وسلوكات زعمائها وأبطالها، جبابرتها وطغاتها، عملائها وخونتها، فإن الأمر الذي لا يمكن قبوله، أو استساغته، هو أن ينخرط هؤلاء في مسيرة تلفها نقط استفهام كثيرة، من أبرز مظاهرها تبخيس تخصصهم العلمي، وتسطيح خدماته المعرفية ليصبح عبارة عن معارف عامية ووصفات جاهزة سهلة المنال والتداول، ويمكن لأي كان أن يصوغها، أو يفتي بها.

فكثيرة هي الأوصاف والنعوت التي تضمنتها مساهمات بعض الزملاء أطباء وعلماء النفس العرب المنشورة مؤخراً على موقع "شبكة العلوم النفسية العربية"، تَشي باختزالية واضحة في التصور والموقف، وبتبسيطية جلية في المقاربة والمعالجة، ثم بسطحية عميقة في التقييم والحكم على كل ما حدث ويحدث. فباستثناء القلة القليلة من تلك المساهمات، وبالخصوص تلك التي ناشدت الحذر، وعدم التسرع، وطالبت بالمهنية وتوخي الموضوعية في التعامل النفسي والطبنفسي، مع ضخامة الأحداث وكثافة الوقائع وغزارة الإشاعات (منها مساهمات د.

الرخاوي، ود. عكاشة، ثم د. التركي)، فإن غالبية تلك المساهمات جاءت محملة بأوصاف وتسميات وأعراض وأمراض لا يستسيغها منطق العمل السيكولوجي المألوف، بمختلف مقوماته العلمية وضوابطه المعرفية وأخلاقياته المهنية. فعلى عكس أوصاف ونعوت وتسميات من قبيل: الجنون والحمق والاضطراب والمرض والخبل والهوس... التي ذهب بعض زملائنا إلى استعمالها في غير محلها، وبالتالي إسنادها دون أدنى فحص، أو تشخيص سريري، ودون مراعاة لأي سياق طبي إكلينيكي، إلى بعض الحكام العرب الذين تهاوت عروشهم، أو هي في الطريق إلى التهاوي، فإنني أرى بأن هؤلاء الحكام وأمثالهم من الطغاة والديكتاتوريين المهووسين بالعظمة والشغوفين بالزعامة، ليسوا لا مجانين ولا مضطربين، ولا مرضى ولا هم يحزنون. فكل ما في الأمر هو أن هؤلاء، بحاشياتهم وميليشياتهم وزبانياتهم، قد استفردوا بشعوبهم لسنوات وعقود دون ملل ولا كلل، وذلك باعتماد أساليب وممارسات كلها مكر ودهاء، قمع وتسلط، ترهيب وتخويف، تهميش وتجويع... وغيرها من الأساليب التي لم تعد في الوقت الحالي تجدي نفعاً مع شباب أغلب شرائحه من الفئات المتعلمة الواعية التي تنشد إرادة الثورة بدل الخنوع والمذلة كسبيل ناجع لتحقيق الذات والحياة الحرة الكريمة.

فكيف يُعقل إذن أن نصف أشخاصاً بالحماقة والجنون، وهم الذين سيطروا على شعوبهم وحكموها لسنوات وعقود؟ وكيف يصح نعت هؤلاء بالخبل والشذوذ، ونحن نعلم أنهم كانوا وإلى وقت قريب يمثلون زعماء الأمة وعقلاءها وحكماءها؟ بل الأكثر من ذلك، كيف يستقيم القول بالشخصية المضطربة لهؤلاء الحكام والكل يدرك تمام الإدراك أن هذا القول إذا كان بالفعل صحيحاً، سيشكل المخرج الطبي الواقي لهم للإفلات من العقاب المستحق، ومن القصاص العادل على كل ما اقترفوه من بطش وانتهاكات ومجازر في حق البلاد والعباد.

أعتقد أن الاستمرار في وسم هؤلاء بأسماء وأوصاف مستلهمة من الحقل الدلالي لمنظومة الاضطرابات النفسية، سيشكل بصورة ضمنية الانخراط في مشوار تزكية وتدعيم هذا المخرج الطبنفسي لإعفائهم من القصاص والعقاب. فيقيني الكبير بأن شخصية هؤلاء الحكام الفاسدين المفسدين لا تنطوي ولا تَنمُّ عن سمات شاذة، ولا عن أعراض غير سوية، بل هم أناس أسوياء عقلاء يدركون حق الإدراك ما يفعلون، وعليهم أن يتحملوا نتائج وتبعات أفعالهم وممارساتهم في حق شعوبهم. فكل ما في الأمر هو أن تشبثهم بالحكم وتعلقهم بالكراسي وتماهيهم بالزعامة، كل هذا جعل منهم أشخاصاً مدلولين منبوذين، تَعبت منهم الشعوب، ومَلّت من رؤيتهم على امتداد عقود وسنوات، وبالتالي فقد حان وقت التمرد عليهم، ومطالبتهم بالرحيل. لهذا لن نكون مجازفين في القول إن اعتبرنا بأن المساهمة البنّاءة والمعقولة

لأطباء وعلماء النفس العرب في التفاعل والتعامل مع "تسونامي" الانتفاضات العربية وملاحمها الثورية المجيدة، يجب أن تركز على مختلف الظواهر والأحداث التي تشكل المقومات والمظاهر الأساسية لتلك الانتفاضات والملاحم، وفي مقدمتها ظواهر ومشاكل: التسلط والقهر، البطش والقمع، الاستبداد والاحتقار، الديكتاتورية والطغيان، العنف والرعب، التخويف والترهيب، الكبت والحرمان، الثورة والتمرد، تحطيم الذات وتبخيس الهوية، الانعتاق والكرامة، الحرية والديموقراطية... وغيرها من الظواهر والمشاكل ذات العلاقة العضوية بسيكولوجية الإنسان العربي ورغبته في الحرية والحياة الكريمة. هذه السيكولوجيا التي سبق لزميلنا القدير د. مصطفى حجازي أن عرضها في مؤلفه الشهير "سيكولوجية الإنسان المقهور"، وجاء الوقت المناسب لاستبدالها بـ"سيكولوجية الإنسان الثائر الحر"، التي ندعو صادقين زملاءنا أطباء وعلماء النفس العرب إلى الانكباب على هندسة معمارها ومحطاتها، وإلى صياغة ميادينها ومضامينها، بناء على دراسات نظرية وأبحاث ميدانية دقيقة في التصور والمنظور، وعميقة في المقاربة والمعالجة، وخصبة في الغاية والمسعى.

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية

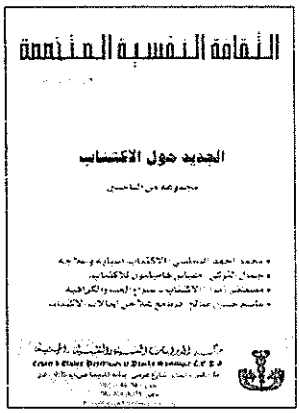

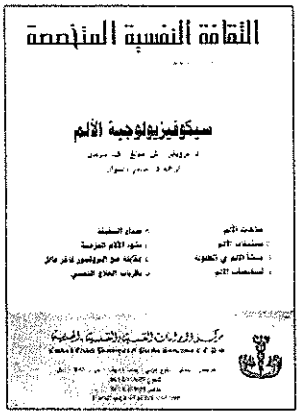

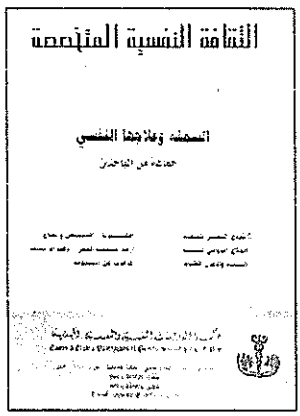

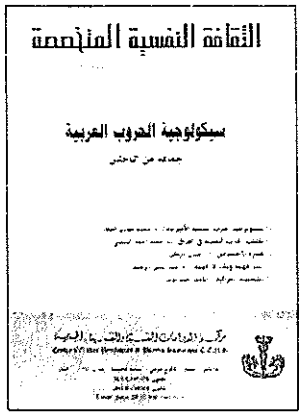

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية
يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW. FILNAFS. COM
WWW. PSYINTERDISC. COM
WWW. PSYCHIATRE- NABOULSI. COM

الثقافة النفسية المتخصصة

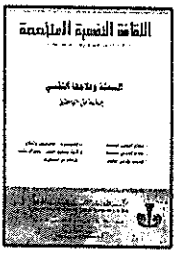

WWW.psyinterdisc.com

Interdisciplinary Psychology

Psychologie Interdisciplinaire

الطب النفسي | السيكوسوماتيك | العلاج النفسي | تحليل نفسي | أدوية نفسية | الكوارث | علم النفس

السمنة وعلاجها النفسي

د. محمد احمد النابلسي

العدد الثالث والخمسون / يناير السعر: دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة بوصفها شكل من أشكال إدمان الأكل. عارضاً لمختلف النظريات الطبية المفسرة للسمنة والطارحة لأسبابها. ودون إهمال لإقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية فإن الملف يعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة. حيث يصنفها المؤلف ومعها إضطرابات الأكل عامة في إطار الإضطرابات السيكوسوماتية. للمزيد

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون/ أوكتوبر السعر دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية. حيث اللغة المشتركة تؤمن تضافر الجهود المعلوماتية في هذه البلاد. ويشرف على الملف الزميل التركي صاحب السبق في هذا المجال. للمزيد

إقرأ في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الألم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الألمان المعروفين. ترجمها للمجلة الزميل سامر رضوان. كما يضم العدد مقابلة مع العالم فاخر عاقل وهو من رواد الاختصاص في المشرق العربي....

سيكولوجية أطفال الإنتفاضة

جماعة من الباحثين

العدد الخمسون / أبريل السعر: دولارات

يتضمن البحوث التالية: خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة. قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة. تصور خطة لعلاج الأطفال الفلسطينيين. ومتابعات الانتفاضة. للمزيد

أزمات المراهقة

أ.د. أنور الجرابة

العدد الثامن والاربعون / اوكتوبر السعر دولارات

يحتوي الملف على البحوث والمقالات التالية: المراهق والسلطة. سلوكيات المراهق. المراهق والصحة النفسية. المراهق والتذبذب الاسري. والمراهق والامتحانات. للمزيد

شروط النشر
الهيئة الإستشارية
مؤتمرات المجلة
ملفات المجة
دليل الموقع

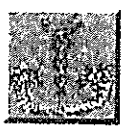

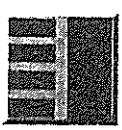

الصفحة التالية

إصدارات
مركز الدراسات النفسية

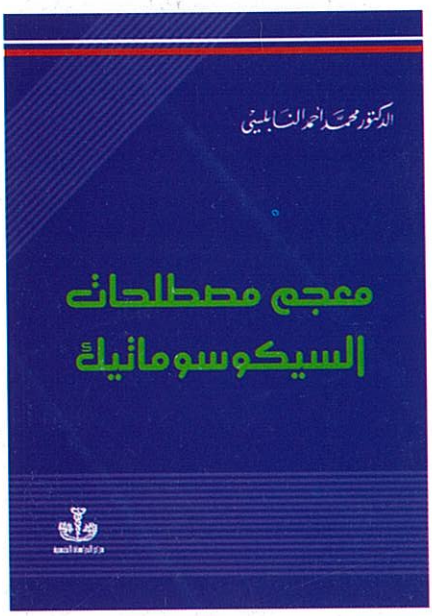

«إن الخطأ الكبير لأطباء عصرنا هو أنهم يفصلون النفس عن الجسد لدى تصديهم لعلاج الجسم البشري. فطبيعة الجسد لا يمكن أن تكون مفهومة ما لم ننظر للإنسان ككل» ويتوالى الاهتمام بهذه الخلفية على امتداد التراث الإنسان حيث توقف عندها ابن سينا ليفرد لها فصلاً خاصاً في قانونه وذلك وصولاً إلى العصر الحديث إذ بدأ الأطباء منذ القرن التاسع عشر بإعادة النظر في موقفهم من العلاقة بين النفس والجسد وبالتالي من هذه الخلفية. ولقد كان الطبيب فان دوش Van Dush أول من تخطى الثنائية الديكارتية (التي تفصل بين النفس والجسد) ليعلن عن نمط نفسي خاص بمرضى القلب في العام 1868 حيث وصفهم بأنهم يتكلمون بصوت عال وبأنهم يخوضون الصراعات المتركزة حول تدعيم سحرهم وسطوتهم. وكان هاينروث Heinroth قد أطلق مصطلح «سيكوسوماتيك» في العام 1818. لكن الاستخدام الدقيق للمصطلح تأخر لغاية العام 1922 على يد دوتش F.Deutch. وقد كان لظهور التنويم المغناطيسي. وقدرته على شفاء العديد من الحالات المرضية الجسدية، دور هام في إقناع الأطباء بالعلاقة بين النفس والجسد.

Sous la direction de
Hossaïn BENDAHMAN

DU PULSIONNEL AU CULTUREL

L'Harmattan

DU PULSIONNEL AU CULTUREL

Si nous parlons de la pulsion articulée aux cultures conformément au titre de cet ouvrage, il s'agit bien de la pulsion de vie et non d'une oblitération de la pulsion de mort. Bien avant d'être l'otage d'un surmoi socioculturel, la pulsion de vie nous donne la sensation et la représentation d'être vivant dans un corps, limité à ce qu'il exprime de son énergie intime, de ses besoins et de son organisation naturelle, bio-psychique.

Chaque culture a ses phases de croissances, de maturité, de bien-fondé mais aussi d'ombres, de turbulences, de passage à vide et de déclin. Les crises sont toujours des crises d'identité prises au piège de la dualité mais elles nous font évoluer et font évoluer notre relation à l'autre.

Les approches rassemblées ici témoignent dans leur différence d'une unité: celle de cerner les effets des mutations culturelles, notamment dans l'exil. Elles sensibilisent à l'émergence de dimensions nouvelles et plus complexes de l'altérité. Ces approches peuvent être une réponse à l'attente pratique de formation des acteurs sociaux, un moyen d'approcher les référents culturels des publics d'origine étrangère souvent en souffrance qu'ils sont amenés à côtoyer ou à prendre en charge. Les contributions réunies dans cet ouvrage sont le témoin du désir de la découverte de la culture de l'autre et de l'effort de réduire les dérives discriminantes quelle que soit la culture de l'autre ou son étrangeté.

Le présent ouvrage ne prétend pas traiter l'ensemble de la question. Celle-ci est d'une complexité telle qu'aucune étude ne pourrait être exhaustive.

Hossaïn BENDAHMAN, Docteur d'Etat en Psychologie Clinique et Psychopathologie, Psychanalyste. Maître de Conférences HDR en psychologie, Directeur de « l'Equipe de Recherche Pluridisciplinaire en Psychologie Interculturelle : Discours et Modes de Pensées » à l'I.U.T. de Troyes (Université de Reims). Directeur de recherches, équipe « Psychanalyse, Psychopathologie et Psychologie Clinique » de l'URP/SCLS (EA 3071), Université Louis Pasteur, Strasbourg I, dir. Professeur Serge Lesourd.

Auteur de *Personnalité maghrébine* et fonction paternelle au Maghreb : *Œdipe maghrébin* (1984) et *Travail culturel de la pulsion et rapport à l'altérité* (2000) et de nombreux articles et conférences.

ISBN : 978-2-296-06427-0
20 €